الحبر ومختصر السير

تأليف

د . خالد بن محمد عطيه

طبعة مزيدة ومنقحة

ⓒ ـ خالد محمد أحمد عطية، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عطيه، خالد محمد أحمد

العبر ومختصر السير ـــ مكة المكرمة .

٤٢٠ص، ٢٤ سم

ردمك : ٢ ـــ ٧١٨ ـــ ٥٢ ـــ ٩٩٦٠

١- قصص الأنبياء ٢- السيرة النبوية أ – العنوان

ديوي ٢٢٩,٥ ١٤٢٧ /٢٥١٨

رقم الإيداع : ١٤٢٧/ ٢٥١٨

ردمك : ٢ ـــ ٧١٨ ـــ ٥٢ ـــ ٩٩٦٠

توزيع : دار الطرفين . الطائف . وادي وج .

ص ب : ٢٥٧٩ . هاتف ٧٣٢٩٥٧٢

جوال : ٠٥٠٥٧٠٤٨٠٨

بسم

الله

الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾

[الحجر] .

قال ﷺ :

(الأنبياء إخوان لعلات أبوهم واحد وأمهاتهم شتى)

[حديث شريف] .

(فن التأريخ يوقفنا على أحوال الماضين، من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم) .

[ابن خلدون] .

(النظر في التاريخ يورث الخبرات والتجارب وإن لم نمارسها)

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبيـــاء والمرسلين سيدنا محمد خير خلق الله أجمعين .

أمـــــــا بـــعـــــد :

فمما لا يخفى على أي قارئ لكتب القصص والسير والتأريخ ما فيها من دروس وعبر ومواعظ عبر التأريخ الماضي ما يســتفاد منه ويتعرف عليه ويتعظ به ويأخذ منه الخبرة مادام القارئ مطلعاً على ما فيها من مواقف وخبرات وتجارب فيعاصـــرها وبمجـــرد القراءة وإن لم يمارسها بنفسه وتعد دروساً من سنين الماضي تمتـــد عبر سنين المستقبل، فهي كالمربي للإنسان بل وللمجتمعات أجمع .

ويجب أن نعلم أن من بين الكثير من كتب السير والقصـــص النبوي يوجد بعض الخلاف وذلك يعود إلى اخـــتلاف المـــوارد المأخوذ عنها والأسانيد والروايات المعتمد عليها .

ولعل الكثير من كتب القصص والسير النبوية ذات منهج يمله القراء بسبب تداخل المعلومات، ولذلك فقد وضع هذا الكتـــاب بلغة سهلة وطريقة ميسرة فمعلوماته على هيئة نقاط مستقلة . وقد قسمته بما رأيته مناسباً لعموم الفائدة وحصول النفع للجميع .

وربما كان الفرق الأكبر بين كتب السير والقصص النبوي هو في كيفية سرد المعلومات وتنسيقها مما له الأثر الإيجابي في سهولة استيعاب القارئ وفهمه للموضوع الذي يقرأه، فقيمة الكتاب تعتبر بقيمة معلوماته وتنظيمها مما يسهل على القارئ الاستفادة من الكتاب واستنباط الفائدة والمنفعة منه بأبسط طريقة ممكنة .

وقد تجنبت في هذا الكتاب القصص الغريبة والروايات الواهية والتي ليس لها قوة سند أو قوة حس عند المسلم أما الحوادث المشكوك فيها فقد وضعتها بعد إحدى كلمتي (قيل، يروى) للحيطة .

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ..... وأسأله عز وجل أيضاً التوفيق والسداد لكل ما يحبه ويرضاه هو ولي ذلك والقادر عليه سبحانه . وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه واتباعه وسلم .

المؤلف

الطبعة الثانية ٣٠/ ٣ / ١٤٢٧هـ
مكة المكرمة ص ب : ٤٣٨٢
جوال : ٠٥٠٤٧٩٩٥١١

يتضمن هذا الكتاب (٦) أبواب وهي :

الباب الأول : بداية الخلق .

الباب الثاني : أولوا العزم من الرسل .

الباب الثالث : قصص الأنبياء والرسل في القرآن الكريم .

الباب الرابع : قصص الأنبياء في غير القرآن الكريم .

الباب الخامس : الأمم السابقة .

الباب السادس : السيرة النبوية الشريفة .

الباب الأول : بداية الخلق .

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾[ص]

ـــ مدخل

ـــ الجان

ـــ آدم عليه السلام

ـــ احتجاج آدم وموسى

مدة حياة آدم عليه السلام : (١٠٠٠) سنة .

ورد ذكر آدم عليه السلام في القرآن الكريم (٢٥) مرة .

مدخل :

إن الله سبحانه وتبارك وتعالى في عليائه عندما خلق الخلق لعبادته وتوحيده في الأرض أرسل إليهم الأنبياء والرسل ليقيموا ذلك الأمر وليكونوا مبشرين ومنذرين بالنعيم لمن أطاع وبالنار لمن عصى وفي نفس الوقت ليكونوا حجةً على بني البشر من الثقلين الإنس والجن وليخرجوهم من الظلمات إلى النور وليكونوا رحمةً للعالمين فهم دعاة الله تعالى ودعوتهم إلى الله سبحانه .

وقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يرسل رسله كلما دعت الحاجة لذلك، فكلما تغيرت معالم الدين الصحيح وضاعت الشرائع الربانية، عندها تكون رسالة أو نبوة تدعو لتصحيح العقائد بإقامة الشرع الرباني الصحيح وتوحيده سبحانه وتعالى في الأرض . ويجب أن نعلم الفرق بين منزلتي النبوة والرسالة .

فالنبوة : هي اصطفاء واختيار رباني لأحد خلقه المخلصين فينبأ ويبعث في قوم بدين سابق يؤمر ويكلف بتبليغه .

أما الرسالة : هي إرسال النبي إلى قومٍ يدعوهم إلى الله تعالى بدينٍ جديد يؤمر ويكلف بتبليغه .

من هنا نعلم أن كل رسولٍ كان قبل ذلك نبياً، نبئ ثم بعد ذلك أرسل، إذن فكل رسولٍ نبي، ولكن النبي ليس شرطاً أن يدرك بعد نبوته الرسالة، إذن فليس كل نبيٍ رسولاً .

وعموماً فكلٌ من النبي والرسول في حقيقة الأمر مرسلٌ من عند الله جلت عظمته لخلقه بشراً ونذيراً، قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ ﴾[1].

موقفنا من الأنبياء والرسل

على كل مسلم اعتقاد عدة أمور في الأنبياء والرسل، هي :

١- وجوب الإيمان بهم جميعاً لأنهم من عند الله عز وجل .

٢- تصديقهم واتباع دعوتهم لأنها إلى توحيد الله تعالى وعبادته .

٣- عدم التفريق بينهم كالإيمان ببعض والكفر ببعض .

٤- الاعتقاد بأنهم أفضل الناس خَلقاً وخُلقاً وأحسنهم عملاً وأصدقهم وأنصفهم وأعدلهم قولاً وفعلاً .

٥- أنهم معصومون عن كل القبائح والنقائص والرذائل والعيوب ولا سيما الذنوب، وهم موصوفون بالفضائل والمكارم ومحاسن الأخلاق .

---

[1] سورة الحج .

٦- أنهم من جملة البشر من الإنس، وأن جميعهم من الرجال وليس للنساء حظ في النبوة[1].

٧- أنهم فقراء إلى الله تعالى محتاجون له مؤيدون من عنده تعالى بالمعجزات والكرامات فلا يجوز الغلو فيهم وجعلهم آلهة .

٨- أن النبوة والرسالة ليست شيئاً مكتسباً بكثرة الطاعة والعمل الصالح وإنما اصطفاء واختيار رباني من الله سبحانه .

٩- أن نؤمن بأن أولهم أبونا آدم عليه السلام وكان نبياً وأن أخرهم وخاتمهم هو محمد ﷺ وكان نبياً ورسولاً فلا نبوة بعده .

١٠- أن محمداً ﷺ هو أفضلهم وهو للأنس والجن كافةً وهو صاحب المقام المحمود (الشفاعة) وأن دعوته مستمرة إلى قيام الساعة وناسخة لكل الرسالات السابقة .

ذكر الأنبياء والرسل

أولاً : ورد ذكر أسماء بعض الأنبياء والرسل في القرآن الكريم صريحاً وعددهم هو (٢٥) نبياً ورسولاً وهم :

---

[1] الإجماع على أن كل الأنبياء عليهم السلام من الرجال، واختُلِف في مريم عليها السلام هل نبأت أم لا مع العلم أنه لم يوح إليها شيء، وإنما سبب الخلاف هو أن الله تعالى أرسل إليها مَلَك فكلمها ونفخ فيها .

١- الأنبياء هم : (أدم، إدريس، إسحاق، يعقوب، يوسف، داود، سليمان، ذو الكفل، اليسع، أيوب، الياس، يحي) عليهم الصلاة والسلام جميعاً .

٢- الرسل هم : (نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، يونس، شعيب، موسى، هارون، زكريا، عيسى، محمد) عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

ثانياً : ورد ذكر بعض القصص لبعض الأنبياء في القرآن الكريم ولكن دون تصريح أسمائهم في عدة سور ومنهم :

١- العزير في سورة البقرة آية (٢٥٩) .

٢- شمويل في سورة البقرة آية (٢٤٦ - ٢٥٢) .

٣- حزقيل في سورة البقرة آية (٢٤٣) .

٤- يوشع بن نون في سورة الكهف أية (٦٠) .

٥- أرميا في سورة الإسراء آية (٢ - ٨) .

ثالثاً : ورد ذكر بعض الأنبياء في السنة النبوية المطهرة ومنهم :

١- ذكر شيث . قال ﷺ : (**أنزل على شيث خمسون صحيفة**)[١].

[١] رواه ابن حبان وأبو نعيم في حلية الأولياء .

٢- ذكر دانيال . قيل إنه عليه السلام دعا الله تعالى أن تدفنه أمة محمد ﷺ فوجدوه في فتح تستر : وجده رجل يقال له حرقوص من جيش أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه .

رابعاً : كثير من الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم لا في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة منهم (اشعيا) والله تعالى أعلى وأعلم .

عدد الأنبياء والرسل

١- جملة الأنبياء والرسل الذين ذكروا في القرآن الكريم بأسمائهم (٢٥) .

٢- مجموع عدد الرسل (٣٠٠ وبضعة عشر رسولاً) .

٣- مجموع عدد الأنبياء (١٢٤ ألفاً وبضعة نبي) .

٤- عدد الذين تكلموا باللغة العربية (٤) فقط هم (هود، صالح، شعيب محمد) عليهم الصلاة والسلام جميعاً .

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله كم وفَّى عدة الأنبياء قال ﷺ : (**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جماً غفيراً**) . وفي رواية قوله : (**أربعة من العرب هود وشعيب وصالح ونبيك محمد**)[1].

[1] رواه أحمد والحاكم وابن حبان وأبو داود الطيالسي والطبراني في الكبير والبيهقي في الأسماء والصفات، والحديث طويل هذا جزء منه . والرواية عند ابن حبان .

قال تعالى :

﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾

[الحجر]

﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾

[الرحمن]

الجان

وهم أمةً من البشر اللطيف الشفاف الذي لا يرى بعين بني آدم، وأصل خلقهم من مارج النار وهو (اللهب الخالص) الذي لا دخان له .

وقد خلقهم الله تعالى وأسكنهم الأرض قبل خلق آدم فأكثروا فيها الفساد وتمادوا في الطغيان والمعاصي والذنوب فأرسل الله تبارك وتعالى إليهم الملائكة نُذُراً لهم فعصوهم فحاربوهم وقتلوهم وأجلوهم إلى أطراف البحار والجزر .

وكان إبليس صغيراً فأسروه وصعدوا به معهم إلى السماء فتربى فيها مع الملائكة واجتهد في العبادة، وعندما أمر بالسجود لآدم عليه السلام امتنع .

وقيل : إن إبليس كان من أشراف ملائكة السماء الدنيا وكان أكثرهم عباده وكان من حي يقال لهم (الجن) وكان اسمه عزازيل وكان له أربعة أجنحة وعندما امتنع من السجود لآدم مسخ شيطاناً رجيماً وطرد من الجنة (لعنه الله) .

وقيل : إن الله تعالى خلق الملائكة والجان من جنس واحد فمن طهر فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بينهما فهو جن .

الراجح من الأقوال :

وهو أن إبليس كان من الجن وليس من الملائكة قـــط، لأن الملائكة لم يخلقوا للاختيار كالجن والإنس، إنما هم مجبولون على الطاعة، وكذلك (الثابت في القرآن الكريم) أنه خلق من النار فهو من الجن وليس من النور كالملائكة، وذلك بنص الآية الكريمـــة : ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴿٥٠﴾ ﴾[1] .

المقصود :

أن الجن كبني آدم منهم المسلمون ومنهم الكـــافرون وهـــم أمثالنا يموتون ويحيون ويأكلون ويشربون، ولكـــن الشـــياطين لا يموتون إلا بعد موت إبليس لعنة الله عليهم، وهم خارجون عـــن طاعة الله عز وجل ومطرودون من رحمته وليس لهم فرصة التوبة، وأبوهم ورئيسهم هو إبليس لعنه الله تعالى وعرشه على الماء، بينما الجن لهم فرصة التوبة والإنابة والرجوع إلى الله تعالى .

وقيل : الشياطين أولاد إبليس وهم لا يموتون إلا معه، **وقيل** : من الجن العفاريت والمردة والشياطين .

ويعد الجن (٣) طوائف فمنهم ذوو الأجنحـــة الطيـــارون، ومنهم الظاعنون في البيوت مع الإنس، ومنهم الذين على أشكال

---

[1] سورة الكهف .

الحيوانات كالأفاعي والثعابين، و**قيل** : هم (٣) أصناف صنف في البر وصنف في البحر وصنف في الهواء .

ويقال : إنه ما من موضع مقدار أربعة أصابع من الأرض إلا ويوجد فيه من الجن من هو قائم أو قاعدٌ أو نائم لكثرة انتشارهم، فيه دليل على كثرتهم وانتشارهم في الأرض[1]. والله تعالى أعلى وأعلم .

و**قيل** : إن الله تعالى خلق في فخذ إبليس اليمنى ذكراً وفي اليسرى فرج فهو ينكح هذا بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات ويخرج له من كل بيضة سبعون شيطان وشيطانه أعداء لبني آدم .

[1] ولذلك علمنا رسول الله ﷺ كيفية تحصين أنفسنا وذوينا بالأذكار الصباحية والمسائية حتى لا يقع علينا أذىً من أي مخلوق ولا سيما هؤلاء الجن والشياطين المنتشرين في الأرض .

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾ ﴾
[البقرة]

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا
وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ
عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[البقرة]

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ
مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾[الحجر]

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾
[ص]

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾
[الرحمن]

آدم عليه السلام

هو أبونا (آدم) عليه السلام أبو البشر خلقه الله تبارك وتعالى من تراب بيده المنزهة تكريماً له ولذريته، وكان في الجنة وخلقت حواء من ضلعه الأيسر الأقصر .

وقيل : بل خُلقت من فضلة طينته عليه السلام . ثم اهبطا إلى الأرض بعد أكلهما من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها .

قصة خلق آدم :

أخبر الله تعالى ملائكته بأنه سوف يخلق بشراً من طين وسيجعله في الأرض خليفة وستتكاثر ذريته، فاستفهم الملائكة حرصاً وظناً منهم أن هؤلاء البشر ربما سيكونوا كالجن الذين سبقوهم سكناً في الأرض وفساداً ومعاصي وكفراً .

ولكن الله تبارك وتعالى قال لهم : إني أعلم مالا تعلمونه وأن هؤلاء البشر من بني آدم سيكون منهم الأنبياء والمرسلون والصالحون والأولياء وفي خلقهم مصلحة لهم .

خلق آدم عليه السلام :

أرسل الله تبارك وتعالى جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأخذ من ترابها فقالت له الأرض : أني أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو

أن تشينني فعاد و لم يأخذ منها شيء، فأرسل الله تعالى في المرة الثانية إليها ميكائيل ليأخذ منها فقالت له نفس القول فعاد و لم يأخذ منها شيء، فأرسل الله تبارك وتعالى في المرة الثالثة إليها ملك الموت فقالت له نفس القول فرد ملك الموت عليها وقال : أنا أيضاً أعوذ بالله ألا أنفذ أمره، وأخذ من وجه الأرض من عدة أماكن متفرقة تربةً مختلفة بيضاء وحمراء وسوداء وخلطها وصعد بها إلى السماء .

بعد ذلك :

أُخِذ هذا التراب وبُلّ بالماء فصار طيناً لازباً (لزجاً) وبقي على هذه الهيئة مدة (٤٠) سنة حتى جف وصار طيناً يابساً له صوت (يصلصل) كالفخار وهو (الصلصال) ثم نفخ فيه الروح وهي بداية التكوين .

جانب الملائكة :

أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة أن يسجدوا لهذا الطين إذا نفخت فيه الروح وأنه سبحانه خلقه بيده تكريماً له، فكانت الملائكة تمر على آدم وهو طين يابس كالفخار فتفزع منه، وكان إبليس لعنه الله تعالى أشدهم فزعاً منه فكان يدخل من فم آدم

وهو لا يزال طيناً ويخرج من دبره، وكان لعنه الله يركله برجله ويضربه فيصوت الطين ويصلصل كالفخار ويقول إبليس لعنه الله تعالى : (لأن سلطت عليك لأهلكنك ولأن سلطت علي لأعصينك) .

..(**وهذا دليل على قدم عداوة إبليس لآدم ولذريته من بعده**)..

عوده لآدم عليه السلام :

وبعد حين من الزمن وفترةٍ مقدرة من العلي الكبير نفخت الروح في آدم فلما دخلت الروح في رأسه عطس فقالت له الملائكة : قل الحمد لله فقال : الحمد لله، فقال الله تعالى له : رحمك ربك، ثم قال الله تعالى له : اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة فسلم عليهم فجاء وقال لهم : السلام عليكم، فردوا عليه وقالوا : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم عاد لربه فقال الله تعالى له : هذه تحيتك وتحية بنيك من بعدك، وهنا قال الله سبحانه وتعالى لآدم : اختر إحدى يدي فاختار يمين ربي (وكلتا يدي ربي يمين) فبسط الله تبارك وتعالى يده الشريفة فإذا ذرية آدم عليه السلام فيها . **قيل** : إن الله سبحانه وتعالى مسح بيمينه على ظهر آدم عليه السلام فأخرج ذريته من أهل الجنة ثم مسح أخرى

فأخرج ذريته من أهل النار وهنا أشهد الله تعالى بني آدم على أنفسهم وأنه ربهم فأقروا بذلك .

عودة للملائكة :

أمر الله تبارك وتعالى بعد ذلك ملائكته أن يسجدوا لآدم عليه السلام تكريماً له فسجدوا له كلهم أجمعون **إلا إبليس أبى واستكبر** جحوداً وحسداً وقال أنا خيرٌ منه خلقت من النار وخلق هو من الطين فطرده الله تعالى من الجنة ومن رحمته أبدا . وهنا توعد إبليس لعنه الله تعالى لأن يغوين بني آدم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً بكل ما أمكنه وأن يترصد لهم بكل صراط، فقال الله سبحانه لإبليس : ﴿ **إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾** ﴾[1] .

عوده لآدم عليه السلام :

أدخل الله تعالى آدم عليه السلام الجنة وأسكنه فيها فكان فيها وحيداً وذات مرة نام وعندما استيقظ وجد عند رأسه امرأة خلقت من ضلعه الأيسر ليسكن إليها وهي (حواء) . وقال الله تعالى لهما : كُلا ما أردتما من الجنة إلا هذه الشجرة فلا تقرباها

[1] سورة الحجر .

(وقد اختلف في هذه الشجرة واسمها) . **قيل** : (إن إبليس لعنه الله دخل الجنة وهو مختبئ في فم الحية) .

ولما دخل إبليس لعنه الله تعالى الجنة أخذ يوسوس لآدم وحواء فيها فقال لهما : (**إن الله تعالى ما منعكما من أكل هذه الشجرة إلا لأنكما ستخلدان في الجنة وستصبحان ملكين**) وأخذ يوسوس لهما حتى حلف لهما بالله إنه لصادق فصدقاه لحلفه بالله تعالى وأكلا من الشجرة، **قيل** : إنه جاء لحواء فأغواها فما زالت بآدم حتى أغوته هي، وهنا بدت وظهرت عوراتهما وعلما إنهما عريانان ففر آدم يريد الغطاء فناداه ربه أتفر مني يا آدم ؟ فأجاب ربه لا يا رب ولكن حياء منك، فطفق ورق الجنة وبدء يتساقط عليهما ليستر عوراتهما، واعترف آدم بذنبه وخطيئته تلك وتاب إلى الله تعالى، فتاب الله عليه .

.....(**فسبحان التواب الرحيم**).....

بعد ذلك :

أهبط الله تعالى آدم عليه السلام وحواء إلى الأرض وأهبط إبليس وأهبط الحية التي ساعدته في دخول الجنة وقد مسخت فقد كانت بأربعة قوائم وبجناحين . فأهبط آدم عليه السلام بأرض الهند وأهبطت حواء بجده وأهبط إبليس بالبصرة فهي قرن الشيطان وأرض الفتن كما في الحديث .

عوده لآدم عليه السلام :

مكث آدم عليه السلام بعدما أهبط من الجنة أياماً لا يأكل وأصابه الحر فبكى لذلك فجاءه جبريل عليه السلام وأعطاه حبات من الحنطة وعلمه أن يبذرها ثم يحصدها فيطحنها ويعجنها فإذا صارت خبزاً يأكلها ففعل .

وأتى جبريل عليه السلام إلى حواء بقطن وعلمها كيف تغزل، ثم علم آدم كيف يأتي أهله، ثم علمه بعد ذلك كل أمور الحياة الدنيا .

بعد ذلك :

ولد لآدم أبناء فكان يلد له في كل بطنٍ ذكراً وأنثى فيزوج آدم عليه السلام ولد كل بطنٍ بأنثى البطن الثانية وهكذا، فولد له في البطن الأولى (هابيل وأخته) ثم ولد له في البطن الثانية (قابيل وأخته) .

وكان هابيل راعي غنم، وكان قابيل مزارعاً، وكان كما أمره الله تعالى يزوج ذكر كل بطن بأنثى البطن الأخرى فغضب قابيل واعترض لأنه أراد الزواج من أخته التوأم لجمالها، فغضب آدم من موقف قابيل ذلك ثم أمرهما أن يقربا لله تعالى قرباناً فمن تقبل قربانه تزوج تلك البنت المتنازع عليها، فقرب هابيل جذعه

سمينه من رعيه وقرب قابيل حزمة زرع رديئة، فأتت نـــارٌ مـــن السماء أكلت قربان هابيل (**وقد كانت سنة الأمم السابقة لمعرفـــة قبول العمل**) .

وهنا غضب قابيل وأضمر الشر لأخيه وقال له لأقتلنك، فقال هابيل إنما يتقبل الله من المتقين . ونصح هابيل أخاه قابيل فلم يتعظ ويعتبر بذلك بل وأخذ يترقب قتله حتى تم له ما أراد وقتله فعجـــز عن التخلص من جسده الملقى على الأرض .

قيل : إن هابيل كان أقوى من قابيل فعمد قابيل إلى حيلـــة وهي أنه ترقب قتل أخيه بحجرٍ كبير ألقاه عليه من علـــو فوقـــع الحجر على هابيل فقتله .

سنة الدفن :

أرسل الله تعالى غرابين يقتتلان فقتل أحدهما الآخر ثم وارى جسده في التراب (**فكانت سنة دفن الميت لبني آدم عليه السلام**) . ولما رأى قابيل ما فعله الغراب أخذ يواري جسد أخيه الملقـــى على الأرض وهو يقول يا ويلتي أعجزت أن أواري سوءة أخـــي، وندم ندماً كبيراً من فعلته تلك، ولما علم آدم عليه السلام بقتـــل قابيل أخيه هابيل حزن حزناً شديداً عليه . بعد ذلك ولـــد لآدم عليه السلام ولد سماه شيث وعهد إليه بكل شيء من بعده .

وفاته عليه السلام :

حضرت آدم عليه السلام الوفاة وهو عند ابنه شيث فعلمه كل شيء كان وكل ما سيكون وأعلمه بوقوع الطوفان (والمقصود الطوفان الذي سيقع في أيام نوح عليه السلام) .

ومات آدم عليه السلام يوم الجمعة وجاءته الملائكة بكفن وحنوط من الجنة فغسلوه وكفنوه ثم لحدوه في القبر ... **قيل** : في المكان الذي نزل فيه في الهند، **وقيل** : في جبل أبي قبيس في مكة المكرمة . **وقيل** : عاش آدم عليه السلام (١٠٠٠) سنة .

احتجاج آدم وموسى عليهما السلام

ورد في الصحيح (احتجاج آدم وموسى) عليهما السلام . وصميم الاحتجاج، قال نبينا الكريم ﷺ : (**حاج آدم موسى عليهما السلام فقال له أنت الذي أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم فقال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه أتلومني عليّ أمر قد كتبه الله على قبل أن يخلقني أو قدره عليّ قبل أن يخلقني، فقال رسولنا الكريم فحاج آدم موسى**)[1]. أي غلبه بحجته .

.....[هذه إحدى روايات الاحتجاج الواردة] .....

[1] رواه مسلم .

توضيح :

إن هذا الكلام لا يعتبر من باب الاحتجاج بالقدر كما يدعي أهل الكلام والقدرية لأن هذه المحاجة حصلت في حياة البرزخ بعد الموت .

وصميم الاحتجاج : (أنه وقع من موسى فأجابه آدم عليهما السلام وبين له الحكمة من ذلك) .

١- ليس هو الذي أخرج الناس من الجنة وإنما قد رتب الله تعالى خروج الناس ليجعلهم في الأرض لينظر كيف يعملون وجعل ذلك بأكلي من الشجرة .

٢- إن الله عز وجل قد خلقني ليجعلني في الأرض خليفة وليس ليخلدني في الجنة، وأن حقيقة ما قد حصل إنما هو تحصيل حاصل لا بد منه، وترتيبات في علم الله تعالى قضاها .

٣- إن الله تعالى قدر للجنة من يستحقها وللنار من يستحقها فجعل الدنيا دار ممر وابتلاء لتمحيص الناس وجعل الآخرة هي دار المصير وكلاً مجازى بما قدم في دنياه .

٤- إن آدم عليه السلام لم يقصد إخراج نفسه وذريته بأكله من الشجرة، ولكن كان أكله من الشجرة سبب خروجه من الجنة، فوقع عليه ما لا يريد جزاء ما فعل .

٥- إن أكل آدم عليه السلام من الشجرة كان قبل نبوته يبين ذلك قوله سبحانه في سورة طه : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ . واجتباه أي جعله نبياً .

٦- إن هذه المحاجة التي حصلت بين آدم وموسى عليهما السلام قد حصلت في عالم البرزخ لحكمة اقتضتها مشيئة الله تعالى وليس في الدنيا .

الدروس والعبر المستفادة من قصة آدم عليه السلام

١- حقد إبليس لعنه الله تعالى القديم على أبينا آدم عليه السلام وغايته في إضلال ذريته من بعده وخروجهم من الجنة .

٢- كل معصية دافعها الشهوات يرجى لها توبة، وكل معصية دافعها الكبر لا يرجى لها توبة .

٣- إن التوبة النصوح تغسل الذنوب والمعاصي وتمحو الزلل والخطأ .

٤- أول معصية كانت في السماء هي الكبر والحسد والاعتراض على حكم الله تعالى من قبل إبليس لقياسه الفاسد الخاطئ لعنه الله تعالى، وأول معصية في الأرض هي الحسد أيضاً لحسد قابيل أخاه هابيل .

٥- إن خروج آدم عليه السلام من الجنة كان مقدراً قبل أن يخلق وأكله من الشجرة مجرد تحصيل حاصل لا بد منه فهو مرتب حسب الأقدار .

٦- إن معصية آدم كانت قبل نبوته عليه السلام لقوله تعالى في سورة طه : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

٧- وجوب الأخذ بالأسباب للسعي وكسب الرزق .

٨- إن الإخلاص في العمل من أول شروط قبوله .

٩- احتمال كون الجنة التي خرج منها آدم عليه السلام ليست هي جنة الخلد لأنه قد خلق ليكون خليفة في الأرض لا ليسكن الجنة بصفة أبدية .

١٠- إن علم الله تعالى ليس له حدود ولا قِبَل للبشر للوقوف عليه أبداً .

١١- الحذر من خطوات الشيطان الرجيم ومكائده ووساوسه والعمل على تجنبها والبعد عنها وعن تتبعها .

١٢- ضعف الجنس البشري وفقره إلى الله سبحانه تعالى وحاجته إليه أبداً .

١٣- وجوب المسارعة بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى عند الوقوع في الخطاء .

١٤- وجوب الاعتراف بالذنب وعدم المعارضة لحكم الله تعالى، لأن الاعتراف بالذنب من أول خطوات محوه .

١٥- فضل آدم عليه السلام وذريته لتكريم الله تعالى لهم حين خلقهم بيده المنزهة وبسجود الملائكة الكرام عليهم السلام لهم .

١٦- حفت الجنة بالمكاره، وأن النار حفت بالشهوات .

١٧- جواز الاحتجاج بالقدر عند المصيبة لأنه قدر كوني، وتحريم الاحتجاج بالقدر عند المعصية لأنه قدر شرعي .

١٨- القدر الكوني ما كان خارج طاقة الإنسان مثل المرض والفقر والموت والرزق كل ذلك خارج إرادة الإنسان، لذا جاز الاحتجاج بالمصيبة التي وقعت عليه . أما القدر الشرعي فهو ما كان بإرادة الإنسان وله فيه اختيار كأن يختار الطاعة أو المعصية وكأن يختار نوع أكله وشربه ولبسه وما إلى ذلك لذا لا يجوز له الاحتجاج بما فعله بإرادته من معصية ثم يحتج بها .

١٩- معرفة أن علامة قبول العمل التي كانت في الأمم السابقة هي نزول نار من السماء تأكل القربان .

٢٠- قال رسول الله ﷺ في القتل : (**ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل**)[1].

---

[1] رواه البخاري .

الباب الثاني : أولوا العزم من الرسل .

﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحقاف]

- **نوح عليه السلام**
- **إبراهيم عليه السلام**
- **موسى عليه السلام**
- **عيسى عليه السلام**

وهم الذين كان صبرهم في مجال الدعوة إلى الله تعالى أكثر من غيرهم من الأنبياء والرسل .

النسب الشجري لنوح عليه السلام

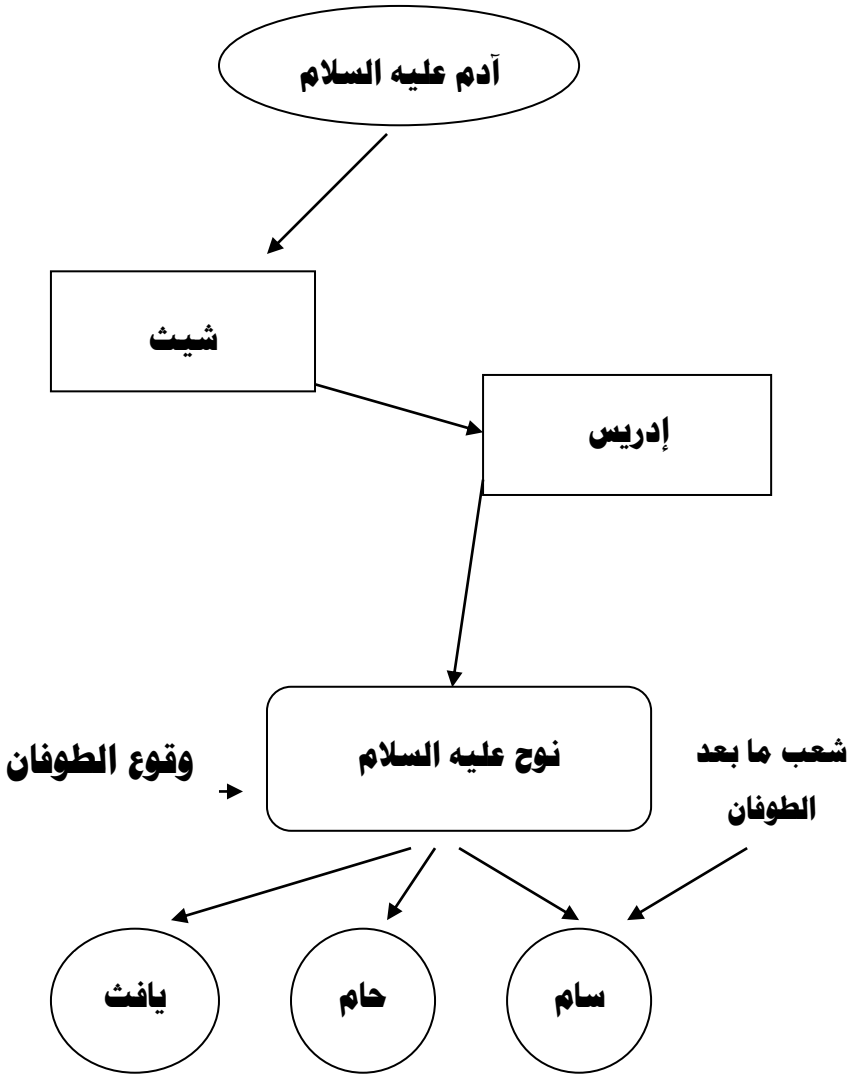

مدة حياته : (١٣٥٠) سنة .

ورد ذكر نوح في القرآن الكريم (٤٣) مرة .

قال تعالى :

﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ ﴾[الأعراف]

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٥ ﴾[العنكبوت]

نوح عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (نوح) بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ (إدريس) بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن انوش بن شيث بن آدم عليهم السلام .

ونوح عليه السلام **قيل** في اسمه : (عبد الجبار) وكان بينه وبين آدم عليه السلام عشرة قرون كلها على الإسلام .

ومكث عليه السلام في قومه يدعوهم لدين الله تعالى (٩٥٠) سنه، وقد بعث فيهم وعمره (٥٠) سنة وعاش بعد الطوفان (٣٥٠) سنه، فيكون مجموع عمره (١٣٥٠) .

...(**وهذا العمر فيه خلاف والله تعالى أعلى وأعلم**)...

تمهيد :

قال ﷺ : (**كان بين آدم ونوح عشرة أقرن كلها على الإسلام**)، وفي رواية : (**كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على "الإسلام" شريعة الحق فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين فكانوا أمة واحدة**)[1]. بعدها بدأت عبادة الأصنام .

[1] رواه ابن أبي شيبة والحاكم والطبراني في الكبير والأوسط . وذكرة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة .

بداية الكفر :

كان هناك (٥) رجال صالحين وهم (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) فلما هلك هؤلاء الخمسة بعد حينٍ من الدهر جاء إبليس لعنه الله لقومهم وقال لهم صوروهم في مجالسهم حتى تذكروهم بخير فلا تنسوهم أبدا، فصوروهم، وعندما تقادم العهد وهلك القوم جاء إبليس لأبنائهم وذراريهم من بعدهم وقال لهم إن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الأصنام فعبدوها :

﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1]

.....وكانت هذه بداية الشرك والوثنية .....

قصته :

بعث الله تعالى نوحاً عليه السلام إلى بني راسب وهم قومٌ عبدوا الأصنام واتخذوها آلهةً تعبد من دون الله تعالى فدعاهم إلى عبادة الله وتوحيده وحده وترك عبادة الأصنام، واستخدم معهم عليه السلام كل طرق الدعوة (سراً وجهراً، ليلاً ونهاراً، جماعاتٍ وأفراداً) فلم ينفع معهم من ذلك شيء إلا تمادياً في الكفر فكان

[1] سورة نوح .

الجيل ينشأ على الكفر حتى كان الكبار منهم يعلمون الصغار الكفر بدعوة نوح عليه السلام، ويقولون لهم : إن هذا الرجل مجنون وكذاب فلا تصدقوه أبداً ولا تتبعوه ولا تسمعوا منه، فتعاقب القوم الكفر على ذلك ونشأت أجيال كلها توارثت الكفر والشرك بالله تعالى .

وهنا أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن منهم سابقاً، فاغتم نوح عليه السلام وحزن لذلك ثم إنه دعا على قومه بالهلاك لأنهم لن يلدوا إلا فاجراً كفاراً مثلهم فيضل العباد من بعدهم، واستجاب الله تعالى دعوة نوح عليه السلام على قومه وأمره أن يبني سفينةً وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين من الدواب .

وأخذ نوح عليه السلام بغرس الشجر كي يصنع منه السفينة، **قيل** : إنه عليه السلام غرس الشجر (١٠٠) سنة ونخره في (١٠٠) سنة أخرى و**قيل** : في (٤٠) سنة . وبعد ذلك أخذ عليه السلام بصنع السفينة **قيل** : وأعقم الله تعالى أرحام قومه الكافرين فلم يولد لهم ولد بعد ذلك .

وسفينة نوح عليه السلام كانت أول سفينة تُصنع ولذلك كان قومه كلما مروا على نوحٍ والمؤمنون معه سخروا منهم، وكان نوح والمسلمون معه يسخرون منهم كذلك وهم لا يعلمون

عاقبة أمرهم . وأخذ نوح عليه السلام ببناء السفينة فكان طولها (٨٠) ذراعاً وعرضها (٥٠) ذراعاً وارتفاعها (٣٠) ذراعاً ولها (٣) طوابق، العلوي للطيور، والأوسط للناس، والسفلي للبهائم والدواب .

السفينة والناجون :

وبعد انتهاء البناء من السفينة حمل نوح عليه السلام فيها من كل دابة زوجين اثنين، وفي اليوم الموعود المقدر فاضت الأرض ماءاً وأنزلت السماء ماءاً ﴿ فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾[1].

وهنا نادى نوح ابنه (كنعان) وكان كافراً وقد كان في معزلٍ عن السفينة أن يا بني اركب معنا فأبى وقال بل سأصعد الجبل فلن يدركني الماء فغمر تحت الطوفان .

وغطى الماء كل وجه الأرض وأدرك كل سهلٍ وجبلٍ وشاهق ولم ينج أحد إلا من قد آمن بالله تعالى وركب السفينة، و**قيل** : ارتفع الماء على أعلى جبل (١٥) ذراعاً، وكان عدد الذين آمنوا وركبوا مع نوح عليه السلام السفينة (٨٣) شخصاً و**قيل** : غير هذا العدد .

---

[1] سورة القمر .

ويروى : أن امرأةً من قوم نوح صعدت الجبل خوفاً من الغرق فأدركها الماء فرفعت ابنها فوق رأسها فغمره الماء، وقد قال نبينا الكريم ﷺ : (**لو رحم الله من قوم نوحٍ أحد لرحم أم الصبي**)[1].

واستمرت السفينة في المسير فطافت بالبيت الحرام (٤٠) يوماً ثم استقرت على جبل الجودي في الموصل جوار نهر دجله .

ومكث نوح عليه السلام ومن آمن معه في السفينة (١٥٠) يوماً ثم هبطوا إلى الأرض على جبل الجودي يوم عاشوراء فصام عليه السلام ذلك اليوم شكراً لله تعالى وقرب له قرباناً وبنى له سبحانه مذبحاً، **قيل** : وجُعِل له عليه السلام ميثاقاً وهو (قوس قزح) وهو أمان من الغرق كما يروى .

أولاد نوح عليه السلام :

كان لنوح عليه السلام (٥) من الأبناء كما يذكر، وهم : (عابر) وقد مات قبل الطوفان . (كنعان) **قيل** : هو الذي مات في الطوفان وهو كافر . وثلاثة من أولاده نجوا معه، وكل من على الأرض الآن هم من نسلهم وهم (سام وحام ويافث) .

---

[1] رواه الحاكم وابن عساكر في تاريخه .

ويعد سام : هو أبو العرب والفرس والروم . **ويعد حام** : هو أبو الأحابيش والسودان والبربر . **ويعد يافث** : هو أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج . وقد قال ﷺ في ذلك : (**سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم**)[1] .

زوجة نوح عليه السلام :

كانت زوجة نوح عليه السلام خائنة لزوجها في دينه إذ لم تكن مسلمة لربها، فكانت تقول عن زوجها نبي الله أنه مجنون وكانت تفشي سره وسر المؤمنين معه وتدل الجبارين على من أسلم معه كي يفتنوهم في دينهم، فكانت نهايتها مع قومها أن ماتت غرقاً تحت الطوفان و لم ينفعها أنها كانت زوجة نبي، **قيل** : كان اسمها (والغة) .

نوح بعد الطوفان :

عاش نوح عليه السلام بعد الطوفان مدة ليست بمعروفه وثابتة **قيل** : إنها (٣٥٠) سنة، ثم توفي عليه السلام ودفن في مكة المكرمة بقرب البيت الحرام، وقد سمي عليه السلام (أبو البشر الثاني) لأن جميع أهل الأرض من نسل أولاده الثلاثة الذين نجوا معه في السفينة .

---

[1] رواه الترمذي وأحمد والبزار والحاكم والطبراني في الكبير .

قال رسول الله ﷺ : (**صام نوح الدهر إلا يوم الفطر ويوم الأضحى**) وفي رواية زيادة (... **وصام داود نصف الدهر وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر صام الدهر وأفطر الدهر**)[1].

الدروس والعبر المستفادة من قصة نوح عليه السلام

١- إن نوحاً عليه السلام هو أول رسول إلى أهل الأرض، وأن الشرك وعبادة الأوثان كانت قد بدأت في قومه الذين عبدوا الرجال الصالحين .

٢- كل أنساب البشر أصلها من أولاد نوح عليه السلام الثلاثة .

٣- بيان أن نوح عليه السلام هو أبو البشر الثاني وأن كل من لم يركب السفينة معه غرق في الطوفان لشموله الأرض .

٤- استغلال الشيطان الرجيم الفرص لإغواء العباد ووسوسته لهم وجعلهم يفعلون أصنام بأيديهم على أنها آلهةً تعبد .

٥- إيضاح أن النسب لا يغني من عذاب الله تعالى شيئاً كنسب نوح عليه السلام وابنه وزوجته الكافرين، وفي نفس الوقت معرفة أنه لربما كان من الزوجات والأبناء من هم أعداء للمرء على وجه الحقيقة .

---

[1] رواه ابن ماجة والرواية كاملة عند الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان والسيوطي في الجامع الصغير .

٦- صبر نوح عليه السلام العظيم على قومه (٩٥٠) سنة في مجال الدعوة واتخاذه كل طرق الدعوة وأساليبها الصحيحة السليمة لإرشادهم .

٧- معرفة أن الحق هو نهاية الأمور وأن الغلبة له مهما استطال الباطل وتمادى أهله في غيهم .

٨- استجابة الله تعالى لدعوة نوح عليه السلام، لما أُوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك أحد إلا من كان قد آمن فلا تحزن، وذلك لأن قومه كانوا مع الوقت يزدادون كفراً وعتواً وعناداً وتجبراً .

٩- شمول العذاب الجميع عند عدم تقبل دعوة الله تعالى والاستجابة لها .

١٠- حقارة عقول قوم نوح عليه السلام وذلك لاستمرارهم سنين طويلة على عبادة حجارة صماء وأصنام من صنع أيديهم ومجرد أوثان .

١١- بيان صبر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الكبير في مجال الدعوة إلى الله تعالى .

١٢- إن الحساب في الآخرة يلغي صلة القرابة، والقرابة الحقيقة هناك هي الصلة في الله عز وجل، أما قرابات الدنيا هذه فليس لها تأثير في الدار الآخرة، لأن القرابة الحقيقية فيها بالتقوى والعمل الصالح .

١٣- أن صلة القرابة بين نوح عليه السلام وابنه وزوجته ليست بذات قيمة أبداً، لأن الكفر يلغي القرابات ويهدم الحقوق بين الناس لاختلاف دينهم، والإسلام هو القرابة الحقيقية والأكيدة بين المسلمين، لذا شرع سبحانه أنه لا يرث مسلم كافراً ولا يرث كافر مسلماً أبداً لأنه لا علاقة حقيقية بينهما، وذلك لأن بنوة الأنبياء عليهم السلام بنوة إلتزام وإيمان وعمل وليست بنوة نسب وعصب، قال تعالى لنوح عليه السلام لما دعاه أن يرحم ولده الذي غرق : ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴿٤٦﴾﴾[هود] . لم يقل سبحانه : عامل غير صالح، أي أنه عمل عملاً غير صالح لأنه لم يؤمن بالله تعالى و لم يلتزم بشرعه سبحانه .

١٤- إن سفينة نوح عليه السلام طافت الأرض أثناء الطوفان الذي غمر الأرض كلها وقد كانت مكونة من (٣) طوابق حمل فيها من كل أنواع البهائم زوجين اثنين منها تناسلت البهائم بعد ذلك في الأرض .

١٥- يوم عاشوراء نجا الله تعالى فيه نوحاً عليه السلام ومن آمن معه لذا فهو يوم فاضل منذ قديم الزمن كما أن صيامه سنة في ديننا قال فيها ﷺ : (**وصيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله**)[١].

[١] رواه مسلم . وهو أيضاً في شأن موسى عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

النسب الشجري لإبراهيم الخليل عليه السلام

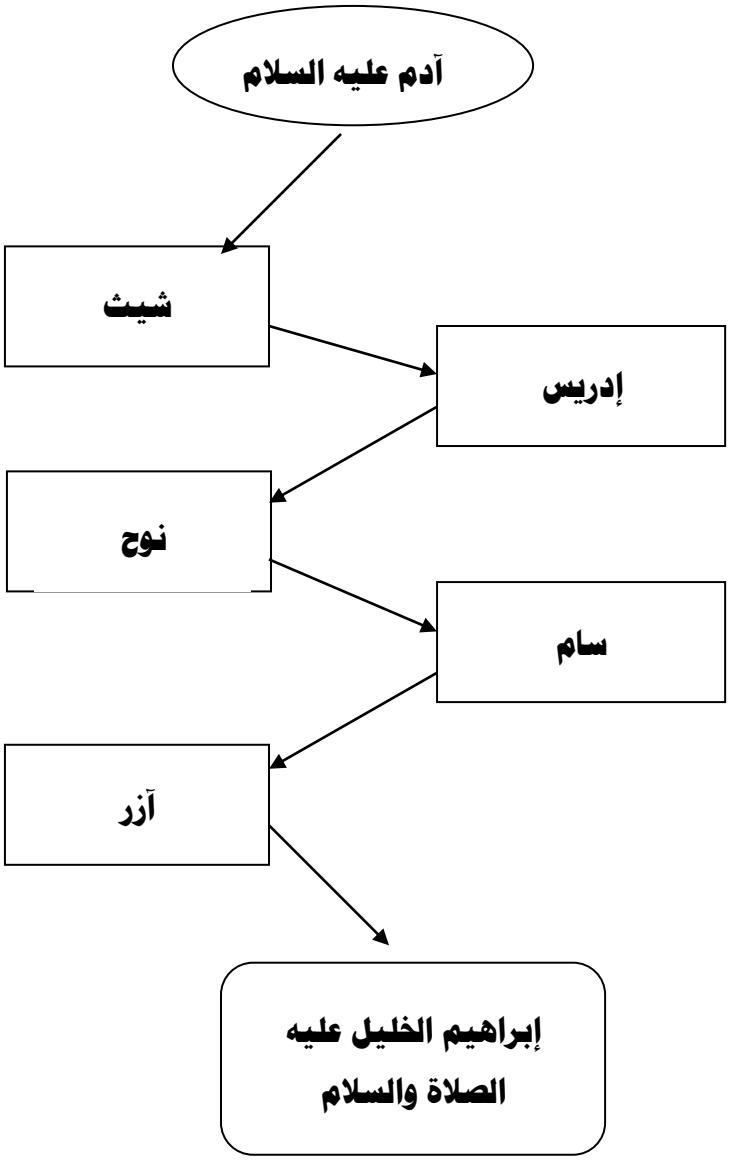

مدة حياته : (١٧٥) سنة .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٦٨) مرة .

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا
عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾
قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأنبياء]

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ
إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ
ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[العنكبوت]

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾
إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الزخرف]

إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام

التعريف بالنبي :

هو أبو الأنبياء وخليل الرحمن وإمام المتقين وصاحب الملة الحنيفية ...

(إبراهيم) بن تارح (آزر) بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام .

ولد عليه الصلاة والسلام (ببابل أرض الكلدانيين) وقد بلغ عمر أبيه آزر (٧٥) سنة، ولإبراهيم أخوان هما (ناحور، وهاران وهو أبو لوط عليه السلام) . **وقيل** : إن آزر هو عم إبراهيم وليس أباه والله أعلى وأعلم .

قصته :

كان (النمرود بن كنعان) ملك بابل ملكاً طاغياً في ملكه عاتياً قد نصب نفسه (إلهاً) يعبد من دون الله تعالى، وذات مرة رأى رؤيا فيها أنه سيولد في أرضه مولود يذهب ملكه على يديه .

فأمر بذبح كل غلام يولد وأمر بعزل الرجال عن النساء وقدر الله تعالى أن حملت أم إبراهيم به على وجه الخفية فلما ولدته وضعته في مغارة كي لا يطلع عليه أحد، **قيل** : مكث فيها خمسة

عشر شهراً و**قيل** : كان يرضع إلهامه رزقاً من الله تعالى له . ولما شب إبراهيم أخذ يتفكر في الكون فقال لأمه : من ربي ؟ قالت : أنا فقال، لها ومن ربكِ ؟ قالت : أبوك، فقال : ومن رب أبي ؟ قالت : النمرود، فقال ومن رب النمرود ؟ فقالت له : اسكت .

وكان أبوه آزر يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليبعها فكان عليه الصلاة والسلام يقول : (**من يشتري من لا يضره ولا ينفعه**) فلا يشتريها منه أحد . **قيل** : وكان يذهب بالأصنام إلى النهر فيصوِّب رؤوسها فيه ويقول لها اشربي استهزاءً حتى فشا في قومه أمر استهزائه بالأصنام .

قوم إبراهيم :

تزوج إبراهيم عليه الصلاة والسلام من سارة وخرج بها هو وأبوه وابن أخيه (لوط) خرجوا من أرض الكلدانيين (العراق) ونزلوا بحران وهي أرض الكنعانيين آنذاك وهي بيت المقدس .

وكان أهل تلك البلاد يعبدون الكواكب السبعة ولهم فيها مقال وأعياد واعتقادات كثيرة، وكان لدمشق (٧) أبواب وكان لكل باب منها (كوكب وهيكل) ولهم عندها قرابين وأصنام تعبد وطقوس تؤدى .

إبراهيم وأبوه :

كان أبوه آزر ممن يعبد الأصنام ويقوم بصناعتها وبيعها، فتلطف قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام بدعوة أبيه إلى الحق وعبادة الله تعالى وترك الشرك وعبادة الأصنام وحاوره بيسر القول ليبين له بطلان ما يعبده وعدم منفعته، ولكن أباه آزر لم يقبل دعوة ابنه إبراهيم بل وقال له اهجرني ولا تكلمني وفارقني زمناً، فقال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام لن يصلك مني مكروه وسأستغفر لك ربي، وهجره وقومه أجمعين ثم لما تبين له أنه عدو لله تعالى تبرأ منه ومما يعبد هو قومه :

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴿١١٤﴾ ﴾[1].

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[2].

إبراهيم وقومه :

لما شاع أمر استهزاء إبراهيم بالأصنام ناظر قومه ليبين لهم ربهم وخالقهم فقال لهم : إن ربي وربكم هو هذا الكوكب فلما غاب قال : إن ربي مطلع لا يغيب فلما رأى القمر قال : هذا ربي لأنه أبهى وأحسن وأكثر نوراً فلما غاب قال : إنه ليس بربي فلما

---

[1] سورة التوبة .

[2] سورة الزخرف .

رأى الشمس مشرقةً قال : هذا ربي هذا أكبر فلما غابت قال : يا قوم إن الله تعالى دائمٌ مطلع لا تخفى عليه خافيه وأن هذه الأجرام لا تنفع ولا تضر بل وأنها مخلوقه ومدبره من إله الحق والصدق كسائر المخلوقات .

وأنكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام عبادة الأوثان والأصنام وبين عجزها وبطلان الاعتقاد بها فرد عليه قومه قائلين له إنها آلهتنا نحن وآباؤنا من قبل، فأقسم بالله تعالى لأن يكيد لهذه الأصنام . وكان للقوم عيد يذهبون إليه كل عام، فذهبوا وتركوا إبراهيم بحجة منه وهي :

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾[1] .

ونلاحظ هنا (أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام عاملهم بنفس منطقهم الذي به يصدقون وبحجة اقتنعت بها عقولهم) .

فلما ذهب القوم إلى عيدهم انطلق إبراهيم عليه الصلاة والسلام مسرعاً إلى آلهتهم وقال لهم ساخراً : ألا تأكلون مالكم لا تنطقون ثم أخذ يحطمها جميعاً إلا كبيرهم أبقاه ووضع القدّوم بين يديه، ثم انصرف . ولما حضر القوم ورأوا ما قد حصل قالوا : من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ! فقال القوم : سمعنا فتىً يعيبهم ويحقرهم يقال له إبراهيم فأحضروه أمام الملأ ليشهدوا مقالته ....

[1] سورة الصافات .

(**وهذا ما أراده إبراهيم عليه الصلاة والسلام لتكون البينة والحجة عامة للجميع**) . فلما سألوه أأنت فعلت هذا ؟ أجاب :

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[1] .

وهنا قال القوم : إنكم أنتم الملومون لترك آلهتكم بدون حارس أو رقيب ثم عادوا لإبراهيم وفعلته وقالوا : حرقوه وانصروا آلهتكم . وهنا شاع أمر إبراهيم وبلغ النمرود من خبره فأحضره فكانت المناظرة . **قيل** : بل كانت مناظرة إبراهيم عليه السلام مع النمرود بعدما ألقي في النار ونجى منها .

المناظرة :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[2] .

وهي مناظرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع (النمرود بن كوش بن سام بن نوح) وكان قد استمر في ملكه (٤٠٠) سنة فطغى وبغى وادعى الربوبية لنفسه .

---

[1] سورة الأنبياء .

[2] سورة البقرة .

دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام النمرود إلى عبادة الله تعالى بعدما بين له أنه هو الخالق الرازق المستحق للعبادة، فأجابه النمرود قائلاً : أنا الخالق المستحق لذلك، فرد عليه إبراهيم قائلاً : إن الله تعالى يحي ويميت فقال النمرود : أنا أحي وأميت وجاء برجلين أحدهما حكم عليه بالقتل فأطلقه فقال : ها قد أحييته وجاء بالآخر ليس عليه قتل وقتله فقال : ها قد أمته فلم يجادله إبراهيم بل تركه في غيه وأتاه بحجة أقوى منها وقال له : إن الله تعالى يأتي بالشمس من المشرق فأت أنت بها من المغرب فبهت وحار النمرود وظهر عجزه وخذلانه .

﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[1] .

وهنا أمر النمرود بجمع حطب لإحراق إبراهيم فأخذ القوم يجمعونه ليحرقوه عليه السلام، ثم حفروا له حفرةً عظيمة وأضرموا فيها النيران حتى أنه من شدتها لم يستطيعوا أن يقتربوا منها بل وأن الطير في السماء كان إذا مر من فوقها سقط من شدتها، ففكروا في فكرة لقذفه فيها فصنعوا المنجنيق، ثم أخذوا يربطونه عليه السلام وهو يقول : (**لا اله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك**) .

[1] سورة البقرة .

قيل : ولما أجمعوا لقذفه قدموه وأشعلوا النار صاحت السماء والأرض وما فيها من الخلق إلى الله صيحة واحدة إلا الثقلين قالتا : (**أي ربنا إبراهيم ليس في أرضك من يعبدك غيره يحرق بالنار فيك فأذن لنا في نصره** .

قال الله تعالى :

إن استغاث بشيء منكم فلينصره وإن لم يدع غيري فأنا وليه

وقذفوه عليه السلام في النار بالمنجنيق وهو يقول : (**اللهم أنت الواحد في السماء وأنت الواحد في الأرض حسبي الله ونعم الوكيل**)، و**قيل** لما ألقي إبراهيم في النار قال : (**اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك**) .

قيل : وكان أول من صنع المنجنيق رجلٌ من الأكراد يسمى (هيزن) فخسف الله تعالى به .

قيل : إن جبريل عليه السلام عرض لإبراهيم وهو في الهواء فقال له يا إبراهيم ألك حاجة فرد عليه قائلاً : (**أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى**) .

ويروى : أن ملك المطر كان مستعداً ويقول متى أؤمر فأرسل المطر . فكان أمر الله تعالى أسرع وأنفذ حيث قال للنار :

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1] .

(**فسبحان رب النار وسبحان من أبطل عمل النار**) .

ويروى : أن جبريل عليه السلام كان معه في النار يمسح عرقه، وأن ملك الظل كان معه يظلله . ولما رأى القوم تلك الحالة الرهيبة أخذهم هيبة الموقف، وهنا قال أبوه آزر المعارض له ولدعوته :

(نعم الرب ربك يا إبراهيم) .

وقالت له أمه : لما رأته في النار على أحسن حالة يا بني أريد أن أجيء إليك فادع الله أن ينجيني من حر النار فدعا الله تعالى لها وجاءته وتعانقا وقبلته ثم عادت .

ويروى : أن كل دواب الأرض كانت تحاول إطفاء النار إلا (الوزغ) كان ينفخها لتزداد (لذا فقد أمرنا رسولنا الكريم بقتل الوزغ) .

قيل : إن إبراهيم مكث في النار (٤٠ أو ٥٠ يوماً)، والله تعالى أعلى وأعلم . **قيل** : لما خرج إبراهيم عليه السلام من النار قال له النمرود : (**إني مقربٌ إلى الله تعالى قرباناً لما رأيت من قدرته وعزته وما صنع بك**) .

---

[1] سورة الأنبياء .

فقال له إبراهيم عليه السلام :

لا يقبل منك مادمت على دينك، فقرب النمـــرود (٤٠٠٠) بقرة لله تعالى ثم كانت نهايته، وهاجر إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع من آمن به من قومه إلى مصر .

نهاية النمرود :

أرسل الله تعالى إلى النمرود (مَلَكاً) ينذره بالهلاك إن لم يتب في المرة الأولى ثم المرة الثانية ثم المرة الثالثة، فلم يتب، فجاءه الملك وقال له : اجمع جموعك عند طلوع الشمس فجمـــع النمـــرود جموعه وعند طلوع الشمس أرسل الله تعالى عليهم ســـرباً مـــن البعوض سد عين الشمس قتلت جيشه كله إلا النمرود بقـــي و لم يمت فأمر الله بعوضة فدخلت في (أنفه) فعاش بعدها (٤٠٠) سنة لا يهدأ له بال إلا إذا ضرب بالمرازيب والنعال لتسكن البعوضة في أنفه حتى مات على ذلك ذليلاً .

قيل : إن النمرود قال للملك الذي أرسل إليه : ألربك جند فقال له : نعم فقال له : فليقاتلني فعاد الملك وقال لـــه : اجمـــع جموعك إلى ثلاث وأمر الله تعالى خزنة البعوض أن يفتحوا بابـــاً منها فخرج منه ما شاء الله فأحاطت بجند النمرود حتى أكلـــت لحومهم ودوابهم إلا العظام وهو ينظر فقال له الملك : أتؤمن بالله

فقال : لا فأمر الله تعالى ببعوضة دخلت منخره حتى استقرت وسط دماغه وصارت تأكل حتى أصبحت كالفأرة فلا يهدأ له بال حتى يضرب بالمرازيب والنعال، حتى قال يوماً لأحد جنده : اضرب رأسي بالسيف فأموت وأستريح، فضربه ضربة قسم رأسه نصفين وقطع جناح البعوضة .

وهنا شكت البعوضة جناحها لله، فخيرها سبحانه بأن تحيا الدنيا فلا تموت أو يرد جناحها ولها عمرها فقط، فقالت : بل جناحي يا رب فرد جناحها، ولذلك كانت الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة كما جاء في الحديث النبوي الشريف .

سؤال إحياء الموتى :

وسأل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربه في أن يريه كيف يحي الموتى فقال له الله تعالى : أولم تؤمن وتوقن بقدرتي على ذلك، فأجاب إبراهيم عليه السلام : بلى ولكن ليطمئن قلبي، والمعنى (أن سؤاله كان عن الكيفية وليس عن إثبات القدرة لله تعالى) فأمره سبحانه أن يجمع إليه أربعة من الطير فيقطعهن ويخلط أجسادهن ثم أن يجعل على كل جبل (عدة جبال) جزءاً من قطع الطير ثم أن يدعهن إليه فيأتينه سعياً، ففعل، وأتته الطير ساعية إليه من كل جبل فكان هو الذي يركّب كل رأس في جسده وأي جسد لا

يقبل إلا رأسه، فسبحان الله والله على كل شيء قدير . وقد قال نبينا ﷺ : (**نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال ربي أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**)[1]. وقد أراد عليه والسلام الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين حتى يدرك حق اليقين .

ملك مصر الظالم :

وأمر الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يبني مذبحاً له في بيت المقدس فابتناه هنالك، ثم إن القحط أصاب أرض التيمن (الشام) فهاجر عليه السلام إلى أرض مصر ومعه ساره، وهنا ذكر الوشاة لملك مصر الظالم (سنان بن علوان) أنه يوجد رجلٌ له زوجةٌ حسناء، وكان من عادة هذا الملك الظالم التعدي على النساء، فأرسل إلى إبراهيم يريد منه أن يحضر له زوجته (ساره) وهنا قال له إبراهيم : إنها أختي وليست زوجتي وقال لزوجته : (قولي إنك أختي وأنت أختي في الإسلام ولا أعلم أحداً غيرك على وجه الأرض مسلماً) فلما حضرت ساره فتن بها الملك وأراد أن يتناولها فيبست يده عن ذلك فقال لها : ادعي الله لي ولا أضركِ بشيء فدعت الله تعالى له فأُطلقت يده (وعاد في الثانية كذلك) ثم

[1] رواه البخاري .

إنه ضاق بها ذرعاً ودعا بعض حجبته وقال له : إنك قد أتيتني بشيطان وليس بإنسان فأطلقها وأخدمها هاجر، وعادت إلى إبراهيم عليه السلام سالمة ومعها جاريتها هاجر[1].

وكان إبراهيم عليه السلام يصلي طوال الوقت ويدعو الله تعالى أن ينجي زوجته من ذلك الملك الفاجر .

ثم أخرج الملك إبراهيم من مصر ووهبه عبيداً وخدماً وأنعاماً ودواب كثيره وأرسله إلى أرض التيمن وهي (بيت المقدس) .

وعندما وصل إبراهيم عليه السلام إلى بيت المقدس أعطى لوطاً عليه السلام أموالاً وأنعاماً وأمره أن يرتحل إلى غور زعر .

البشارة بمولد إسماعيل :

بشرت الملائكة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بشارتين الأولى بغلام حليم وهو إسماعيل عليه السلام[1]؛ وذلك حين أرسل الله تعالى الملائكة إلى قوم لوط عليه السلام لإهلاكهم .

---

[1] هاجر عليها السلام لم تكن جارية مملوكة من جملة الرقيق، وإنما كانت من بنات الملوك أسرت في إحدى معارك قومها مع ملوك مصر .

قال ﷺ في شأن مصر : (**إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً**)[مسلم] .

فالذمة هي مارية القبطية رضي الله تعالى عنها، والرحم هي أم إسماعيل هاجر عليهما السلام .

فمروا في طريقهم على إبراهيم عليه السلام على صورة رجال أضياف فاستضافهم وذبح لهم عجلاً حنيذاً لكنهم لم يأكلوا منه شيئاً فأوجس منهم خيفة فقالوا له : لا تخف إننا رسل الله تعالى إليك وأخبروه بأن الله تعالى أرسلهم لإهلاك العصاة الظالمين من قوم لوط، ثم بشروه بمولد إسماعيل عليه السلام :

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[2].

مولد إسماعيل :

كانت ساره عاقراً لا تنجب فقالت يوماً لإبراهيم : إن الله تعالى قد حرمني الولد فادخل على جاريتي (هاجر) لعل الله تعالى أن يرزقك منها فدخل إبراهيم عليه السلام على هاجر فحملت (بإسماعيل) عليه السلام وهنا تعاظمت هاجر على سيدتها ساره فشكت ساره ذلك على إبراهيم فقال لها : افعلي بها ما شئتِ، فهربت هاجر خوفاً من ساره وما ستفعله بها، فلقيها مَلَك في الطريق وبشرها بما حملت وقال لها : ارجعي فعادت، ثم ولدت

---

[1] كانت البشارة الأولى بغلام حليم وهو إسماعيل، أما كانت البشارة الثانية فكانت بغلام عليم وهو إسحاق، عليهما السلام . وكان إسماعيل أكبر من أخيه إسحاق عليهما السلام بـ (١٣) سنة .

[2] سورة الصافات .

بعد ذلك إسماعيل عليه السلام، وهنا كثرت غيرة ساره من هاجر فقالت لإبراهيم : غيب وجهها عني فأخذها هي وابنها الرضيع إلى مكة .

قيل : إن ساره حلفت بالله أن تقطع (٣) أعضاء منها فأمرها إبراهيم عليه السلام أن تثقب أذنيها وأن تختتن فكانت أول امرأة تفعل ذلك . وضع إبراهيم عليه السلام هاجر وابنها الرضيع بوادي غير ذي زرع وأراد الانصراف فتعلقت هاجر بثيابه وقالت : لمن تتركنا يا إبراهيم وهو لا يجيبها حتى قالت : آلله أمرك بهذا فرد عليها : نعم فقالت : إذن لا يضيعنا .

..(**وهنا أمور حدثت سنذكرها في قصة إسماعيل عليه لسلام**)..

مجال الدعوة :

قيل : أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد كذب في مجال الدعوة إلى الله تعالى ثلاث مرات، قال ﷺ : (**لم يكذب إبراهيم قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله ... وواحدة في شأن سارة ...**)[1]. وهي :

---

[1] متفق عليه . والحديث بتمامه قوله ﷺ : (**لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام، قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله، قوله : إني سقيم، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت**

الأولى : لما طلب منه قومه الخروج معهم إلى عيدهم، فقال : (إني سقيم) وكانت فرصة سانحة ليظهر الحجة أمام قومه أجمعين وهو مجتمعون .

الثانية : لما سألوه أأنت الذي حطمت الأصنام ؟ فقال : (بل كبيرهم هذا فاسألوه) وكانت أيضاً فرصة له ليظهر عجز الأصنام أمامهم .

الثالثة : لما طلب منه ملك مصر الظالم أن يحضر زوجته فقال له : إنما هي أختي، وهو يقصد بقوله ذلك أنها أخته في الدين الحق وقد صدق .

أحسن الناس، فقال لها : إن هذا الجبار، إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، أتاه فقال له : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فأتي بها فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضتين الأوليين، فقال : ادعي الله أن يطلق يدي، فلك الله أن لا أضرك، ففعلت، وأطلقت يده، ودعا الذي جاء بها فقال له : إنك إنما أتيتني بشيطان، ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي، وأعطها هاجر . قال : فأقبلت تمشي، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف، فقال لها : مهيم ؟ قالت : خيراً، كف الله يد الفاجر، وأخدم خادماً) . ومهيم أي ما الخبر .

... فكانت تلك الكذبات في مجال الدعوة إلى الله تعالى[1] ...

أولاد إبراهيم عليه السلام :

تزوج إبراهيم عليه السلام (٤) نساء هن :

- ساره وأنجب منها إسحاق عليه السلام .
- ثم هاجر وأنجب منها إسماعيل عليه السلام .
- ثم قنطورا الكنعانية وأنجب منها (٦) أولاد هم : (مدين وزمران وشوح أو سرج ويقشان ونشق، ومادان) .
- ثم حجون بنت أمين فولدت له (٥) أولاد هم : (كيسان وسورج وأميم ولوطان ونافس) .

---

[1] تعليق : هل كذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام فعلاً . أولاً الكذب هو ما خالف الواقع، وجرى تصديق الكلام على المستمع . وعلى هذا فإبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكذب . فالكذبة الأولى جرت مجرى التعريض، أي أنه مريض لكفرهم بالله تعالى وعبادتهم الأصنام، وقومه يعرفون معارضته لهم وإنكاره أعيادهم وإعراضهم عنها . والكذبة الثانية جرت مجرى التهكم، لأنهم يعرفون أنه هو الفاعل الذي حطم الأصنام، لذا ألقوه في النار . والكذبة الثالثة جرت مجرى التورية، بأحد مضامين الكلام، فسارة فعلاً هي أخته في الإسلام .

وبهذا يتضح أنه لم يكذب عليه الصلاة والسلام . ولا سيما وأن قوله في المواقف الثلاثة لم يجر تصديق الكلام فيه على قومه، بل عرفوا ما يعنيه فعاقبوه على ذلك . والله تعالى أعلى وأعلم .

وفاته عليه السلام :

مرض إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعمره (١٧٥) فمات ودفن مع ساره في مغارة (المكفيلة) بحبرون التي هي الآن مدينة (الخليل) . **قيل :** إنه عليه الصلاة والسلام أول من تسرول وفرق وأول من قرى الضيف وأول من قص الشارب وأول من استحد (حلق العانة)، وأول من رأى الشيب فقال : ما هذا يارب فقال : وقار فقال : (زدني وقاراً) . قال ﷺ : (**اختتن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدّوم**)[١].

الدروس والعبر المستفادة من قصة إبراهيم عليه السلام

١- بيان أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو أبو الأنبياء الثاني لأن أكثر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يعدون من نسله .

٢- بيان أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو خليل الرحمن لصبره في كل جزئيات حياته، والخلة هي أرفع درجات المحبة . لذلك كان عليه الصلاة والسلام أمة قانتاً أي جامعاً لخصال الخير والبر .

٣- ثقة إبراهيم عليه الصلاة والسلام الكبيرة في الله تعالى في كل المواطن، ولا سيما عندما قذف بالمنجنيق فعرض له جبريل عليه

[١] متفق عليه .

السلام في الهواء وقال له : ألك حاجة يا إبراهيم فأجابه : أما إليك فلا وأما إلى الله تعالى فبلى، رغم حاجته الشديدة والملحة للمساعدة في تلك الحالة الحرجة وفي ذلك الوقت الضيق، لكنه رسوخ الإيمان الصادق .

٤- تلطف إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأبيه في سبيل دعوته لحرصه على هدايته وهذا يبين أن الأصل في الدعوة إرادة حصول الفائدة للمدعوين وليس الغرض منه إيصال الدعوة فقط والتخلص من أعبائها .

٥- نجاة إبراهيم عليه الصلاة والسلام من مكائد قومه، مع حرصه على هدايتهم بالطرق التي تقنعهم وتفهمهم .

٦- تبرؤ إبراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه عندما تبين له إصراره على الكفر وأنه عدوا لله تعالى، وعاقبة النمرود الوخيمة جزاء تكبره وإعراضه عن الحق .

٧- وجوب الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام براءة من الكفر وأهله .

٨- إيقاف عمل الظواهر الدنيوية أمام قدرة الله تعالى، كإبطال عمل النار، وقصور قدرة الملك الظالم عن مساس سارة عليها السلام .

٩- بيان أن الوزغ من الفواسق لذا أمرنا ﷺ بقتله .

١٠- صبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام الكبير في سبيل الله تعالى وهجره زوجته وابنه في صحراء قفر ليس بها أحد طاعة لله سبحانه وامتثالاً لأمره عز وجل .

١١- بيان فطرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام السليمة ونظرته الصحيحة في الكون ومن خلفه .

١٢- مناظرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أهل الباطل ودحض حجتهم لإقامة الحجة عليهم، وجواز الكذب في مجال الدعوة إن تحققت منه مصلحة مؤكدة .

١٣- عجز كل قدرة أمام قدرة الله تعالى وقوة جند الله سبحانه وكثرته وتعدده، فلا يعلم جنود ربك إلا هو جلت عظمته .

١٤- بيان أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي بنى الكعبة المشرفة مع ابنه إسماعيل عليه السلام وأن شعائر الحج من فعله وفعل زوجته هاجر .

١٥- إيضاح أن الشكر يقابل بالإحسان وأن الكفر والإعراض يقابل بالذل والصغار دنيوياً وأخروياً، والجنة هي دار المحسنين .

١٦- الله تعالى يرزق من يشاء بما شاء ويحرم من يشاء ما شاء .

١٧- بيان أن الله تعالى إذا أراد شيئاً كان ولو بأدنى الحيل، وإذا لم يرد الله تعالى شيئاً لم يكن ولو بأدهى الحيل .

١٨- عاقبة الطاعة والصبر الخير والعوض الحسن .

١٩- إن الله تعالى مع أوليائه الصالحين دائماً وأبداً وينجيهم في كل الأحوال كأمره سبحانه للنار أن كوني برداً وسلاماً على إبراهيم فكانت بأسرع مما توقع عليه الصلاة والسلام وباقي المخلوقات كجبريل والملائكة الكرام عليهم السلام .

٢٠- **قيل** : أن من معجزات إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن بدنه كان يفوح مسكاً، وأن السباع كانت تكلِّمه وتؤنسه وهو وحيداً، وأنه كان يسمع من بعيد حتى **قيل** : أن إسماعيل يوماً صاح يشكو الضيق والجوع وهو بأرض مكة فسمعه إبراهيم وهو بأرض الشام فدعا الله تعالى له فوسع عليه بدعاء أبيه .

النسب الشجري لموسى عليه السلام

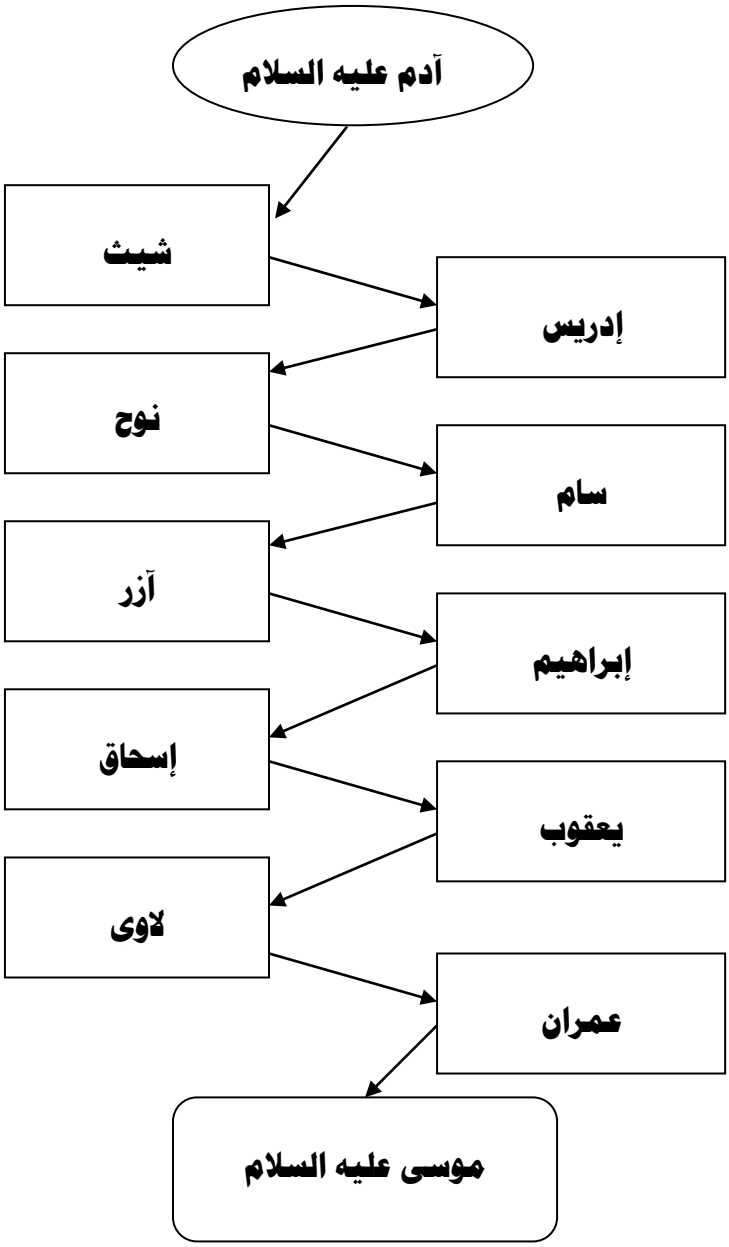

مدة حياته : (١٢٠) سنة

ورد ذكره في القرآن الكريم (١٣٦) مرة .

قال تعالى :

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

[الأعراف]

﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت]

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾[النازعات]

موسى عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (موسى) بن عمران بن قاهث بن عاذر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ولد عليه السلام بمصر وقومه (بنو إسرائيل) يعذبون من قبل المصريين .

وهو أصغر من أخيه هارون، وهو كليم الله تعالى، وولد في السنة التي كان فيها قتل بينما ولد هارون في السنة التي ليس فيها قتل .

تمهيد :

حكم مصر (٣٣) أسرة فرعونية قرابة (٥٠٠٠) سنة، تخلل ذلك الحكم العريض حكم ما يسمى بالهكسوس وهم ملوك الرعاة الذين اطاحوا بحكم الفراعنة بعد الأسرة (١٣) ثم حكموا مدة تزيد عن (١٠٨) سنين، وحينذاك عاون بنو إسرائيل أولئك الهكسوس للقيام بدولتهم تلك، فلما عاد حكم مصر للفراعنة استعبدوهم وأذاقوهم سوء العذاب .

وكان فرعون (ملك) مصر واسمه (الوليد بن مصعب) قد تولى الملك ومكث فيه (٤٠٠) سنة وهو يسوم بني إسرائيل أشد العذاب ويستخدمهم هم وأبناءهم ونسائهم، وكان طاغيةً فادعى

الربوبية لنفسه وأنه إلهاً يعبد من دون الله تعالى، **وقيل** : إن فرعون مصر كان أخا فرعون مصر الذي كان في زمن يوسف عليه السلام وكان قد تولى بعد هلاك أخيه . وذات يوم رأى هذا الطاغية في منامه رؤيا وهي :

(ناراً تهب من بيت المقدس تحرق جميع بيوت المصريين)

فاستيقظ مذعوراً وجمع كل سحرته وكهنته وقص عليهم الرؤيا وأمرهم بتفسيرها، فقالوا له إنه سوف يخرج من بني إسرائيل مولود يكون هلاك مصر على يديه .

وهنا أمر فرعون بقتل كل مولود ذكراً يولد من بني إسرائيل، ولكن وبعد زمن اشتكى الجند المصريين لفرعون مخافة فناء شعب بني إسرائيل فأمر أن يقتل المواليد سنة وأن يخلى عنهم سنة .

مولده :

ولد موسى عليه السلام في السنة التي فيها قتل فأخفته أمه (٣) أشهر وكانت قد صنعت له تابوتاً ووضعته فيه وربطته بحبل ووضعت التابوت في نهر النيل فكان إذا ذهب الخوف سحبت الحبل إليها وإذا خافت عليه أرسلت الحبل فيذهب به الماء بعيداً حتى لا يكتشف أمره .

وذات مره خافت من الجند وذهلت ونسيت أن تربط الحبل فانفلت التابوت وأخذه الماء إلى قصر فرعون فـرأى الجـواري الصندوق مقفلاً، ولم يستطعن فتحه حتى أحضـروه إلى امـرأة فرعون وهي : (آسيه بنت مزاحم بن الريان بن الوليـد فرعـون يوسف عليها السلام) .

لما فتحت امرأة فرعون الصندوق رأت فيه غلاماً صغيراً فوقع في قلبها حبه وهو موسى عليه السلام ولما علم فرعون بالخبر أمـر بذبحه لكن زوجته قالت : بل قرة عينٍ لي ولك، فقال لها : قـرة عينٍ لكِ أما أنا فلا، وبعد ذلك حاولت امرأة فرعـون إرضـاع موسى فلم يلقم ثدياً أبداً فأمرت الجواري أن يبحثن لـه عـن مرضعة ترضعه فذهبن به إلى السوق بحثاً له عن مرضعة .

أم موسى :

لما انفلت منها الصندوق وذهب مع الماء ذهلت وراع قلبهـا وكادت أن تفضح الأمر وتبحث عنه جهاراً .

ثم قالت لأخت موسى : قصي أثره عسى أن تجدي له خـبر فذهبت أخته إلى السوق ورأت موسى عن بعدٍ وهم لا يعلمـون أنه أخوها، وهم يبحثون له عن مرضعة، فقالت لهم هل أدلكـم على مرضعة تكفله لكم ؟ فقالوا لها : نعم فذهبت بهم إلى أمـه،

وهنا التقم ثديها بمجرد أن وضعوا فمه على ثدي أمه وهم لا يعلمون، ثم أرسلوا إلى امرأة فرعون يبشرونها بذلك ففرحت وطلبت من المرضعة أن تبقى عندها وترضعه في قصرها كل يوم وهي لا تعلم أنها أمه، فرفضت أم موسى ذلك، ثم وافقت امرأة فرعون أن ترضعه وهي في بيتها وأمرت أن يصرف لها راتباً .

قصته :

لما بلغ موسى عليه السلام أشده واستوى حكماً ورشداً دخل ذات يوم المدينة وأهلها منصرفون كلٌ في عمله فرأى رجلين يتقاتلان أحدهما من شيعته (من بني إسرائيل) والآخر من عدوه (من المصريين) فاستغاثه الذي من شيعته فضرب موسى المصري فقتله .

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[1] .

[1] سورة القصص .

وأصبح خائفاً يتلفت فإذا بالرجل الذي من شيعته استنصـــره على رجل قبطي آخر فنهاه موسى وقال له : إنك لشرير ثم توجه نحوهما يريد قتل القبطي فظن الذي من شيعة موسى أنه يريد قتله ففزع وقال : يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس، وهنا سمع القبطي مقالته فذهب مسرعاً وأخبر فرعون بما سمع وبخبر وسى عليه السلام .

وأرسل فرعون في طلب موسى، وقبل الوصول إليه أخـــبره رجل من شيعته أن القوم يبحثون عنك فهرب موسى من تلـــك البلاد وهو لا يدري أين يذهب آخذاً بالدعاء في أن يهديـــه الله تعالى سواء السبيل .

وأخذ بالسير حتى وصل إلى قرية ورأى أناساً مجتمعون حول بئر يسقون ووجد من دونهم امرأتين تقفان بعيداً عنهما فسألهما ما شأنكما ؟ فقالتا : لا نسقي حتى يسقى لنا الرعاة وأبونا شيخ كبير فسقا موسى عليه السلام لهما، وكانت على فم البئـــر صـــخرةً يضعها الرعاة عليه بعدما يسقون ولا يحملها إلا (١٠) أشـــخاص فحملها موسى وحده وسقا لهما ثم تولى إلى ظل شجره يســـتظل بها وهو تعبٌ جائع .

وبعد قليل جاءته إحدى المرأتين تمشي على استحياء مَشـــيَ الحرة وقالت لموسى : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا،

فذهب موسى إليه ثم أخبره ما كان من أمره وخبره فقال له الرجل : لا تخف نجوت من القوم الظالمين .

من المفسرين من قال أن هذا الرجل هو شعيب نبي الله تعالى إلى أهل مدين ومنهم من قال إنه غيره، والله تعالى أعلى وأعلم .

المقصود استضاف شعيبٌ موسى عليهما السلام فقص موسى عليه قصته فقال شعيب عليه السلام إني أريد أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين على أن يكون مهرها أن تعمل عندي (٨ أو ١٠ سنين) فعمل موسى عليه السلام وأتم أفضل الأجلين (وهو عشرة سنين) .

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ ﴾[1] .

ولما أراد موسى وزوجته فراق شعيب وهبه شعيب غنماً وأعطاه مواليد تلك السنة ما كان لونه مغايراً للون أمه من الغنم . بعد ذلك سار موسى بأهله وهما (زوجته وولداه) فأضل الطريق واشتد البرد عليهم وسار من جانب الطور وهو جبل غربي في وادي طوى ورأى ناراً فقال موسى لهم : انتظروا سوف آتيكم

[1] سورة القصص .

بخبر النار أو آتيكم بجذوةٍ منها لتصطلون بها . ولما جاء موسى النار وهو بوادي طوى مستقبلاً القبلة رأى النار تمتد من السماء إلى شجرة قد اشتعلت فيها عن يمينه من ناحية الغرب .

وهنا نادى الله تعالى موسى في الوادي المقدس أن اخلع نعليك تكريماً لهذا الوادي ولهذه البقعة المباركة، وخاطبه قائلاً : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

وأخبره كل خبر الدنيا والآخرة والجنة والنار وأنه نبي إلى فرعون وقومه وكذا إلى بني إسرائيل، وسأل الله تعالى موسى عن العصا التي في يده فقال موسى : هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها غير ذلك، فقال الله تعالى له : ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعي فخاف موسى وولى هارباً فناداه الله تعالى يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ثم أمره تعالى أن يدخل يده في جيبه وأن ينزعها فأدخلها موسى ثم نزعها فإذا هي كالقمر تتلألأ من غير عيب فيها فقال له الله تعالى : هذان برهانان على نبوتك يا موسى، وأمره تعالى أن يذهب إلى فرعون وقومه بالرسالة وأن ينذره من النار وأن يأمره بعبادة الله تعالى فقال موسى : يا رب إني قد قتلت منهم نفساً وإن بلساني

[1] سورة طه .

لدغه أي (ثقل باللسان) وأخي هارون هو أفصح مني فأرسله معي، فنبأ الله تعالى هارون وجعله تعالى نبياً ووزيراً لموسى عليهما السلام .

ولادة هارون عليه السلام :

ولد هارون في السنة التي ليس فيها قتل بأمر فرعون خوفاً على فناء شعب بني إسرائيل، وهو أكبر من أخيه موسى عليهما السلام .

لدغه موسى عليه السلام :

عندما كان موسى صغيراً كان ذات مرة في حجر فرعون فأخذ بلحيته فأراد فرعون قتله فخافت آسية عليه وقالت لفرعون : إنه صغير ولا يفهم ولا يعقل فأراد فرعون اختبار عقله فوضع ثمره وجمره في إناء فأراد موسى أخذ الثمرة ولكن فرعون أدار الإناء فأخذ موسى الجمرة ووضعها في فمه فأصيب بثقل في لسانه وهي اللدغة .

وقد سأل موسى عليه السلام ربه أن يزيل بعضاً منها بقدر ما يفهم من كلامه .

عوده للقصة :

بعث الله تعالى موسى وهارون إلى فرعون وقومه فجاءوه وطلبوا منه أن يفك أسر بني إسرائيل وأن يعبد الله تعالى ويوحده . **قيل** : إن موسى وهارون عليهما السلام إستئذنا على فرعون بالدخول فمكثا سنة بالباب وهما يترددان عليه ولا يؤذن لهما من كبره وغروره .

المقصود بعد أن دعواه لعبادة الله تعالى تكبر فرعون واعترض بشدة وقال لموسى : ألم نربك فينا وليداً ولبثت سنيناً في قصرنا، فأجاب موسى معترفاً بتلك النعم غير جاحد لها وقال له : كان ذلك مقابل استخدامك واستعبادك لشعب بني إسرائيل سنين طويلة، فقال فرعون : وما رب العالمين ؟ وهنا دار حوارٌ بين موسى وفرعون، فكان موسى يثبت الألوهية والملك لله تعالى وفرعون ينكر ذلك وينسبها لنفسه حتى نفذت حججه فقال لموسى : لأجعلنك من المسجونين إن اتخذت إلهاً غيري، فقال موسى : أولو جئتك بشيء مبين معجزه مصداقاً لكلامي، فقال فرعون : وما هي ؟

فألقى موسى عصاه فإذا هي حيه وأدخل يده في جيبه فإذا هي بيضاء تتلألأ، فلما رأى فرعون والملأ تلك المعجزات دهشوا

و لم يؤمنوا بل أصروا على كفرهم، وقالوا له : إنك ساحرٌ مبين وسوف ندحض سحرك بسحرٍ مثله فاجعل بيننا موعداً لا نخلفه فقال موسى : موعدكم ضحى يوم الزينة . وهو يوم عيدٌ لهم .

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

وجمع فرعون سحرته **قيل** : كانوا بالآلاف، وحضر جميع الناس وقال جميعهم : لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبون، و لم يقولوا لعلنا نتبع الحق إن ظهر لنا واتضح :

﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

وتقدم موسى عليه السلام ووعظ السحرة وذكرهم باليوم الآخر وحذرهم من عذاب الله تعالى وأنذرهم بأن يتركوا عمل السحر وأن يعبدوا الله تعالى وحده فأخذوا يتشاورون فيما بينهم، فقائلٌ منهم : هو نبي وقائلٌ : هو ساحر ثم أجمعوا أمرهم وهو أن موسى وهارون ساحران متفننان بالسحر وطلبوا منه أن يلقي ما جاء به أو أن يلقوا هم فقال لهم : بل ألقوا أنتم أولاً .

فألقى السحرة كل ما جاءوا به فسحروا أعين الناس وخيلوا لهم أن كل تلك الحبال والعصي أفاعي ودواب مخيفة، فخاف موسى أن يفتتن القوم بذلك فألقى موسى عصاه فإذا هي حية

---

[1] سورة طه .

[2] سورة الشعراء .

عظيمة ذات قوائم تلقف كل ما صنعوه وكان شكلها مخيفاً أفزعت الناس .

وهنا علم السحرة أن هذا ليس بالسحر والخيال بل من الحقائق الربانية والمعجزات الباهرات فسجدوا جميعاً وقد هان عليهم الموقف وقالوا :

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1] .

وهنا قال فرعون للسحرة : كيف تؤمنون لهم قبل أن آذن لكم، ثم إنه قال للناس : إن هذا كبيرهم الذي علمهم السحر، ثم قال مخاطباً السحرة : لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل .

فقال السحرة : إن هذا كله أمر من أمور الدنيا ولن نترك ما قد تحققنا منه لتهديدك هذا إنا قد آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر، فغلب فرعون هنالك صاغراً .

بعد ذلك :

قال الملأ لفرعون محرضين له : أتذر موسى وتتركه يبدل دينك ويغير ملكك في الأرض، فقال : بل سنقتل أبنائهم ونستبقي نساءهم فنستبيحهم ونحن فوقهم قاهرون، وقال موسى لبني

[1] سورة الشعراء .

إسرائيل : اصبروا حتى يأتي أمر الله، وقال فرعون : دعوني أقتل موسى قبل أن يبدل ويغير دينكم فقال رجل يكتم إيمانه : كيف تقتلون رجلاً يقول ربي الله، ونصحهم ورغبهم ورهبهم وذكرهم بنهاية الأمم السالفة وكيفية هلاكهم وبالعبر والمواعظ .

ثم ذكرهم بملك يوسف عليه السلام وعدله في ملك مصر، واستمر في وعظهم بقوله إن الدنيا دار زوال وإن الآخرة هي دار القرار، ولكن فرعون استمر في طغيانه وجبروته وأمر وزيره هامان أن يبني له صرحاً كي يطلع إلى إله موسى، واستمر في كفره وعناده وتعذيبه لبني إسرائيل واضطهادهم، وبذلك سلط الله تعالى على فرعون وقومه (٧) عقوبات متتالية فكان يعاقبهم حتى ينتهو فترفع العقوبة فيعودون لعتوهم فيسط الله تعالى عليهم عقوبة أخرى، وهذه **العقوبات** هي :

١ – **السنين** : وهي أعوامٌ من القحط والجدب لأراضيهم، فلم يردعهم ذلك فسلط الله تعالى عليهم ..

٢ – **نقص الثمرات** : وهي قلة المحاصيل بسبب الجوائح تصيبها، فلم يردعهم ذلك أيضاً فسلط الله تعالى عليهم ..

٣ – **الطوفان** : كثرة الأمطار المهلكة للزرع، فلم يردعهم ذلك بل تمادى القوم في غيهم، فكان ..

٤ – **الجراد** : وهو كثرة الجراد المتلف للزرع والثمار، ثم ..

٥ – **القمل** : وهو السوس المخرب للحبوب و**قيل** : هو القمل المؤذي للإنسان فلم يردعهم ذلك فسلط عليهم ..

٦ – **الضفادع** : وكثرتها وانتشارها حتى نغصت عليهم عيشهم، فلم يردعهم ذلك، فكان ..

٧ – **الدم** : وهو تعكير مياههم بالدم الممزوجة به .

وكل ذلك العذاب مسلط على الأقباط دون بني إسرائيل، وفي كل مره يسلط الله تعالى عليهم عقوبة يتطير فرعون وقومه بموسى ويقولون ادع لنا ربك لأن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فيدع الله تعالى لهم فيكشف عنهم الرجز ثم يعودون لعتوهم فيسلط الله تعالى عليهم عقوبةً أخرى وهكذا .

عبور البحر :

أمر الله تعالى موسى وهارون أن يجعلوا بيوتهم قبله وأن يتخذوا لبني إسرائيل بيوتاً مميزة وأن يكثروا فيها الصلاة والدعاء والابتهال إلى الله تعالى استعداداً للرحيل، ثم إن موسى عليه السلام دعا على فرعون وقومه بالهلاك قبل التوبة، فكانت نهايتهم كذلك .

واستأذن بنو إسرائيل فرعون للخروج بحجة أن لهم عيداً فأذن لهم وهو كاره لذلك، فتهيأ القوم كما أمرهم موسى عليه السلام للخروج وأخذوا من الأقباط زينه وحلي وكانوا قاصدين الشام فخرجوا بالليل، وعلم فرعون بالحيلة وأنهم يريدون الفرار فجهز جيشه ولحقهم حتى إذا أدركهم عند شروق الشمس وقد وصل بنو إسرائيل إلى حافة البحر فصار البحر من أمامهم وفرعون وجيشه من خلفهم وعن جنبيهم الجبال الشاهقة، فصاح القوم وقالوا : إنا لمدركون فقال موسى : كلا فإن معي ربي سيهديني للخلاص من فرعون وجيشه .

وهنا أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن اضرب بعصاك البحر (بحر السويس) فضربه موسى فانفلق اثني عشر طريقاً يابساً والماء عن جنبيه فجاوز بني إسرائيل البحر وهم مبهورون من ذلك متعجبون ولما انتهوا من عبوره كان ذلك دخول أول جيش فرعون فأراد موسى ضرب البحر مرةً أخرى ولكن الله تعالى أوحى إليه أن يتركه كما هو فتركه .

وتردد فرعون من دخول البحر مرات لما رأى من الهول العظيم ولكن ولما توسط البحر هو وجيشه وقبل خروج أولهم أمر الله تعالى موسى أن يضرب البحر فضربه فارتطم البحر عليهم، فلما رأى فرعون الغرق قد أدركه قال :

﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1].

قيل : لو أن فرعون قال آمنت أنه لا اله إلا الله لكانت التوبة شملته ولكنه أبى وقال كلمته تلك تكبراً، فغرق وغرقوا جميعاً، ثم جعل الله تعالى جسد فرعون وبدنه دليلاً على هلاكه حيث ساقه إلى الشاطئ فعلم الجميع بموت فرعون حقيقة وتحقق ذلك للعيان .

وقيل : إن فرعون استغاث بموسى سبعين مرةً قائلاً : (يا موسى أغثني) فقال الله تعالى لموسى : (**إن فرعون قد استغاثك سبعين مرة فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاثني مرة واحدة لأغثته**) فسبحان الله العظيم .

وقال رسول الله ﷺ : (**لما أغرق الله فرعون قال** : ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٩٠﴾ ﴾ **فقال جبريل** : **يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة**)[2]. وصار بنو إسرائيل يصومون ذلك اليوم (شكراً لله تعالى) وهو يوم (عاشوراء) .

---

[1] سورة يونس .

[2] رواه الترمذي وأحمد والحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان . وحال البحر أي : وحله وطينه .

وقيل : إنه لم يؤمن من قوم فرعون إلا (٣) هم (زوجته آسيه بنت مزاحم، والرجل الناصح لهم، والرجل الذي حذر موسى من القوم) . وكان عمر موسى عليه السلام عندما أرسل إلى فرعون (٨٠) سنة وكان عمر هارون عليه السلام (٨٣) سنه، ومكث بنو إسرائيل مستخدمين من الأقباط المصريين (٤٣٠) سنة .

امرأة فرعون :

كان إسلام آسيه بنت مزاحم بسبب أنه كان لابنتها الصغيرة ماشطة وذات يوم وهي تمشط شعرها وقع المشط من يدها فقالت : تعس من كفر بالله فقالت : البنية الصغيرة وهل لكِ إله غير أبي ؟ فقالت الماشطة : الله ربي ورب أبيكِ ورب العالمين، فذهبت الصغيرة إلى أبيها تبكي وتشكو له كل ما حصل، فاستدعى الماشطة وقال لها : من ربكِ فقالت : الله فقال لها : اكفري فأبت فوضعها على الأرض وشدها بأربعة أوتاد وسلط عليها الحيات والعقارب فلم تكفر فجاء بابنتها الكبرى فقال لها : اكفري وإلا ذبحتها فلم تكفر فذبحها على صدرها ثم جاء بالبنت الصغرى الرضيعة كذلك فلم تكفر وجزعت قليلاً فتكلمت البنت الرضيعة وهي في المهد وقالت : يا أمي لا تجزعي فإن الله قد أعد لكِ بيتاً في الجنة ثم ذبح البنت وأمها .

وكان لهذه المرأة زوج مسلم قد هجرهم إلى جبل فأرسل فرعون في إثره اثنين من الجند فرأياه، فأسلم أحد الجند ولما حضرا عند فرعون قال الكافر : رأيت فلان يصلي في موضع كذا فقال له فرعون هل رآه معك أحد فقال : نعم فلان وهو لا يعلم أن الآخر قد أسلم فلما سأل فرعون الجندي الذي قد أسلم أنكر ذلك فذبح فرعون الكافر ظناً منه أنه كاذب ونجا المسلم .

وكانت آسيه زوجة فرعون قد أسلمت وكتمت إيمانها فلما علمت بالخبر دخلت على فرعون وسبته وأظهرت إسلامها أمامه فاستدعى أباها وأمره أن يردها إلى عقلها فأبت عليه وقالت لأبيها : إن كان إله حقاً فمره أن يجعل لي تاجاً أمامه الشمس وخلفه القمر واستهزأت به، فأخذها فرعون وشدها بأربعة أوتاد (لهذا سمي فرعون ذي الأوتاد) .

﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ﴾[1] .

فنجاها الله تعالى و لم تتأثر بالعذاب وقبض روحها بعد أن فتح لها بابٌ من الجنة فقالت حينها :

﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴿١١﴾ ﴾[2] .

---

[1] سورة الفجر .

[2] سورة التحريم .

موسى وبنو إسرائيل :

بعد هلاك فرعون وقومه مكث بنو إسرائيل (٣) أيام يبحثون عن الماء حتى وجدوا ماءاً مالحاً فشكوا ذلك لموسى فأمره الله تعالى أن يضرب بعصاه الحجر (حجر مربعاً يأخذونه معهم أينما كانوا) . فأنفجر منه اثنتا عشرة عيناً لكل قوم عين يشربون منها . ثم ساروا حتى مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا :

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴿١٣٨﴾ ﴾[1] .

فقال موسى عليه السلام : إن هؤلاء قومٌ مخطئون وباطل ما هم فيه وأخذ يذكرهم بأيام الله تعالى ونعمه عليهم وكيف نجاهم من فرعون وشره ثم أعقبهم الأرض من بعد الذل والاضطهاد .

الميقات :

ثم أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يتأهب لتلقي الشرائع فأنزل بني إسرائيل منزلاً وخلف عليهم هارون وواعدهم (٣٠) ليلة . وصام موسى عليه السلام (٣٠) يوماً وقام لياليهن وفي آخر يوم كره أن يلقى الله تعالى وهو صائم لتغير رائحة فمه فأفطر

[1] سورة الأعراف .

وأتى الأجل فقال له ربه سبحانه : لم أفطرت ؟ أما علمت أن ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك وأمره أن يصوم (١٠) أيام أخرى، فكان المجموع (٤٠) ليلة، ثم أتى إلى ربه سبحانه وتعالى لتلقي الشرائع منه .

سؤال الرؤيا :

وسأل موسى عليه السلام ربه في أن يراه، فقال له ربه : لن تراني ولكن انظر إلى الجبل الذي هو أكثر منك ثباتاً وقوةً وأشد بأساً منك فإن تحمل رؤياي واستقر مكانه وتماسك فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل خر دكاً من عظمة الله تعالى فخر موسى صعقاً مغشياً عليه من ذلك ولما أفاق أخذ يسبح ويقول : ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[1] .

السامري :

عندما تأخر موسى عليه السلام عن قومه (١٠) أيام التي قد صامها قال هارون عليه السلام لبني إسرائيل : إن الحلي الذي أخذتموه من المصريين لا يحل لكم فجمعه منهم وحفر له حفره وأمرهم أن يضعوه فيها وأوقد عليه النار وقال : (لا لنا ولا لهم) .

---

[1] سورة الأعراف .

ولكن السامري (رجل **قيل** : إنه من عبدة البقر و**قيل** : ليس من بني إسرائيل) لم يُلق ما في يده وقال قبضت قبضةً من أثر الرسول (وهي كومه تراب من أثر فرس جبريل لما نزل لإغراق فرعون) **قيل** : إنه قال لن ألقها حتى تدعو الله تعالى أن يجعلها كما أريد فدعا له هارون بذلك فألقاها السامري وقال : أريدها عجلاً، فصار ذلك الحلي عجلاً، وكانت الريح تدخل من فمه وتخرج من دبره فيصدر صوتاً كالخوار، فقال له هارون : ما هذا فقال : إله بني إسرائيل وأن موسى قد ضل الطريق، فتفرق بنو إسرائيل وعبدوه وقالوا لن نترك عبادته حتى يرجع إلينا موسى :

﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾[1] .

عودة إلى موسى :

أوحى الله تعالى إلى موسى وكلمه وعلمه كل شيء وكتب له في الألواح الشرائع والأحكام وأخبره بخبر قومه من بعده وما صار إليه حالهم فعاد مسرعاً غاضباً، ولما لقي قومه ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه هارون يجره إليه من لحيته، ثم عذره واستغفر لنفسه ولأخيه لما علم موقفه في الفتنة وما قد حدث، ثم ذهب للسامري

[1] سورة طه .

فقال له : ما الذي حملك على ذلك فقال له : قبضت قبضةً من أثر الرسول فقال له موسى : فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مِساس (أي لا أمس أحد ولا يمسني أحد) وأحرق العجل وفطن القوم للفتنه فاستغفروا وطلبوا التوبة من الله تعالى فأمر الله تعالى موسى أن يختار (٧٠) رجلاً من قومه من خيارهم ليطلب بهم التوبة، فأخرج موسى منهم (٧٠) منهم يطلب بهم التوبة من الله سبحانه .

ولما خرج موسى ومن معه للتوبة ورأو موسى عليه السلام وهو يكلم ربه عند جبل الطور وهم يسمعونه قالوا : لن نؤمن بأن الذي يكلمك هو الله حتى نراه جهرة فأخذتهم الرجفة بظلمهم وتعديهم ذلك، وقد حزن موسى عليه السلام لأن ذلك كان موقفهم وقولهم وهم خيار القوم وقال : ﴿ **قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ ﴿١٥٥﴾** ﴾[1]. والسفهاء هم عبدة العجل .

ثم سار موسى عليه السلام ومن معه وأخذ الألواح وفيها كل ما أمره الله تعالى به فخالف بنو إسرائيل موسى عليه السلام في أخذ الشرائع الربانية واجترؤا عليه فرفع الله تعالى عليهم جبل الطور كأنه ظلة فأخذوا الكتاب وما فيه وهم خائفون ثم ساروا

[1] سورة الأعراف .

إلى الأرض المقدسة (أرض فلسطين) ليدخلوها كما أمروا وليقاتلوا عدوهم فيها فوجدوا فيها قوماً ظالمين جبارين وهم (الكنعانيون)، وامتنعوا عن دخولها وعن قتال أهلها، فقال رجلان ممن أنعم الله تعالى عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، **قيل** : أن هذين الرجلين هما (يوشع بن نون، وكالب بن يوحنا) .

ولكن القوم عاندوا و لم يصغوا إلى النصح وأبوا الدخول إلى تلك الأرض فسجد موسى وهارون عليهما السلام لهول تلك المصيبة والمعصية فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخبرهم أنه سبحانه وتعالى قد حرم عليهم دخول الأرض المقدسة (٤٠) سنة يتيهون في الأرض، فكانت حياتهم بعد ذلك في التيه (يتيهون) في الأرض . **قيل** : إن كل من كان في التيه مات و لم يدخل الأرض المقدسة بل دخلها ذراريهم من بعدهم .

بلعام بن باعوراء :

هو رجلٌ كان في زمن موسى عليه السلام من الكنعانيين القوم الجبارين الذين أُمر بنو إسرائيل بمقاتلتهم . **قيل** : هو رجل كان يعرف اسم الله الأعظم فإذا دعا استجيب له، فقال له قومه لما رأو موسى وبني إسرائيل سيدخلون عليهم أرضهم : أُدع على موسى وقومه، فقال لهم : ويلكم إنه نبي الله ومصدق من عنده

ومعه الملائكة، فلما ألحّ قومه عليه وراجعوه في الأمر أخذ يدعوا على موسى عليه السلام وقومه فلا يستجاب دعاؤه فيهم فأخذ يقول لقومه : (**قد ذهبت دنياي وآخرتي**) و**قيل** : فيه غير ذلك .

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴿١٧٦﴾ ﴾[1] .

أمور التيه :

وعندما استقر بنو إسرائيل في التيه حدثت لهم أمور ومنها أنهم طلبوا من موسى عليه السلام الطعام والشراب فظللهم الغمام وأنزل الله تعالى عليهم المن والسلوى وهي (فاكهة ولحم طير من الجنة) :

﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾[2] .

وأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يضرب حجراً مربعاً فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً لكل سبط (قبيلة) عين، وكان ذلك الحجر معهم أينما كانوا، فكان القوم يخزنون الطعام لليوم التالي فيفسد عليهم حتى ضجر القوم من هذا الطعام فطلبوا

[1] سورة الأعراف .

[2] سورة البقرة .

من موسى عليه السلام أن يخرج لهم مما تنبت الأرض من بقلها والبقول (الخضار) والثوم، **قيل** : المراد به (الحنطة) والعدس والبصل والقثاء **قيل** : هو (الخيار أو القثة) فقال لهم : أتستبدلون الحسن بالرديء ادخلوا مصراً (وهو مصر من أمصار الشام) فإن لكم فيه ما سألتموه .

قصة البقرة :

كان في بني إسرائيل رجل كبير مسن وكان له مال كثير وله أبناء أخ يتمنون موته ليرثوه، فعمد إليه أحدهم ليلاً فقتله وطرحه على الطريق وجاء صباحاً يصرخ ويتظلم حتى اجتمع الناس وعاينوه ملقى على الأرض ينظرون إليه، فقال بعض القوم : لم لا تأتوا نبي الله موسى عليه السلام وتخبرونه الخبر، فجاءوا إليه وقصوا عليه القصة، فقام موسى عليه السلام وسأل الله تعالى أن يبين لهم قاتله، فأوحى الله تعالى إليه أن مرهم بأن يذبحوا بقرة . **(وكان المراد أي بقره تفي بالغرض ولكنهم شددوا فشُدد عليهم)** .

وسألوه عن أوصافها وسنها ولونها فأخبرهم أنها صفراء مشربة بحمره وأن عمرها وسط وأنها لا تحرث أرضاً ولا تسقي فأخذوا يبحثون عنها حتى وجدوها عند رجل باراً بوالديه فطلبوها منه فأبى عليهم حتى ساوموه بثمنها (١٠) مرات وزنها فباعهم إياها .

وأمر موسى عليه السلام أن تذبح وأن يضرب القتيل ببعضها فضربوه **قيل** : بلحمة الذراع و**قيل** : بلحمة الفخذ، فقام الميت تشخب أوداجه فسأله موسى عليه السلام عن قاتله فقال ابن أخي وأشار إليه أمام الجميع ثم عاد ميتاً كما كان .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴿٦٧﴾ ﴾[1] .

موسى وقارون :

هو قارون بن يصهب بن قاهث ابن عم موسى عليه السلام وكان قارون أحد وزراء فرعون وكان أغنى رجل حتى إن مفاتيح مخازنه يصعب حملها على الرجال الشداد .

وقد ورد (أن قارون لما أمره موسى عليه السلام بإخراج الزكاة حسبها فوجدها كثيرة فأعطى امرأة بغياً مالاً على أن تقول أن موسى فعل بي كذا وكذا فقالت أمام الناس : ما أراد قارون منها فقام موسى عليه السلام وصلى ركعتين ثم قال لها : لم فعلت ذلك ؟ فقالت : إن قارون وهبها مالاً لتقول ذلك) .

وخرج قارون ذات يوم بزينته متفاخراً على القوم فقال الذين فتنوا بالدنيا وزينتها : يا ليت لنا مثل قارون فقال الذين يريدون

[1] سورة البقرة .

الآخرة : ويلكم ثواب الآخرة خير لكم وأبقى، وكان الناس مجتمعين، فقال قارون لموسى : إنك قد فضلت عليّ بالنبوة وأنا فضلت عليك بالمال (فلتدعوا علَيّ دعوة ولأدعو عليك دعوه) .

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[1] .

فقال موسى لقارون : فلتدع أنت فدعا عليه فلم تستجب دعوته، ثم دعا موسى عليه السلام على قارون فاستجيبت دعوته وخسف الله تعالى به الأرض هو وجنوده، فقال الذين تمنوا مكانه بالأمس : لولا رحمة الله بنا لخسف بنا كما خُسِف به .

وقد اختلف أهل السير في قصة قارون ... هل كانت في زمن فرعون أم هي في زمن بني إسرائيل بعد إغراق فرعون في اليم ؟ وسبب الخلاف أن قارون كان وزيراً لفرعون على بني إسرائيل، وكذا ورود هلاكه مع هلاك فرعون وهامان في القرآن الكريم .

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ

[1] سورة القصص .

﴿ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1]

موسى والخضر :

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ ﴾[2] .

قام موسى عليه السلام ذات يوم خطيباً في بني إسرائيل فقال : أي الناس أعلم فأجاب نفسه وقال (أنا) فعتب الله تعالى عليه لأنه لم يردّ العلم لله عز وجل وأمره أن يأتي مجمع البحرين لأن فيها رجل أعلم منه .

فقال موسى عليه السلام : يا رب كيف أتعرف عليه قال تأخذ معك حوتاً وتضعه في زنبيل وعندما تفقد الحوت تجد الرجل في ذلك المكان، فأخذ موسى عليه السلام حوتاً ووضعه في (مكتل) وهو الزنبيل، وانطلق موسى ومعه فتاه (يوشع بن نون الذي نُبأ بعد ذلك وصار نبياً يوحى إليه) حتى وصلا صخرة وناما عندها فاضطرب الحوت في الزنبيل هناك وخرج منه وسقط في البحر واتخذ سبيله فيه سرباً وأمسك الله تعالى صوت الماء فلم يُسمع صوت قفز الحوت في البحر .

---

[1] سورة العنكبوت .

[2] سورة الكهف .

ولما استيقظا بعد فترة مشيا من ذلك المكان حتى قال موسى عليه السلام لفتاه بعد تعب ونصب : آتنا الطعام فلم يجد يوشع الحوت في الزنبيل فقال لموسى : إن الحوت قد فُقد عند تلك الصخرة فعادا بحثاً عن الرجل في مكان فقد الحوت فوجدا رجلاً مسجّى بثوب، فسلم موسى عليه فرد الرجل السلام، فقال موسى له : أنا موسى بني إسرائيل أتيتك لتعلمني مما علمك الله رشداً فقال له الخضر : لن تستطيع صبراً معي، قال موسى ستجدني إن شاء الله صابراً فقال له الخضر : إذن لا تتكلم حتى أحدثك بكل ما ترى، فقال له : نعم، **وانطلق الجميع** .

وأخذوا يمشون على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فيها فحملهم أصحاب السفينة بغير أجر، فأخذ الخضر القدوم واقتلع لوحاً في السفينة وهنا قال موسى : أتريد أن تغرق السفينة وأهلها، فقال له الخضر : ألم أقل إنك لن تصبر معي قال موسى : قد نسيت فلا تؤاخذني بذلك .

وانطلقا .

حتى لقيا غلاما يلعب فأخذ الخضر رأسه أاقتلعه بيده وقتله، فقال موسى : كيف تقتل نفساً زكيه بغير حق، فقال له الخضر : ألم أقل إنك لن تصبر معي فقال موسى : لن أتكلم بعدها وإن تكلمت فلا تصحبني .

وانطلقا .

فمروا على أهل قرية واستطعموهم فلم يطعمهم أحد ووجد الخضر جداراً مائلاً فأقامه بيده من السقوط فقال موسى : طلبناهم فلم يجبنا أحد و لم يضيفونا فلو شئت اتخذت أجراً لإصلاح الجدار، فقال الخضر : هاهنا سنفترق لعدم صبرك .

وهنا قصّ الخضر سبب كل ما رأى موسى عليه السلام من فعله، فقال له : إن سبب خرق السفينة أنه كان لتلك البلدة ملك ظالم يأخذ السفن غصباً فأحببت أن أعيبها حتى يرى الملك العيب الذي فيها فيتركها لأهلها، **قيل** : إن اسم الملك الغاصب هدد بن بدد .

وقال له : إن سبب قتل الطفل أن له أبوين صالحين مؤمنين وكانا يحبانه كثيراً، وكان ولدهما كافراً فخفت الفتنه عليهما وأن يكفرا بكفره لحبهما فيه بعد أن كانا مسلمين، وقال له : إن سبب إصلاح الجدار لأن تحته كنزاً لغلامين يتيمين في المدينة فأراد الله تعالى أن يحفظه لهما من الضياع حتى يبلغا ويستخرجا كنزهما من تحته . **قيل** : إن الكنز هو لوح من ذهب، و**قيل** : إن اسم الغلامين (أصرم وصريم) . هذه هي قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، وقد اختلف فيه هل هو نبي أم رسول أم ملك أم رجلٌ صالح، والله تعالى أعلى وأعلم .

وكل ما قد **قيل** فيه : من أنه حي غير صحيح وإنما هي تخبطات شيطانية وليس على ذلك دليل عقلي أو نقلي يدل على حياته والصحيح أنه قد مات كسائر البشر، هذا الذي عليه جمهور الأمة سفاً وخلفاً .

وفاته عليه السلام :

توفي موسى عليه السلام وقومه بنو إسرائيل ما يزالون في التيه، ولوفاته قصة هي :

قال ﷺ : **(جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له : أجب ربك قال : فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها قال : فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني قال : فرد الله إليه عينه وقال : ارجع إلى عبدي فقل : الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة قال : ثم مه قال : ثم تموت قال : فالآن من قريب رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله ﷺ : والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر)**[1].

[1] متفق عليه واللفظ لمسلم .

قيل : إن موسى عليه السلام مرّ على ملأ من الملائكة وهم يحفرون قبر ما أحسنه فقال لهم : لمن هذا قالوا : لعبد من عباد الله كريم، فإن كنت تحب أن تكون أنت فادخل القبر وتمدد فيه وتوجه إلى ربك وتنفس أسهل النفس، ففعل موسى عليه السلام ذلك فمات وصلت عليه الملائكة ثم دفنوه (وهذا الكلام فيه غرابة) . ومات عليه السلام وهو ابن (١٢٠) سنة و لم يدخل قومه الأرض المقدسة في حياته، و**قيل** : إن التوراة أنزلت على موسى عليه السلام في يوم (٦) من شهر رمضان .

الدروس والعبر المستفادة من قصة موسى عليه السلام

١- القدرة والعناية الإلهية بموسى عليه السلام في صغره .
٢- الحكمة الإلهية بعدم إرضاع موسى عليه السلام إلا من أمه .
٣- إرادة الله تعالى في أن يولد في العام الذي فيه قتل حتى يؤخذ ويتربى وينشأ في دار عدو الله تعالى وعدوه ليزداد حسرة وحنقاً عليه وليعلم أن الذي كان يخشاه ويبحث عنه جاء إليه وتربى أمام عينيه وعلى يديه زال ملكه .
٤- حكمة الله تعالى التي اقتضت أن يقتل موسى عليه السلام القبطي حتى يخرج مهاجراً من تلك البلاد إلى أجل مسمى .

٥- إرادة الله تعالى في كون موسى عليه السلام ثقيل اللسان حتى يبعث أخاه هارون عليه السلام نبياً ووزيراً لـــه، وكـــذا لقـــاءه بالمرأتين على البئر ومساعدته لهما لحكمة جليلة .

٦- وجوب المهر في الزواج ومعرفة أنه غير محدد وأن موسى عليه السلام عمل (١٠) سنين ليقدم مهراً كي يتزوج ابنة الذي عمل عنده .

٧- مكانة موسى عليه السلام بين الأنبياء عليهم السلام وأنه كليم الله تعالى .

٨- تعزيز موسى عليه السلام بمعجزات كثيرة كالعصـــا ويـــده لإقناع مناظريه .

٩- تلطف موسى وهارون عليهما السلام في دعوة فرعون طمعاً منهم في إسلامه واستجابة الدعوة .

١٠- طغيان فرعون وقومه رغم كثرة المعجزات والعذاب الـــذي سلط عليهم .

١١- نجاة بني إسرائيل من فرعون وجنده وإغراق كل الأقبـــاط لظلمهم وعنادهم وخروجهم عن أمر الله تعالى ومن ثم استخلاف بني إسرائيل .

١٢- حرص موسى عليه السلام على إجابة الدعوة من كل مـــن دعاه .

١٣- غضب الله تعالى على بني إسرائيل جزاء عنادهم وحرمانهم من دخول بيت المقدس وتركهم يتيهون في الأرض (٤٠) سنة تأديباً لهم وعقاباً .

١٤- صبر موسى عليه السلام في مجال الدعوة إلى الله تعالى على فرعون ثم على بني إسرائيل من بعده وجهل بني إسرائيل وعدم انقيادهم لأمر الله سبحانه ومخالفتهم له في كل موضع وموقف .

١٥- وجوب إخراج الزكاة من الأموال وأن عدم إخراجها يعد تعرض لغضب الله وسخطه كما فعل قارون .

١٦- عظمة الله تعالى وجلاله وبهائه وأن الإنسان لا يستطيع تحمل النظر إلى ربه في الدنيا لعظمته وعزته سبحانه وتعالى .

١٧- استجابة الدعاء من المؤمنين وعدم استجابته من الخائنين .

١٨- بيان أن الله تعالى هو العالِم وحده وليس لأحد المعرفة أو العلم إلا بأمر الله تعالى وقدرته فينبغي رد العلم والقدرة إلى الله تعالى دائماً وأبداً .

١٩- عجلة بني آدم عليه السلام وضعف عقولهم .

٢٠- وجوب الصبر في سبيل الله تعالى وعدم الافتتان بالبلاء وشدته .

٢١- عدم دخول بني إسرائيل بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام .

٢٢- طلب موسى عليه السلام من الله تعالى أن يرسل إلى هارون عليه السلام دليل على أخوته الصادقة وحبه لأخيه، وهنا معلومة وهي أن كل إنسان يحب لابنه ما لا يحب لأخيه وليس كل الأخوان يتحقق فيما بينهم التفاهم والمودة .

٢٣- معرفة أن هارون عليه السلام كان ذا لحية، وكذلك فرعون وهذا دليل على أنه من الفطرة ومن السنة تربية اللحية وإطلاقها .

٢٤- في سؤال رؤية موسى عليه السلام لربه عز وجل تبين كيف أنه صُعق من رؤية الجبل مندكاً، فإذا كان موسى عليه السلام صُعِق من رؤية المتجلى عليه وهو الجبل فكيف لو رأى المتجلي سبحانه وتعالى وجلا في علاه .

٢٥- ثقة موسى عليه السلام الكاملة والمطلقة والمتناهية في اليقين بالله تعالى لما قال قائل حال عبور البحر : (إنا لمدركون) لما رأى جيش فرعون خلفهم فلم يتردد و لم يخف بل قال بملء فيه : (كلا إن معي ربي سيهدين) لثقته الكاملة والمطلقة بنصرة الله تعالى له، فكان أمر الله تعالى فوق التصور إذ قال له : (اضرب بعصاك البحر) فنجّى الله تعالى موسى عليه السلام وقومه وأهلك فرعون وقومه بتلك الضربة .

٢٦- ملاحظة أن موسى عليه السلام لما خرج بقومه من البحر أراد أن يضربه مرة أخرى ليعود فأمره الله تعالى أن يتركه كما هو

حتى يغتر فرعون فيدخل بجيشه خلفهم فيهلك فكان سبحانه وتعالى قد أهلك وأنجى بالشيء الواحد فسبحانه تعالى .

٢٧- نلاحظ قول موسى عليه السلام : (كلا إن معي ربي سيهدين) و لم يقل : (إن معنا ربنا سيهدينا) لأن بني إسرائيل حينها لم يكونوا على قدر من الإيمان بالله تعالى واليقين بنصرته سبحانه .

٢٨- في قصة المرأتين اللتين قالتا : (لا نسقي حتى يصدر الرعاء) إلى أن قالتا : (وأبونا شيخ كبير) بيان أن المرأة مصونة في بيتها لا تخرج منه إلا لحاجة ولضرورة ملحة وبعد أن يتعذر خروج محرمها معها، ومعرفة أن هذا الأمر كان معروفاً حتى عند السابقين لنا بكثير .

٢٩- موت الخضر عليه السلام والجزم بذلك .

النسب الشجري لعيسى عليه السلام

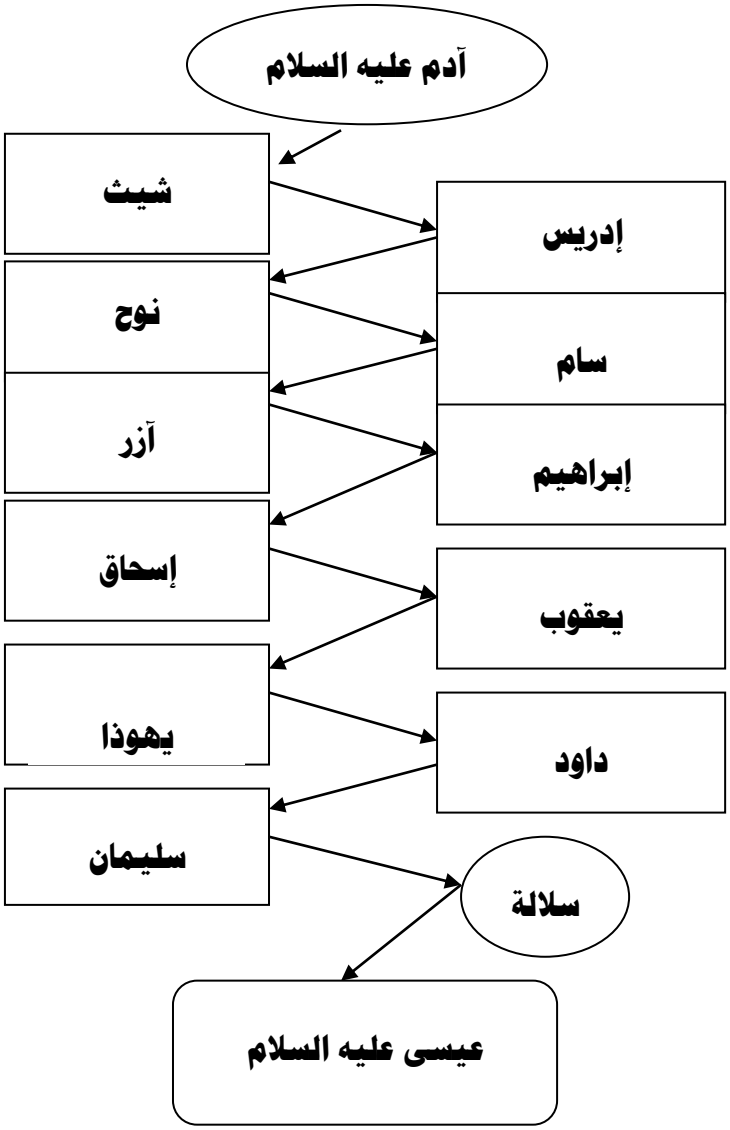

مدة حياته : (٣٣) سنة . ولم يمت بعد عليه السلام .

ورد ذكره صريحاً في القرآن الكريم (٢٥) مرة .

قال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ ﴾ [مريم]

﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦ ﴾ [الصف]

عيسى عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (عيسى) بن مريم بنت عمران بن باشم بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن أحريق بن موثم بن عزازيا بن أمصيا بن ياوش بن أحريهو بن يازم بن يهفاشاط بن أيشا بن أيان بن رحبعان بن داوود عليه السلام، وأم مريم هي (حنّة) بنت فاقود بنت قبيل .

قصة مريم :

يروى : أن حنة (أم مريم) اشتهت الولد فنذرت لله تعالى إن وهبها الولد أن تجعله خادماً لبيت المقدس، فرزقها الله تعالى (مريم)، فتقبلها وكفلها زكريا بالقرعة بينه وبين غيره في من يكفلها، حتى صارت من العابدات وكان زكريا زوج خالتها فاتخذ لها مكاناً شريفاً لا يدخله سواها تعبد الله تعالى فيه وتقوم بالسدانة في نوبتها، وكان زكريا كلما دخل عليها المحراب (مصلاها) وجد عندها رزقاً فيسألها عنه فتقول هو من عند الله تعالى .

وبشر الله تعالى مريم بأنها خير نساء العالمين وأنه سوف يرزقها ولداً وسيكون نبياً باراً بها، ففطنت إلى أنها ستلد ولداً من غير أب وتعجبت من ذلك كيف يكون فأجابتها الملائكة أن الله تعالى

إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون . وسبب معرفتها بأنها ستلد ولداً من غير أن تتزوج ذلك لأن الملائكة بشرتها بولد اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وبما أنه نسب لأمه عرفت بفطنتها أنه لن يكون له أب .

ميلاد عيسى :

وذات يوم خرجت مريم من المسجد لبعض شؤونها شرقي المسجد وكانت لا تخرج إلا إذا حاضت أو لضرورة ملحة فبعث الله تعالى إليها جبريل على صورة بشر فقالت أعوذ بالله منك إن كنت ممن يتقي الله فقال لها إنما أنا رسول ربكِ إليكِ لأهب لك غلاماً زكياً، فقالت له كيف وليس لي زوج فقال لها إن الله تعالى على كل شيء قدير وهذا عليه سهل ويسير وقد قدره تعالى ليكون آيه منه سبحانه وبيّنه على براءتك ثم نفخ جبريل في جيبها (فتحه الثوب من فوق أو مكان لبس الثوب من أعلى) فسرت النفخة إلى فرجها وحملت منها بعيسى[1].

قيل : حملت به وهي بنت (١٣) سنة والأشهر أن عمرها كان (٢٠) سنة، فضاقت به ذرعاً وعلمت أنها ستواجه من قومها كلاماً كثيراً في شأنها .

[1] اختلف المفسرون في مكان النفخة وفي كيفيتها والله تعالى أعلى وأعلم .

قيل : إن مريم دخلت على أختها أم يحي فقالت لها أشعرت أني حبلى ؟ فقالت مريم : وأنتِ هل شعرتي أني حبلى فتعانقتا وقالت لها أختها إني رأيت أن ما في بطني يسجد لما في بطنكِ (وكانت مريم حاملاً بعيسى وكانت أختها حاملاً بيحي عليهما السلام) .

بعد ذلك اتهمها بعض الزنادقة بيوسف ابن خالها الذي كان يتعبد معها وكذا اتهموها بغيره، فابتعدت عنهم تحت نخلة وهناك ولدته عليه السلام وتمنت الموت فناداها جبريل أن لا تحزني قد جعل ربكِ تحتكِ النهر وهزي إليك بجذع النخلة كي يتساقط عليكِ الرطب الجني وكلي واشربي وقري عينكِ، فنذرت لله تعالى ألا تكلم الناس وأن تصوم عن الكلام .

قيل : ولما افتقد القوم مريم طلبوها فجاءوا إلى مكانها تحت النخلة فإذا حولها الأنوار فكلموها، أما الذي قصه علينا القرآن هو أن مريم هي التي جاءت قومها تحمل عيسى عليه السلام، وعموماً لما جاءتهم امتدحوا أباها وأمها وأثنوا عليهما خيراً ثم قالوا لها يا مريم لقد جئت شيء عظيماً، فأشارت إليه أن كلموه، فقال القوم كيف نكلم طفلاً رضيعاً في المهد ؟ فقال عيسى عليه السلام :

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا

بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

وأخبرهم أن الله تعالى ربهم هذا هو الصراط المستقيم . فاختلف الأحزاب فيه فقالت طائفة : هو ولد زنى وقالت أخرى : هو ابن الله وقالت ثالثة : هو الله نفسه، ونجت طائفة رابعة منهم وقالت : هو عبد الله ورسوله .

منشأ عيسى عليه السلام :

ولد عليه السلام في بيت لحم بالقرب من بيت المقدس وتربى في حجر أمه حتى بلغ (٧) سنين فأسلمته أمه لمن يعلمه، ثم همّ به اليهود ليقتلوه فخافت أمه عليه وذهبت به إلى مصر وتربى هناك ثم عاد إلى القدس وعمره (١٢) سنة ثم اشتغل بالنجارة وتعلم القراءة والكتابة حتى بلغ الـ (٣٠) سنة وهو يتنقل لطلب العلم ويسأل ويناقش ويتعلم ...

وأنزل الله تعالى عليه جبريل وهو ابن (٣٠) سنة التوراة تصديقاً لما بين يديه، فأخذ يصحح دين اليهود وينشر معالم الدين الصحيح الذي طمسه اليهود وحرفوه .

---

[1] سورة مريم .

ونشأ عليه السلام في بني إسرائيل فصار يناقشهم والله تعالى يؤيده بالمعجزات فكان يخلق من الطين الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بأذن الله تعالى وكان يبرئ الأكمه (الذي خلق أعمي لا يبصر) والأبرص بأذن الله تعالى وكان يعلمهم بتصريف أرزاقهم، وقد جعل الله تعالى ذلك كله لأن بني إسرائيل كانوا قد برعوا في الطب فكان معجزاً لهم ولعقولهم لأن معجزاته كانت من جنس ما برعوا فيه إعجازاً لهم وإظهاراً للحق .

إنزال المائدة :

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[1] .

مكث عيسى عليه السلام يدعوا إلى تصحيح العقائد فآمن به قوم أطلق عليهم اسم (الحواريين) وهم أنصاره وكان عددهم

[1] سورة المائدة . انظر إلى سوء الأدب مع الله تعالى وكيف أن الحواريين لم يقولوا لعيسى عليه السلام (هل يأذن ربك أن ينزل مائدة) أو نحواً من هذا الأسلوب الطلبي المهذب، بل قالوا (هل يستطيع) وكأن الله عز وجل لا يستطيع ذلك وكأنهم يعجزونه جلت عظمته وهذا من سوء الأدب مع الله سبحانه نعوذ بالله تعالى من ذلك .

(١٢) في البداية فشدد بني إسرائيل عليهم وأخذوا يطاردونهم حتى أعياهم التعب فقالوا لعيسى وهم مطرودون جائعون هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء نأكل منها ونتبرك بها ونزداد يقيناً ؟ فأنّبهم عيسى عليه السلام على ذلك ثم إنه سأل الله تعالى أن ينزلها عليهم .

قيل : إن الذين طلبوا نزول المائدة من عيسى إنما هم العامة من اتباعه وليسوا الحواريين منهم فهم أكثر القوم تصديقاً له عليه السلام .

وقيل : إن عيسى عليه السلام أمرهم أن يصوموا (٣٠) يوماً وأن يطلبوا بعدها ما أرادوا ففعلوا وطلبوا المائدة فكان نزولها عيداً لهم .

فنزلت وكانت تدنو وعيسى عليه السلام يدعو الله تعالى فلما استقرت كشف عيسى عليه السلام المنديل (غطاءها) وقال (**بسم الله خير الرازقين**) .

وأمر الحواريين بالأكل فأبوا إلا أن يبدأ هو فأمر الضعفاء والمرضى بالأكل فكان كل من أكل منها بريء، وكانت تنزل كل يوم ثم أمر الله تعالى عيسى ألا يحضرها إلا الضعفاء وصارت تنزل يوماً بعد يوم ثم رفعت بالكلية عندما تكلم في شأنها المنافقون، ومسخوا خنازير .

نزول الإنجيل :

معنى الإنجيل (البشارة) وقد أنزل الله تعالى الإنجيل على عيسى عليه السلام وفيه كل ما أمره به وكل أمور الدين الصحيح الذي قد حرفه اليهود من قبله، ومما في (الإنجيل) الصحيح : أن عيسى عليه السلام سيرفع ثم سينزل آخر الزمان لقتل المسيح الدجال وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴿١١٠﴾ ﴾[1] .

ومما في الإنجيل الصحيح أيضاً البشارة بنبوة (محمد ﷺ) وعلامات وتفصيلات عن شخصيته ﷺ كصفاته وموطنه ومخرجه الذي يخرج منه ومهجره المكان الذي سيهاجر إليه .

الأناجيل بعد عيسى :

حرّف النصارى الإنجيل الصحيح بعد عيسى عليه السلام فجعلوها أقساماً أربعه من بعده هي أناجيل (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) ولم تكن تلك الأناجيل في حياته عليه السلام ولكنها مؤلفةً من بعده فقد قام كلٌ من أولئك الأربعة بتأليف قصصاً واعظة كثيرة بعد المسيح عيسى عليه السلام سماها إنجيل، وصار كل إنجيل ينسب إلى مؤلفه ذاك .

---

[1] سورة آل عمران .

هذا بالإضافة إلى أن تلك الأناجيل الأربعة تعارض بعضها بعضاً، وقد أُلف أول تلك الأناجيل بعد عيسى عليه السلام بسنين عديدة، وهذه الأناجيل الأربعة هي :

١- إنجيل متّى (العشّار) : قيل هو أحد تلاميذ عيسى عليه السلام الاثنا عشر .

٢- إنجيل مرقس : قيل هو تلميذ بطرس كبير الحواريين وقيل هو أحد السبعين الذين اختار الله أحدهم بدل عيسى عليه السلام عند رفعه .

٣- إنجيل لوقا : وهو من أصل يهودي، وقد تتلمذ على يد محرف النصرانية وهو اليهودي بولس والذي اسمه في الأصل (شاؤول) .

٤- إنجيل يوحنا : وقد اختلف فيه فادعى البعض أنه أحد الحواريين .

وهناك إنجيل (برنابا) والذي يختلف مع الأناجيل الأربعة الواردة، وقد ورد فيه الكثير مما يوافق شريعة الإسلام ومن ذلك : (أن الله تعالى رب العالمين، وأن الذبيح هو إسماعيل، والبشرى بنبوة محمد ﷺ، والحث على الختان، وأن عيسى عليه السلام نبي وأنه لم يقتل و لم يصلب بل رفع إلى السماء) .

ولعله يتضح لنا مما ورد في إنجيل برنابا أنه لربما كان جزءً من الإنجيل الحقيقي المنزل على عيسى عليه السلام .

قصة رفعه عليه السلام :

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1] .

رفع الله تعالى عيسى عليه السلام إليه و لم يقبض روحه بعد، أي أنه عليه السلام لم يمت بل سينزل آخر الزمان لقتل (المسيح الدجال) ولإقامة الدين الصحيح ألا وهو الإسلام .

الحصار :

حاصرت بنو إسرائيل المسيح عيسى عليه السلام في داره يوم الجمعة ليلة السبت، وقبل دخولهم ألقى الله الشبه على أحد الحاضرين وفتحت فتحة في السقف فأغمي على المسيح ورفع إلى السماء ودخل القوم فألقوا القبض على الذي شُبه لهم فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه وهم يحسبونه عيسى عليه السلام .

---

[1] سورة آل عمران .

قيل : وكان الذين معه في الدار الحواريين الاثنى عشر فقال لهم عليه السلام أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ؟ فقام شاب صغير السن فقال له عيسى عليه السلام اجلس ثم كرر كلامه فعاد الشاب وقام مرة أخرى فألقى الله تعالى عليه الشبه فأخذ وقتل وصلب بينما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء . **قيل** : أن اسم الذي ألقي عليه الشبه (يودس) . ورفع عيسى عليه السلام وهو ابن (٣٣) سنه، وعاشت أمه عليها السلام من بعده (٥) سنين .

مريم بعد عيسى عليهما السلام :

قيل : في شأن مريم بعد رفع عيسى عليه السلام أنها ذهبت بعد (٧) أيام إلى الملك تريد إنزال جسد المصلوب وهي تظن أنه ابنها عيسى فأنزله الملك وأمر بدفنه، ثم ذهبت مريم وأختها إلى القبر وقبل أن يصلا إليه قالت مريم لأختها : تستري ألا ترين ذلك الرجل واقفاً على القبر فقالت أم يحي لا أرى شيئاً فعلمت مريم أن الواقف هو جبريل، فجاءته وحدها وسألها جبريل عن مجيئها فقالت له : جئت لزيارة ابني فقال لها : إن عيسى لم يمت وإنما رفعه الله تعالى إليه وأن الميت هو رجلٌ شبه به وأن أهله افتقدوه وهم يبكون عليه، وأخبرها أنها ستلتقي بالمسيح عيسى عليه السلام في يوم كذا في مكان كذا .

وفي الزمان والمكان الذي أخبرها به وجدته عليه السلام فأخذ يسلم عليها ويَبَرُ بها ثم قال لها : يا أمي إن الله تعالى قد رفعني إليه ولم أمت فاصبري واذكري الله تعالى ثم صعد إلى السماء فلم تره بعدها حتى ماتت، وعمرها آنذاك (٥٣) سنة كما قيل .

النصارى بعد عيسى عليه السلام :

افترقت النصارى بعد رفع عيسى عليه السلام إلى (٣) فـــرق مختلفة فيما بينها :

الأولى قالت : كان فينا ابن الله ثم رفع، وهم النسطورية .

الثانية قالت : كان فينا الله نفسه ثم صعد، وهم اليعقوبية .

الثالثة قالت : كان فينا عبد الله ورسوله ثم رفع، وهم المسلمون .

فتظاهرت الفرقتان الكافرتان على المسلمة فقتلوها ولم تظهر إلا بعد بعثة محمد ﷺ .

الدروس والعبر المستفادة من قصة عيسى عليه السلام

١- تحمل مريم عليها السلام الأذى مع براءتهـــا، وإخلاصـــها في سبيل الله تعالى .

٢- إعجاز خلق عيسى عليه السلام من غير أب، وكلامه في المهد لتبرأته أمه مريم عليها السلام وإثبات نبوته .

٣- إعجاز أمر الله تعالى بأمره لمريم عليها السلام أن تهز النخلة القوية الثابتة التي لا يستطيع هزها الرجال الأشداء وهي امرأة واحدة ضعيفة هزيلة تعبة من النفاس وآلامه، وإنما كان ذلك ليكون سقوط الرطب بسبب، وإثبات أن كل شيء له سبب ليكون والله تعالى هو المسبب ... فكل ما أراد الله تعالى كان ولو بأدنى الحيل، وكل ما لم يرده سبحانه لم يكن ولو بأدهى الحيل .

٤- خلاف بني إسرائيل في عيسى عليه السلام وكذا في الإنجيل من بعده وتحريفهم له وللتوراة من قبله .

٥- نزول المائدة على الصالحين من اتباع موسى تطميناً لهم ثم رفعها بعد حلول البطر وعدم مقابلة النعمة بالشكر .

٦- حياة عيسى عليه السلام في السماء بعد رفعه وأنه لم يمت وأن نزوله سيكون آخر الزمان لقتل المسيح الدجال، وإثبات تبعيته لهذا الدين .

٧- بشارة عيسى عليه السلام برسولٍ يأتي من بعده من العرب وورود تفصيلات عن أوصافه في التوراة وهو (محمد ﷺ) .

٨- إن الموت كتب على كل نفس بشرية مرة واحدة فقط في الدنيا ولو مات عيسى عليه السلام لم يكن ليبعث آخر الزمان .

٩- حسد بني إسرائيل عيسى عليه السلام وتحريفهم الديانة النصرانية من بعده، وافتراقهم عدة فرق كلٌ تقدح في غيرها .

١٠- كل الرسالات السماوية منطلقها واحد وهو الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى مع اختلاف الشرائع حسب الأمم، فلكل قوم شريعة تناسب زمانهم .

١١- وجوب معرفة أن الرسالة النصرانية ناسخة لسابقتها اليهودية، وأن الإسلام ناسخة لسابقته النصرانية فهو الدين الشامل، فمن أقام الديانة اليهودية أو النصرانية على وجهها الصحيح قاده ذلك لاعتناق الإسلام، لأن الإيمان بالإسلام هو الإيمان والكفر به هو الكفر .

١٢- إن عيسى عليه السلام هو أحد الذين تكلموا في المهد، وكل الأنبياء عليهم السلام بعثوا بعد سن الأربعين إلا عيسى عليه السلام فقد ثبتت نبوته وهو في المهد بكلامه وتبرأته لأمه مريم عليها السلام .

١٣- يطلق لفظ الحواريين على كل من آمن بعيسى عليه السلام وصدق به .

١٤- قال ﷺ : (**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسه الشيطان إلا ابن مريم وأمه** ثم قال أبو هريرة : اقرؤا إن شئتم : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾)[1] .

---

[1] متفق عليه . سورة آل عمران .

١٥- سُئل الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى عن مسمى مسيحي ونصراني فقال : (معنى مسيحي نسبة إلى المسيح وهم يزعمون أنهم ينتمون إليه وهو بريء منهم وقد كذبوا فإنه لم يقل لهم أنه ابن الله ولكن قال عبد الله ورسوله والأولى أن يسموا نصارى كما سماهم سبحانه وتعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴿١١٣﴾ ﴾)[1].

[1] مجموع فتوى ابن باز ج٢، ص٥٢١، س١٠ .

الباب الثالث : قصص الأنبياء والرسل في القرآن الكريم

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴿١٦٥﴾ ﴾[النساء]

- إدريس عليه السلام
- هود عليه السلام
- صالح عليه السلام
- لوط عليه السلام
- إسماعيل عليه السلام
- إسحاق عليه السلام
- يعقوب عليه السلام
- يوسف عليه السلام
- شعيب عليه السلام
- أيوب عليه السلام
- يونس عليه السلام
- هارون عليه السلام
- داود عليه السلام
- سليمان عليه السلام
- إلياس عليه السلام
- زكريا عليه السلام
- يحي عليه السلام

النسب الشجري لإدريس عليه السلام

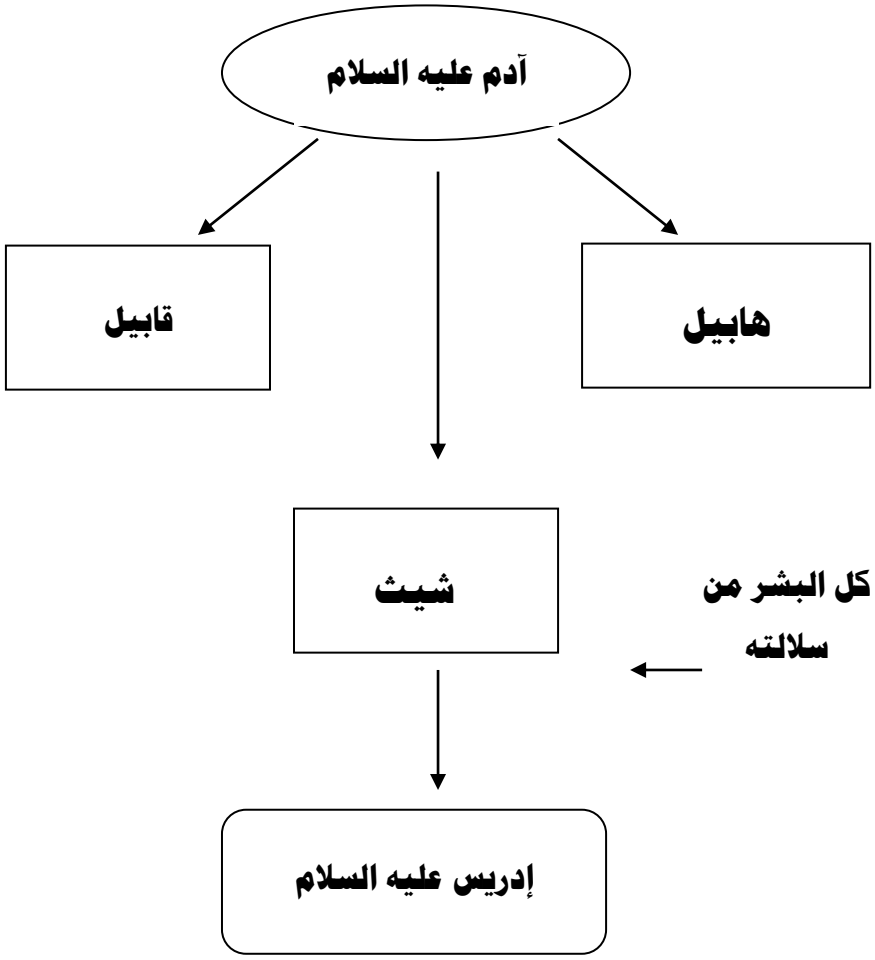

مدة حياته : (٨٣) سنة .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٢) مرتين .

قال تعالى :

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ٥٧ ﴾

[مريم]

﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥ ﴾

[الأنبياء]

إدريس عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (أخنوخ) بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، ولد إدريس عليه السلام ببابل، وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وأول من حمل السلاح وقاتل به الكفار، و**قيل** : إنه كان يرى الملائكة وهي تطير في الهواء وأنه كان يكلم السحاب وقد أدرك عليه السلام من حياة أبيه آدم (٣٠٨) سنين .

قصته :

لم يعرف عن إدريس عليه السلام إلا القليل فقط من حياته ومن ذلك قصه موته عليه السلام وهي :

قيل : كان عليه السلام خليلاً لأحد الملائكة، فقال عليه السلام لذلك الملك يوماً سل ملك الموت متى أجلي ؟

وقل له أن يؤخره كي أزداد عملاً صالحاً، فقال الملك سوف أكلم ملك الموت بذلك وحمل إدريس على جناحيه وصعد به إلى السماء فقابل ملك الموت في السماء الرابعة، فقال له هناك إن لي صديقاً من بني آدم أريد أن تؤخر أجله، فقال ملك الموت لا أستطيع ذلك ولكني سأعلمك بحلول أجله، فسأله عن وقت موت

إدريس عليه السلام فقال له ملك الموت : وأين هـــو إدريـــس ؟ فأجاب الملك صديق إدريس عليه السلام وقال ها هو ذا معي قد صعدت به، فقال ملك الموت : عجباً قد بعثت لأقبض روحه الآن في السماء الرابعة فقلت كيف وهو الآن على الأرض فأمـــا الآن فقد حان أجله، فقبض روحه هناك .

الدروس والعبر المستفادة من قصة إدريس عليه السلام

١- حرص جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وعمـــوم الأولياء والصالحين على الوقت والاستفادة منه قدر المستطاع .

٢- بيان قدرة الملائكة عليهم السلام، وأنهـــم عبـــاد الله تعـــالى المخلصون المجبولون على الطاعة .

٣- بيان أن الملائكة عليهم السلام لا يعلمون من الغيب شيئاً مع قربهم من الله تعالى في السماء .

٤- قدرة الله عز وجل المعجزة لكل شيء، وأن مشيئته فوق كل مشيئة وقدرته فوق كل قدرة .

٥- معرفة أن لكل نفسٍ أجل معلوم لا تتعداه، وأن لهـــا مكانـــاً معلوماً قدره الله سبحانه تموت فيه .

٦- معرفة أن للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معجـــزات خارجة عن نطاق البشر قدرها سبحانه وتعالى لهـــم كالآيـــات الباهرات تأييداً لهم وتصديقاً .

٧- بيان إن إدريس قد أدرك من حياة أبيه آدم عليهما السلام .

٨- معرفة أن إدريس نبي وقد كان قبل نوح عليهما السلام .

٩- إن إدريس عليه السلام كان أول من خط بالقلم وأول مـــن خاط الثياب وأول من قاتل الكفار، وفي ذلك دليل على أنه كان في أيامه كفار بالله تعالى يعبدون غيره سبحانه .

النسب الشجري لهود عليه السلام

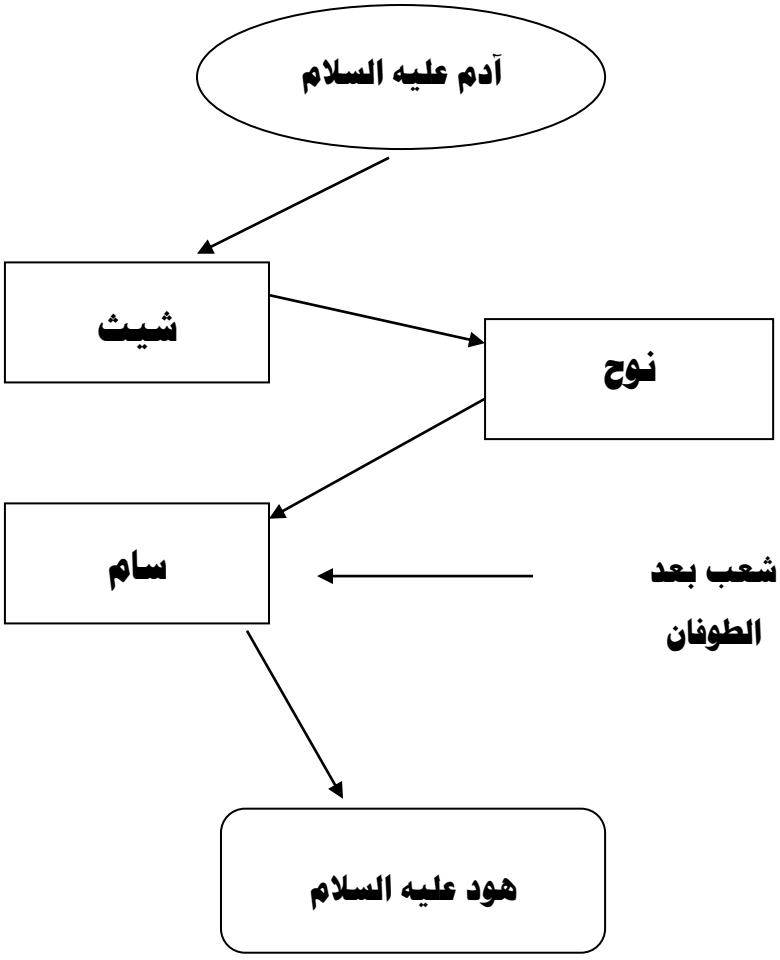

مدة حياته : (١٥٠) سنة .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٧) مرات .

قال تعالى :

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾
إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾
تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

[القمر]

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

[الأعراف]

هود عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (هود) بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن (نـــوح) عليـــه السلام بن لامك، **وقيل** : بل هو (هود) بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

وقبيلة عاد كانت تسكن جبال الرمل بالأحقاف في موضـــع يقال له الشِّحر من أرض اليمن وكانوا عرباً عاربة تتكلم العربيـــة الفصيحة، وهم أول قبيلة عبدت الأصنام بعد الطوفان، وأصنامهم ثلاثة (صداء، صمودا، هرا) .

قصته :

أرسل الله تعالى هوداً إلى قومه قبيلة عاد فحذرهم وأنذرهم ونهاهم عن عبادة الأصنام وأمرهم بعبادة الله عز وجل وحده وبين لهم أن آلهتهم لا تضر ولا تنفع، فقالوا كيف يبعث الله رسولاً من البشر واستبعدوا ذلك الأمر وكذبوا كل ما جاء به هود عليه السلام من المواعظ وأهوال القيامة من الحشر والنشور والبعث والحساب والجنة والنار وأمور الآخرة ويوم القيامة واستكبروا وعاندوا وقالوا لهود عليه السلام :

﴿ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[1]

وإن كنت صادقاً فأتنا بعذاب الله الذي تتوعدنا به واغتروا بقوتهم وعظم أجسامهم حتى **قيل** : إن الأرض كانت تهتز تحت أقدامهم إذا مشو وكانوا يشيدون القصور والحصون والبساتين والمصانع تباهياً وتفاخراً وتكبراً، وكانوا يتعاملون بالعنف والشدة فلم تنفعهم المواعظ والعبر .

كيفية هلاكهم :

لما رأى هود عليه السلام موقف قومه ذلك وسمع ردهم دعا عليهم فمنعوا القطر من السماء (٣) سنوات لا يأتيهم المطر، فاستغاثوا بهود عليه السلام ليدعوا الله تعالى أن يرزقهم المطر فقال لهم آمنوا بالله تعالى وحده كي أدعوه لكم بأن يرزقكم الماء فتولوا عنه مدبرين، وبعثوا وفداً لهم إلى مكة كي يستسقون لهم في الحرم، وكان عدد الوفد (٧٠) رجلاً فمروا برجل يدعى معاوية فاستضافهم عنده (شهر) يأكلون ويشربون الخمر حتى طال مقامهم وتضجر منهم عنده وقومهم يعانون الظمأ، فأمر جاريتين له تسميان (الجرادتان) أن تغنيهم وتعرضان لشأنهم الذي جاءوا له، فلما غنتهما الجرادتان تنبه القوم لذلك ونهضوا مسرعين

[1] سورة الشعراء .

يستسقون عند الحرم ودعا داعيهم فأنشأ الله تعالى لهم (٣) سحابات سوداء وبيضاء وحمراء فناداه منادٍ من السماء أن اختر إحدى هذه الثلاث السحابات، فاختار السوداء لظنه أنها أكثر ماءاً . ثم ناداه المنادي : (أن قد اخترت رماداً رمدداً لا تبقي من عادٍ أحداً لا والداً تترك ولا ولداً إلا جعلته همداً إلا بني اللوذية الهمدا) .

بنو اللوذية :

وهم الذين كانوا مقيمين بمكة يستسقون عند الحرم، وأرسل الله تعالى الريح إلى مساكن عاد فلما رأوها قالوا هذا عارضٌ ممطرنا واستبشروا به، وخرجت الريح عليهم من وادٍ يقال له المغيث، وكان أول من رأى الريح وعرف ما فيها امرأة **قيل** : اسمها (مهد) فصعقت ولما أفاقت قيل لها ماذا رأيتِ ؟ فقالت لهم : (رأيت ريحاً فيها كشهب النار يقودها رجال أمامها) .

الريح :

وقد سخرت الريح عليهم (٧ ليال و٨ أيام) متواصلة تزداد برودة مع الوقت، وكانت ترفع الرجل في الهواء فتدمغه وتنكسه على رأسه ثم تشدخه فتنخره حتى جعلتهم كالعظام النخرة المجوفة

البالية المفتتة . وسميت هذه الريح (العقيم) أو (الدبور) وقد قال نبينا الكريم ﷺ : (**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**)[1].

واعتزل هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين في حظيرة فكانت الريح تمر عليهم تلين جلودهم وتلذ بها أنفسهم فلا يضرهم بأمر الله تعالى .

...**{فسبحان الله العظيم}**...

أما الوفد الذين كانوا في الحرم فلم يصبهم شيء لأنهم كانوا في حرم الله تعالى، ولما خرجوا **قيل** : أصاب كلٌ منهم حجره المعلوم من السماء فهلكوا، و**قيل** : غير ذلك .

وسكن هود عليه السلام بعد هلاك عاد بلاد حضرموت ومات فيها ودفن هناك في كثيب أحمر .

الدروس والعبر المستفادة من قصة هود عليه السلام

١- لطف الله تعالى بعباده حين أرسل معاشر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إلى سائر الأمم للدعوة وإيضاح الحق وإبطال الباطل قبل تعذيبهم .

٢- بيان أن هوداً عليه السلام وقومه من العرب وممن استوطن الجزيرة .

---

[1] متفق عليه .

٣- أخذ الله تعالى الحجة على العباد بإرساله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مما يقطع جدوى الإنكار لكون ذلك بينة عليهم .

٤- إنذار هود عليه السلام قومه وعدم استجابتهم لدعوته بل كابروا وعاندوا رغم أنهم كانوا في سعة رزق ورغد عيش .

٥- بيان أن حرم الله تعالى آمن منذ أن خلقت الأرض وإلى قيام الساعة وأن من دخله كان آمناً وإن كان من العصاة الظالمين المعتدين .

٦- استدراج الله تعالى لقوم هود عليه السلام بتخييرهم بين السحاب، فيه دليل على أن عذاب الله تعالى قد يكون بما ظاهره الرحمة، وأن السحاب ربما كان سحاب عذاب ووبال وهدم وغرق .

٧- العاقبة للحسنى، والعبرة بالغير قبل جعل النفس عبرةً للغير .

٨- إن نبينا محمد ﷺ كان يتعوذ إذا رأى السحاب أو الريح خشية أن تكون سحباً وريح هدم ووبالاً وغرقاً وعذاباً .

٩- وجوب معرفة الفرق بين الريح والرياح، فالريح تأتي من جهة واحدة وتكون للعذاب والرياح وتأتي من جهات مختلفة وتكون للمنافع وربما للمطر .

١٠- كل الأمم السابقة كانت تستسقي الله تعالى وتطلب منه المعونة والقطر ولا سيما في حرمه مكة المكرمة، فيه دليل على تقديس العرب لها وتعظيمهما .

١١- قال العلماء إن في الريح مقومات الحياة كلها ففيها النفس الذي نتنفس منه ومنها تحريك السحاب الذي منه المطر والذي منه النبات أيضاً هذا بالإضافة إلى أنه يقوم بتلقيح النبات، إذن منه النفس ومنه الشراب وهو الماء ومنه الطعام من النبات ومنه التلقيح، أما الريح العقيم لا تأت لشيء من ذلك، فإذا جاء في القرآن الكريم لفظ الريح بصيغة المفرد فهي للعذاب وإذا جاءت بصيغة الجمع الرياح كانت للرحمة وللمطر ولما سوى ذلك .

١٢- ذكر البخاري في تاريخه وابن جرير وابن عساكر في تاريخه رحمهم الله تعالى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : (قبر هود بحضرموت في كثيب أحمر عند رأسه سدرة)[١]. **وقيل** : في الحِجر في الأثر : (إنه لم تهلك أمة إلا لحق نبيها بمكة، فيعبد فيها حتى يموت، وإن قبر هود بين الحجر وزمزم)[٢].

---

[١] رواه الحاكم .

[٢] رواه الحاكم .

النسب الشجري لصالح عليه السلام

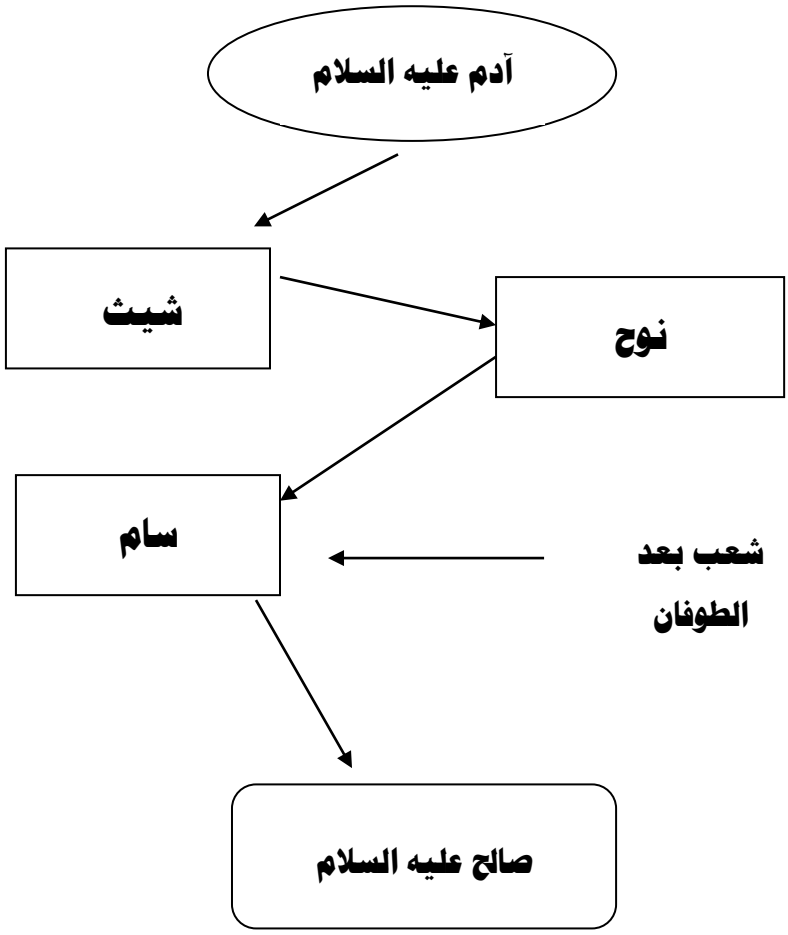

مدة حياته : (٥٨) سنة .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٩) مرات .

قال تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۘ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

[الأعراف]

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

[النمل]

صالح عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (صالح) بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر أو حاجر بن ثمود بن عابر بن إرم بن نوح عليه السلام .

وقومه قبيلة (ثمود) ومساكنهم بالمدائن، وتسمى الحجر وهي الآن بتبوك من أرض الجزيرة، وكانوا يعبدون الأصنام .

قصته :

كان قوم صالح عليه السلام يعبدون الأصنام فبعث الله تعالى إليهم نبياً منهم وهو صالح عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده وألا يشركوا به تعالى شيئاً، فكفروا وعاندوا وتمادوا في الكفر وكانوا من شدة عتوهم ينحتون الجبال بيوتاً متفننين بها معجبين .

وقد بعث فيهم صالح عليه السلام وهو شاب واستمر يدعوهم إلى عبادة الله تعالى حتى كبر وهرم صغيرهم، ولما ألح عليهم الدعوة إلى الله تعالى طلبوا منه آيةً بينةً على صدق كلامه ومعجزةً تؤيده وهي أن يخرج لهم من صخرةٍ صماء حددوها له ناقةً اشترطوا فيها شروط .

فقام عليه السلام وصلى ثم دعا الله تعالى أن يستجيب دعاؤه وأن يخرج لهم أمامهم ما طلبوه منه تأييداً له ولدعوته، فاستجاب الله تعالى له وانفلقت الصخرة عن ناقة كما اشترطوها ومعها ابنها، فآمن سيد ثمود جندع بن عمرو ورهط معه، وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا جميعاً فمنعهم بعض أصحاب أصنامهم وكهانهم .

وهنا قال صالح عليه السلام : إن لكم شرب يوم من ماء البئر ولهذه الناقة شرب يوم من الماء وتشربون أنتم في يومها من لبنها بدل الماء .

الناقة :

وبقيت الناقة على ذلك فترةً من الزمن حتى نقم عليها المشركون وعزموا على عقرها، فخرج أشقى الناس كما في الحديث عن نبينا الكريم وهو (قذار بن سالف) وكان أحمر أزرق قصير . **قيل** : إنه ولد زنا ومعه مصدع بن مهرج وسبعة رهط من الأشقياء الغواة، فكان مجموعهم (٩) وهم التسعة الذين في الآية الكريمة :

﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1] .

[1] سورة النمل .

وانتدب هؤلاء المفسدون في المدينة يحسنون عقر الناقه فأجابهم كل شقيٍ لذلك وتبعهم كل غوي .

ثم رصدوا لقتل الناقة فكمن لها مصدع ورماها بسهم في عضلة ساقها ثم شد عليها قذار بن سالف فكشف عرقوبها بالسيف فسقطت الناقة ثم شد عليها أخرى فطعنها في لبتها ونحرها وهرب طفلها إلى جبل ورغى ثلاث ثم دخل الصخرة التي خرج منها وغاب فيها و**قيل** : بل عقر مع أمه .

ولما علم صالح عليه السلام بعقر الناقة غضب لذلك، بينما عزم الأشقياء من قومه على قتله وأهله ومن معه أجمعين وذهبوا إلى بيته فرضختهم الحجارة ووعدهم صالح عليه السلام (٣) أيام أجلهم قبل نزول العذاب وحلوله بهم، ثم كان ما كان .

الأجل :

فأصبحوا يوم الخميس اليوم الأول فاصفرت وجوههم ولما أمسوا ناداهم منادٍ أن قد مضى يوم من الأجل .

ثم أصبحوا يوم الجمعة اليوم الثاني فاحمرت وجوههم ولما أمسوا ناداهم منادٍ أن قد مضى يومان من الأجل .

ثم أصبحوا يوم السبت اليوم الثالث فاسودت وجوههم ولما أمسوا ناداهم منادٍ أن قد مضى الأجل .

وفي صباح يوم (الأحد) لبسوا الأكفان وتحنطوا وخرجوا ينتظرون الموت، وعند شروق الشمس جاءهم (صيحةٌ من السماء ورجفةٌ من الأرض) فاضت منها أرواحهم وزهقت لها أنفسهم، فصاروا جثثاً هامدة إلا رجلٌ يقال له (أبو رغال) كان في الحرم فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن هناك .

قيل : إن صالحاً عليه السلام خاطب قومه بعد هلاكهم بقوله : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1] .

ونجا صالح عليه السلام هو ومن معه من المؤمنين، وعاش بعد ذلك بأرض (فلسطين) .

الدروس والعبر المستفادة من قصة صالح عليه السلام

١- بيان إن صالح عليه السلام من العرب لأن كل نبي يبعث بلسان قومه .

٢- قوة عناد وبطش قوم صالح عليه السلام وشدة عتوهم وذلك بنحتهم الجبال بيوتاً معجبين بها فرحين .

٣- إظهار الحجة بقدرة الله تعالى حسب ما تفهمه عقولهم بتحقيق طلبهم وهو إخراج الناقة من الصخرة الصماء .

---

[1] سورة الأعراف .

٤- بيان أن العناد هو رأس الكفر وعقبة النار .

٥- أن الله تعالى يمهل حتى تظهر الحجة ولا يهمل أبداً .

٦- المساعدة على نشر الكفر والباطل يحقق حلول العذاب بالجميع .

٧- بيان أن الخروج عن طاعة الله تعالى يعد تعرضاً لسخطه .

٨- عباد الله تعالى لا خوفٍ عليهم ولا هم يحزنون، وأن العذاب شديد على أعداء الله سبحانه محيطٌ بهم .

٩- وجوب الإنابة عند رؤية العذاب أو معالمه وليس التكبر وانتظار حلوله كما فعل قوم صالح عليه السلام .

١٠- لكل نبي معجزات يؤيده الله تعالى بها ويصدق قوله .

١١- يقع العذاب على الجميع متى انتشر الباطل واستفحل وتفشى بينهم و لم يقم أهل العلم والعقل واللب من كل قوم بدورهم في النصح والتوجيه والإرشاد والتحذير من عواقب المهالك .

١٢- إن للحق أنصار وأهل وللباطل أنصار وأهل وكل فريق منهما يسعى جاهداً لإعلاء ما هو مقتنع به .

النسب الشجري للوط عليه السلام

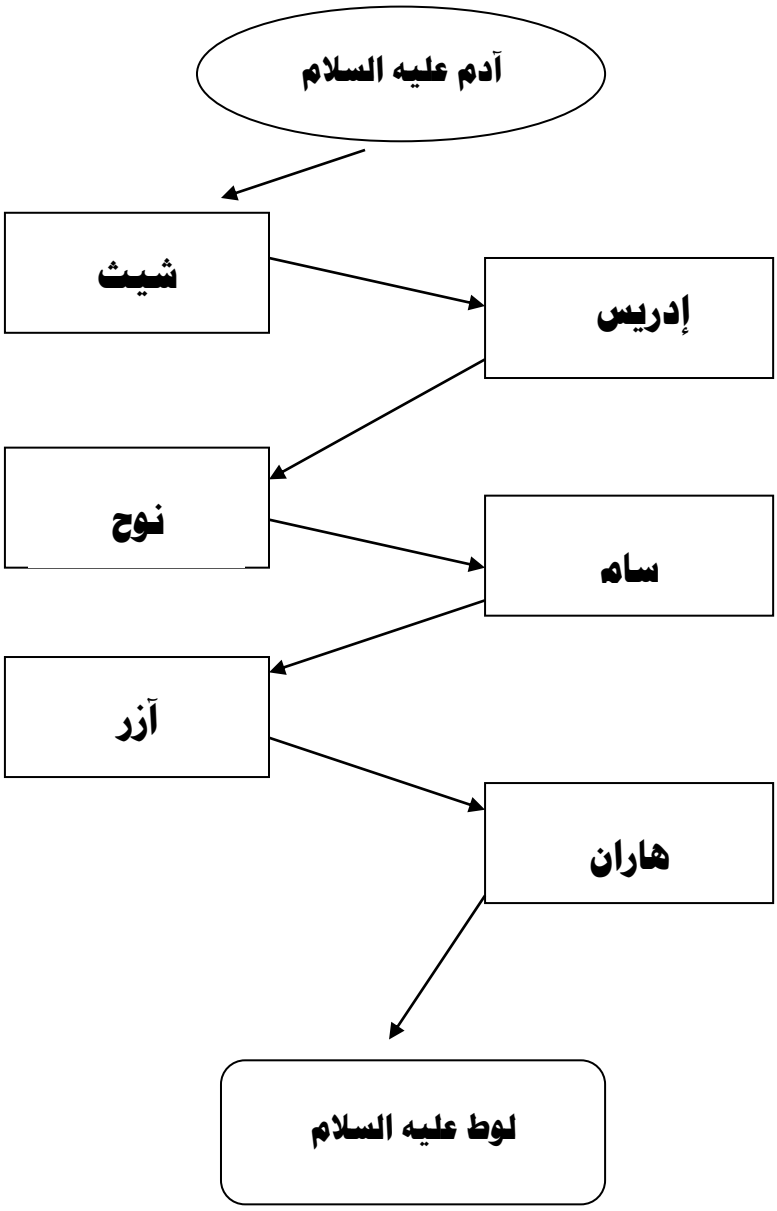

مدة حياته : (غير معروفه) .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٢٧) مرة .

قال تعالى :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا
مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

[الأعراف]

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾
قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾
قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا
رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ
وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ
إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾[هود]

لوط عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (لوط) بن هاران بن تارح (آزر) ... إلى آخر نسب إبراهيم عليهما السلام .

تبع لوط دين عمه إبراهيم عليهما السلام وآمن به وهاجر معه، فأرسله الله تعالى بعد ذلك إلى قرى سدوم وعمورة وكانت (٧) قرى من أرض الأردن .

قيل : و لم يكن عليه السلام من نفس تلك القرى بل أرسله الله تعالى إليهم ليبلغ أمره إليهم، وكانت رسالته في زمن الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

قصته :

كان لوط عليه السلام قد تزوج امرأةً بإذن عمه إبراهيم عليهما السلام، ثم هاجر فنزل وسكن سدوم بأمره، وكان أهل تلك القرى السبع من أفجر وأضل وأخبث وأقبح الناس وأشدهم ضلالاً فكانوا يقطعون السبيل ويجاهرون بالمعاصي ولا يتناهون عن منكرٍ فعلوه، وهم أول من ابتدع **فاحشة اللواط** وهي : (إتيان الذكور بعضهم بعضاً ووضع الشهوة في الرجال دون الإناث)

وكذا أول من ابتدع **مساحقة النساء** وهي : (إتيان النساء بعضهن بعضاً دون الرجال) . فاكتفى (**الرجال بالرجال باللواط، والنساء بالنساء بالمساحقة**) .

حذّر لوط عليه السلام قومه من أفعالهم تلك ووبخهم عليها وبين لهم خطر تلك الأفاعيل ووضح لهم قبح تلك المنكرات فلم يزدهم ذلك إلا تمادياً في الباطل وإصراراً عليها، ولما ألحّ عليهم الدعوة إلى الله تعالى هددوه بالطرد والإخراج من قراهم .

الملائكة :

أرسل الله تعالى بعد ذلك الملائكة إلى قوم لوط عليه السلام لتشهد ولتقيم الحجة عليهم ولتعاقبهم بما يستحقون، فمروا على إبراهيم الخليل عليه السلام ليبشروه بغلام حليم، وأخبروه أن الله تعالى أمرهم بإهلاك قوم لوط وأنهم ذاهبون لذلك فخاف إبراهيم على ابن أخيه لوط عليهما السلام والمؤمنون معه، فأخبرته الملائكة أن الله تعالى سينجيه وأهله ومن آمن معه إلا امرأته قدرت من الهالكين الغابرين . ولما خرجت الملائكة من عند إبراهيم الخليل وذهبوا إلى لوط عليهما السلام جاءوه على هيئة شباب مرد حسان الوجوه وهو في أرضه فاستضافهم عنده وهو كاره لذلك خوفاً عليهم من قومه المجرمين الأشرار وهو لا يعلم أنهم رسل الله

تعالى إليه . وانطلق لوط عليه السلام أمامهم وأخذ يبين لهم خبث قومه وفسوقهم وشرورهم، ولما وصل إلى البيت أرسلت زوجته إلى أهل القرية تخبرهم بإتيان شباب حسان في غاية الجمال ضيوفاً عند لوط .

فجاء القوم يهرعون مسرعين إليه يطلبون منه إخراج الضيوف لهم فقال :

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ ﴾[1]

فسمعت الملائكة المحاورة بين لوط وقومه، وسمعوا كل إلحاحهم عليه بالدخول ومعارضته لهم حتى قال :

﴿ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠ ﴾[2].

وهنا ظهرت وأقيمت الحجة والبينة عليهم، وقالت الملائكة له إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فخرج جبريل عليه السلام وضرب بجناحه أعينهم فطمسها حتى ذهبوا يتحسسون الحيطان وهم يتوعدون لوطاً وضيوفه بالسوء . قال نبينا ﷺ في ذلك : **(يغفر"يرحم" الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد)**[3]. أي أنه لم يأو إلى عشيرته وإنما أوى إلى الله تعالى .

---

[1] سورة هود .

[2] سورة هود .

[3] رواه البخاري .

وقال أيضاً ﷺ : (... **قال لوط لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد قال فإنه كان يأوي إلى ركن شديد ولكنه عنى عشيرته فما بعث الله نبياً إلا في ذروة من قومه**)[1]. أي في منعة وقوة من قومه .

وأمرت الملائكة لوط عليه السلام أن يخرج هو ومن آمن معه قبل طلوع الصبح لأنه وقت هلاكهم :

﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾[2].

ثم عاد القوم بعد ذلك إلى بيت لوط ليأخذوا ضيوفه بالقوة فطمس الله تعالى أبصارهم فلم يروا لوطاً ولا ضيوفه، بينما خرج هو والمؤمنين معه يسيرون بالليل يسوقهم أمامه وهو أخرهم، ولا يلتفت منهم أحد .

كيفية هلاكهم :

وفي الصباح وعند شروق الشمس أرسل الله تعالى إليهم جبريل عليه السلام فاقتلع (المدن السبع) بما وبمن فيهن ورفعها إلى عنان السماء الأولى حتى سمعت ملائكة السماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم قلب الأرض عليهم فصار عاليها

---

[1] رواه الترمذي وأحمد والحاكم .

[2] سورة هود .

سافلها ثم أمطروا حجارةً من السماء من سجِّيل لكـــلٍ مـــنهم حجره المعلوم، وصارت تلك الأرض بحيرةً منتنة .

قيل : لم يسلم من قوم لوط سوى ابنتيه، فنزلوا بعد ذلـــك وسكنوا قرية صوغر بالشام حتى مات فيها عليه السلام .

زوجة لوط عليه السلام :

كانت زوجة لوط عليه السلام خائنة لزوجها ومخالفة لشرع ربها غير مسلمة له ولا متبعة لدينه سبحانه، تفشي سر زوجها وتدل قومها الفجرة إذا حل الضيوف ونزلوا بلوط عليه السلام، فكانت نهاراً تعمد إلى الدخان كي تعلمهم بحضور ضيوف عنده وكانت ليلاً توقد النار لتعلمهم بذلك، فكان عاقبتها أنها أهلكت مع قومها الكفرة الفجرة . وقيل : **إن امرأة لوط عليه السلام لما سمعت العذاب التفتت وقالت (وا قوماه) فنزل عليها حجرها من السماء فدمغها** . قيل : **وكان اسمها (والهة)** .

الدروس والعبر المستفادة من قصة لوط عليه السلام

١- بيان أن قوم لوط عليه السلام قوم فاسقون وهـــم أول مـــن ابتدع فاحشة اللواط (إتيان الذكور بعضهم بعضاً)، وأول مـــن ابتدع فاحشة المساحقة (إتيان النساء بعضهن بعضاً) .

٢- المجاهرة بالمنكر تعتبر منكراً آخر وعاقبة ذلك وخيمة على الجميع .

٣- نجاة لوط عليه السلام ومن معه، وهلاك كل العصاة المفسدين الفاسقين .

٤- قرابة الزوجية أو أية قرابة غيرها لا تجدي نفعاً إذا كانت في معصية الله تعالى وعدم اتباع شرعه وهديه سبحانه .

٥- شدة عذاب قوم لوط عليه السلام لإتيانهم جرائم أخلاقية خبيثة في غاية الشناعة والبشاعة، ونهايتهم المفجعة حيث رفعهم جبريل عليه السلام إلى عنان السماء ثم قلب ديارهم عليهم ثم اتبعوا بالحجارة .

٦- بيان أن فاعل جريمة اللواط صاحب فطرة غير سليمة ولا سوية .

٧- اللواط يورث المفاسد الصحية والخلقية والدناءة النفسية .

٨- إقامة الحجة على قوم لوط عليه السلام بإرسال الملائكة الكرام إليهم وسماع جوابهم منهم بإصرارهم على تلك المعاصي .

٩- قياس أن حد اللوطي الإحراق بالنار أو إلقائه من أعلى شاهق في البلد .

١٠- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يستفحل الخطر .

١١- عموم العذاب الجميع إذا فقد الأخذ على يد السفهاء، وعم الفساد أرجاء البلاد .

١٢- إن الأرض التي خسف فيها قوم لوط عليه السلام تعـــرف اليوم بالبحر الميت وقد أثبت علماء الطبيعة أنها أخفض مكان على وجه الأرض يُعرف حتى الآن .

النسب الشجري لإسماعيل عليه السلام

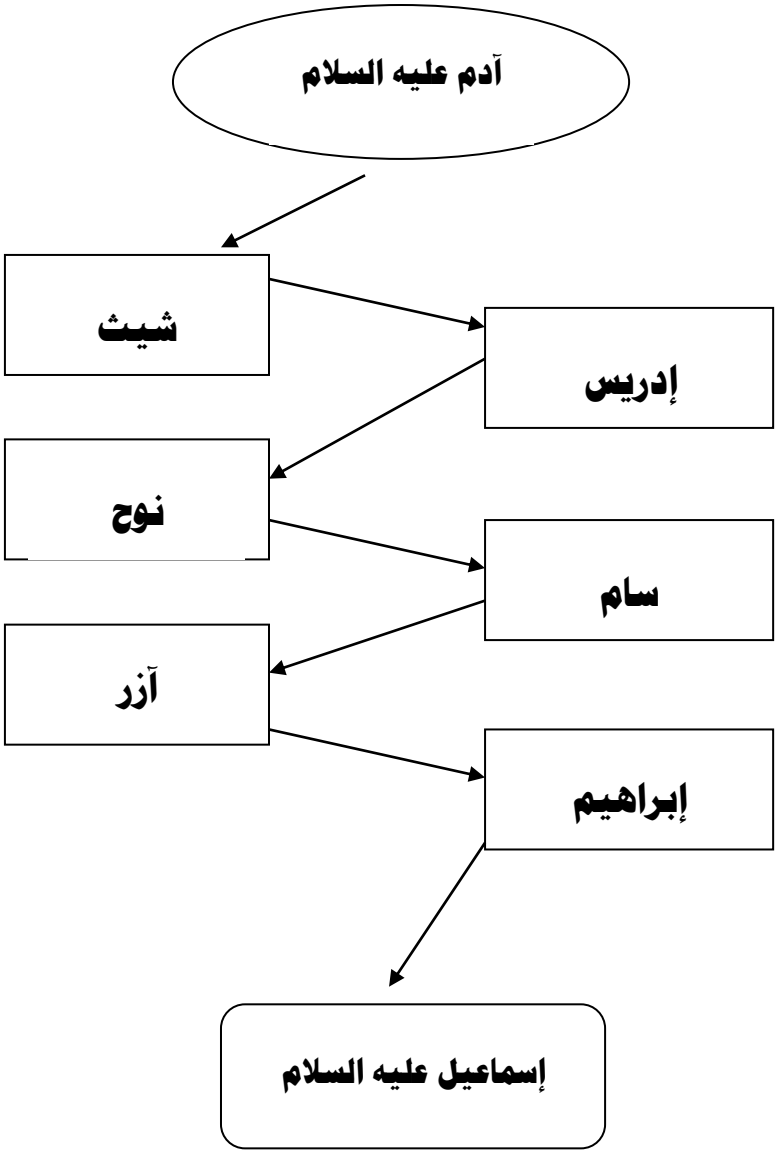

مدة حياته : (١٣٧) سنة .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (١٢) مرة .

قال تعالى :

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥ ﴾

[مريم]

﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٨ ﴾

[ص]

إسماعيل عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (إسماعيل) بن إبراهيم بن تارح (آزر) ... إلى آخر نسب إبراهيم عليهما السلام .

قصته :

عندما ترك إبراهيم عليه السلام هاجر وابنها الرضيع في الوادي القفر الذي ليس به شيء ولا يسكنه أحد واسم ذلك المكان (وهاد، أو فاران) اشتد عطش الطفل الرضيع من شدة الحر في ذلك المكان فصارت أمه هاجر تبحث له عن ماء فكانت تصعد جبل الصفا هل ترى من أحد فما تلبث أن تنزل الوادي هل من أحدٍ قد جاء وظلت هكذا تصعد وتنزل وتروح وتجيء سبع (٧) مرات (فهي أشواط السعي السبعة) وهو مقدار جهد المرأة في السعي .

وفي المرة السابعة ضرب جبريل بجناحه الأرض تحت قدم الطفل فنبع ماء وكان يفور فصارت هاجر تحاول جمعه وهي تقول (زم زم) فقال لها الملك لا تخافي ههنا بيت الله تعالى يبنيه هذا الغلام وأبوه .

وبعد فترةٍ من الزمن مر على ذلك المكان قوم من جرهم وهم أول من سكن ذلك الوادي فاستأذنوها الماء فأذنت لهم على أن يكون حقها وبرضاها يشربون . وتربى إسماعيل عليه السلام وترعرع وشب في بيئة عربية، وبعد حينٍ من الدهر ماتت أمه هاجر وتزوج إسماعيل بزوجة من قبيلة جرهم .

وبعد مدةٍ قدرها الله تعالى عاد إبراهيم ليرى زوجته وابنها الذي تركهما في الوادي من سنين طويلة ولما وصل علم بموت هاجر وبزواج إسماعيل فذهب إلى بيته فلم يجده ووجد زوجته فسألها عن حالهم فأساءت الرد وقالت : نحن في ضيق عيش وفاقه، فقال لها إبراهيم عليه السلام : إذا حضر زوجكِ فأقرئيه السلام وقولي له غير عتبة بابك، فلما حضر إسماعيل وعلم الخبر، قال لزوجته : ذاك أبي وقد أمرني أن أطلقكِ فطلقها وتزوج إسماعيل بزوجة أخرى .

ومكث إبراهيم عليه السلام مدة أخرى ثم عاد إلى بيت ابنه إسماعيل وسأل زوجته الجديدة عن حالهم فألطفت الرد وأحسنت وأجادت فقال لها إبراهيم : إذا حضر زوجكِ فأقرئيه السلام وقولي له ثبت عتبة بابك، فلما حضر إسماعيل عليه السلام قالت له : مر علينا شيخ كبير يقرئك السلام ويقول : لك ثبّت عتبة بابك فقال لها : ذلك أبي وقد أمرني أن أمسككِ وأن أحسن

معاشرتكِ . وبعد هذا الفراق الطويل والبعد والانقطاع حضر إبراهيم فوجد إسماعيل (عليهما السلام) تحت شجرة يبري له نبلاً فتعانقا بعد طول فراق، ثم قال إبراهيم عليه السلام : إن الله تعالى قد أمرنا أن نبني له بيتاً هاهنا، فأخذ إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) برفع قواعد البيت العتيق في مكة المكرمة .

فكان إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم (عليهما السلام) يضعها حتى وصلا موضع الحجر الأسود ووضعاه، و**قيل** : نزل به جبريل من الجنة، وكانا عليهما السلام يقولان وهما يبنيان :

..﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[1]..

ولما وصل إبراهيم عليه السلام مقدار قامته جاءه إسماعيل عليه السلام بحجر كي يرقى عليه ليكمل بناء الكعبة فغاصت قدما إبراهيم عليه السلام فيه (فهو مقام إبراهيم المعروف الآن) والذي جعل بعد ذلك مصلى .

..﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴿١٢٥﴾ ﴾[2]..

قيل : إن ذا القرنين ملك الأرض فقدم مكة ووجد إبراهيم وإسماعيل يبنيان الكعبة فقال : من أمركما بهذا فقال إبراهيم الله أمرنا به فقال : من يشهد لكما فقامت خمسة أكبش فشهدت

---

[1] سورة البقرة .

[2] سورة البقرة .

فقال : قد صدقتم وآمن، **وقيل** : إن الأكبش المذكورة هي حجارة ويحتمل أن تكون غنماً .

... وبعد بناء الكعبة المشرفة ...

أمر الله تعالى إبراهيم أن يؤذن بالحج ويبلغ الناس فوقف عليه السلام على جبل أبي قبيس ونادى قائلاً : (**يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا، فأجابه كل من قدّر الله تعالى عليه الحج إلى يوم المعاد وهم في أصلاب آبائهم**) .

وشرعت التلبية : (**لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**) .

رؤيا إبراهيم :

ثم رأى إبراهيم عليه السلام رؤيا وفيها أنه يذبح ولده إسماعيل تقرباً لله تعالى فسارع و لم يتأخر لفعل ذلك وقال لابنه إسماعيل :

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]

فقال إسماعيل :

﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[2]

---

[1] سورة الصافات .

[2] سورة الصافات .

فلما أسلما لله تعالى وتلّ إبراهيم ابنه إسماعيل (عليهما السلام) ووضعه على شقه الأيمن قال : يا أبت اقلبني على وجهي حتى لا تأخذك بي رأفة، ثم كبَّر إبراهيم عليه السلام وبدأ بذبحه ولكن السكين لم تمض و لم تقطع الشفرة شيء .

... وجاء النداء الإلهي ...

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1]

سنة الرمي :

وعرض الشيطان لعنه الله تعالى لإبراهيم عليه السلام في منى وأخذ يوسوس له ليترك ذبح ابنه إسماعيل فرماه بسبع حصيات في ثلاثة أماكن متفرقة (فهي سنة رمي الجمار التي من أفعال الحج) .

زوجاته :

تزوج إسماعيل عليه السلام زوجته الأولى ففارقها ثم تزوج الثانية فولدت له (١٢) ولداً ومنهم نابت الذي تنسب إليه العرب المستعربة .

---

[1] سورة الصافات .

وفاته عليه السلام :

عاش عليه السلام (١٣٧) سنة ثم مات ودفن بمكة المكرمة في البيت العتيق في الحجر قرب أمه هاجر . **قيل** : كان إسماعيل عليه السلام أول من ركب الخيل وقد كانت وحوشاً فأنست، وهو أبو العرب المستعربة، وقد تعلم اللغة العربية من قبيلة جرهم اليمنية .

الدروس والعبر المستفادة من قصة إسماعيل عليه السلام

١- طاعة إسماعيل عليه السلام أباه لدرجة إرخاص روحه في سبيل الله تعالى رغم الانقطاع الكبير بينهما، ومعرفة أن حق الوالد كبير جداً لا يترك لمجرد مفارقة الوالد لولده وبعده عنه .

٢- بيان أن زمزم نبعت من تحت قدم إسماعيل عليه السلام، وأن أشواط السعي التي في الحج هي من سعي أمه هاجر بين الصفا والمروة وأن سنة الرمي من فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكذا اتخاذ مقام إبراهيم مصلى .

٣- إن الحجر الأسود نزل من الجنة وكان أبيض فسودته ذنوب العباد، قال ﷺ : (**الحجر الأسود ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، وإنما سودته خطايا المشركين يبعث يوم القيامة مثل أحد يشهد لمن استلمه، وقبله من أهل الدنيا**)[١].

---

[١] رواه أحمد وابن خزيمة واللفظ والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان .

٤- إن الزوجة الصالحة هي التي تصبر على زوجها في كل حال .

٥- بيان أن إسماعيل بنى الكعبة مع أبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

٦- أن إسماعيل عليه السلام نشأ في قبيلة جرهم العربية فتعلم اللغة منهم وتزوج منهم، فهو أبو العرب المستعربة .

٧- أن إسماعيل عليه السلام أول من استأنس الخيل للركوب .

٨- أن الله تعالى فدى إسماعيل عليه السلام بكبش من الجنة نزل من السماء .

٩- قال نبينا الكريم ﷺ : (**يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال : لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً**)[1] .

[1] رواه البخاري .

النسب الشجري لإسحاق عليه السلام

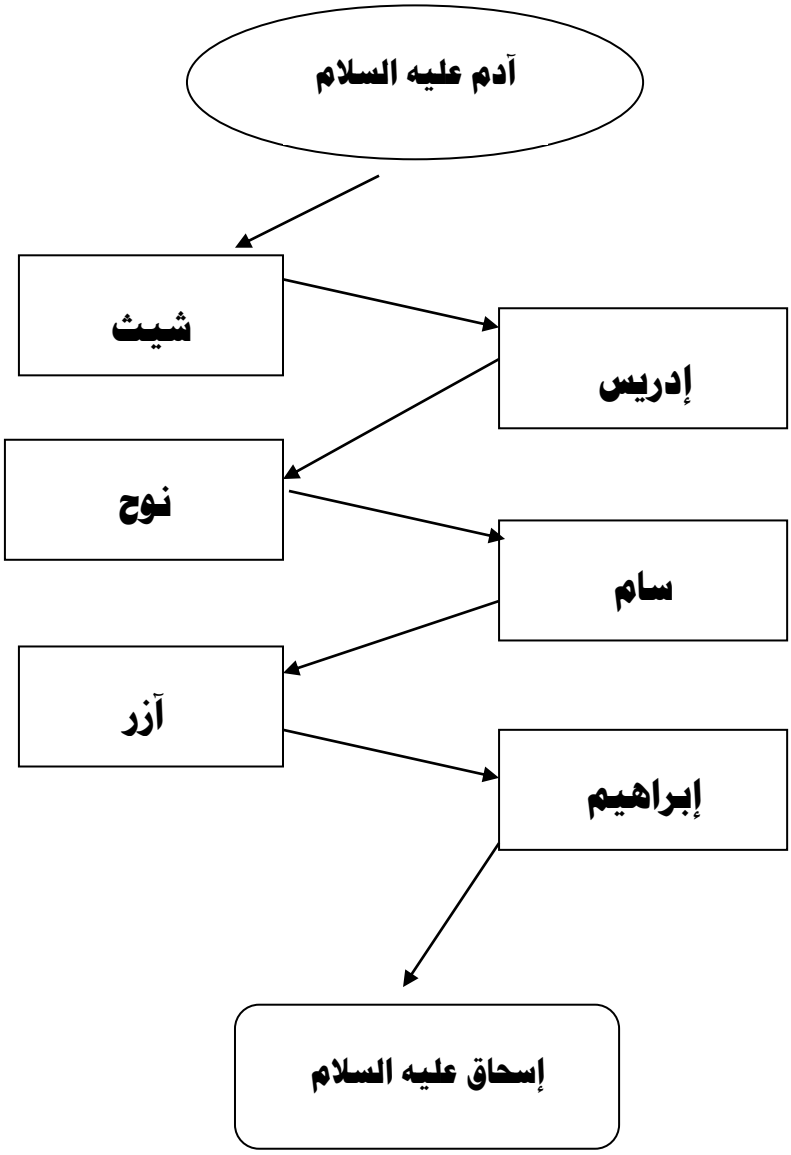

مدة حياته : (١٨٠) سنة .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (١٦) مرة .

قال تعالى :

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾
إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾
وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾

[ص]

إسحاق عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (إسحاق) بن إبراهيم عليهما السلام بن تارح بن ناحور بن ساروغ إلى آخر نسب إبراهيم عليه السلام .

ولد وعمر أبيه إبراهيم عليه السلام (١٠٠) سنه، وعمر أمه ساره (٩٠) سنة، وهو أصغر من أخيه إسماعيل عليهما السلام بما يقارب (١٤) سنة .

وقد تزوج إسحاق عليه السلام من (رفقه) ابنة عمه تبعاً لوصية أبيه إبراهيم عليهما السلام .

قصته :

عندما تزوج إسحاق عليه السلام من رفقه بنت بتوابيل ابنة عمه وكان عمره (٤٠) سنة وكانت عاقراً دعا الله تعالى أن يرزقه الولد فاستجاب الله تعالى لدعائه ورزقه ولدين توأمين هما (العيص) ويسميه أهل الكتاب عيصو وهو والد الروم، و(يعقوب) ويسميه أهل الكتاب إسرائيل وإليه ينسبون .

وكان إسحاق عليه السلام يحب العيص أكثر من أخيه يعقوب لأنه بكره وكانت زوجته رفقه تحب يعقوب أكثر من العيص لأنه الأصغر .

قيل : وذات يوم اشتهى إسحاق طعاماً وقد كبرت سنة وضعف بصره فطلب من ابنه العيص أن يصنع له ذلك الطعام وهو (جدي مطبوخ بطريقةٍ ما) فذهب العيص لصنع الطعام، بينما طلبت أمه رفقه من ابنها الصغير يعقوب أن يحضر هو الطعام قبل أخيه ليرضى عنه أبوه ويدعو له . بعد ذلك حضر يعقوب بالطعام قبل أخيه العيص فألبسته أمه ثياب العيص ووضعت على ذراعيه وعنقه جلد جدي لأن العيص كان ذا شعر وفير بينما كان يعقوب أمرد (قليل الشعر) ولما حضر عند أبيه بالطعام التزمه وقال : أما الصوت فصوت يعقوب وأما الثياب والجس فالعيص وظنه العيص وأخذ يدعو له بالخير والبركة وأن يكثر ولده وأن يملك الشعوب وأن يكون شأنه أكثر قدراً من أخيه .

بعد ذلك أحضر العيص الطعام لأبيه، فقال له إسحاق ألم تأتني بالطعام قبل قليل فأكلت منه ودعوت لك بالخير والبركة فقال العيص لا فعلم إسحاق عليه السلام أن يعقوب قد سبق أخاه العيص لذلك فحزن حزناً ووجد في نفسه كثيراً من ذلك ثم إنه دعا للعيص بدعوات أخرى .

وهنا توعد العيص أخاه يعقوب بالقتل إن حدث لأبيه شيء من فعلته تلك، فسمعت أمه ذلك الوعيد الموجه ليعقوب وأمرته أن يرحل إلى بلاد خاله (لابان) وأن يتزوج إحدى ابنتيه .

.. (وللقصة بقيه سنذكرها في قصة يعقوب عليه السلام) ..

وفاته عليه السلام :

مات عليه السلام وهو ابن (١٨٠) سنة ودفنه ابناه في المغارة التي دفن فيها إبراهيم عليه السلام بالمدينة التي تسمى الآن (الخليل) وكانت تسمى سابقاً بمدينة حبرون .

الدروس والعبر المستفادة من قصة إسحاق عليه السلام

١- قدرة الله تعالى في خلق إسحاق عليه السلام بعد كبر سنٍ ويأس من أبيه وأمه عليهما السلام .

٢- إيضاح أن الحلال من تيسير الله تعالى وهو في مرضاته .

٣- إن قصد الخير بطريقة غير صحيحة لا ينبغي، لأنه حتى في إرادة فعل الخير يجب أن يكون القصد صحيحاً والأسلوب صحيحاً .

٤- إن إسحاق عليه السلام هو أبو يعقوب أي أنه جد بني إسرائيل .

٥- التسابق في تحصيل الخير والفوز به، كما سابق يعقوب عليه السلام أخاه العيص .

٦- السعي لبلوغ رضا الوالدين لأنه توفيق في الدنيا والآخرة .

٧- تنفيذ وصية الوالدين يعتبر من البر بهما، وهي أيضاً تعد من طاعة الله سبحانه وتعالى .

٨- معرفة أن العيص لم يكن نبياً رغم أن أباه وأخاه كانا نبيين .

٩- قد يميل أحد الأبوين بقلبه لأحد أبنائه فيفضله على غيره، يجب ألا يتعدى ذلك حب القلب، كأن يفضله بالعطايا والهبات أو في لين التعامل، لأن ذلك لا يجوز بل يجب المساواة في التعامل مع كل الأبناء .

١٠- لا بأس بالزواج بين الأقارب تنفيذاً لرغبة الوالدين ولا سيما إن تحققت المصلحة من ذلك .

النسب الشجري ليعقوب عليه السلام

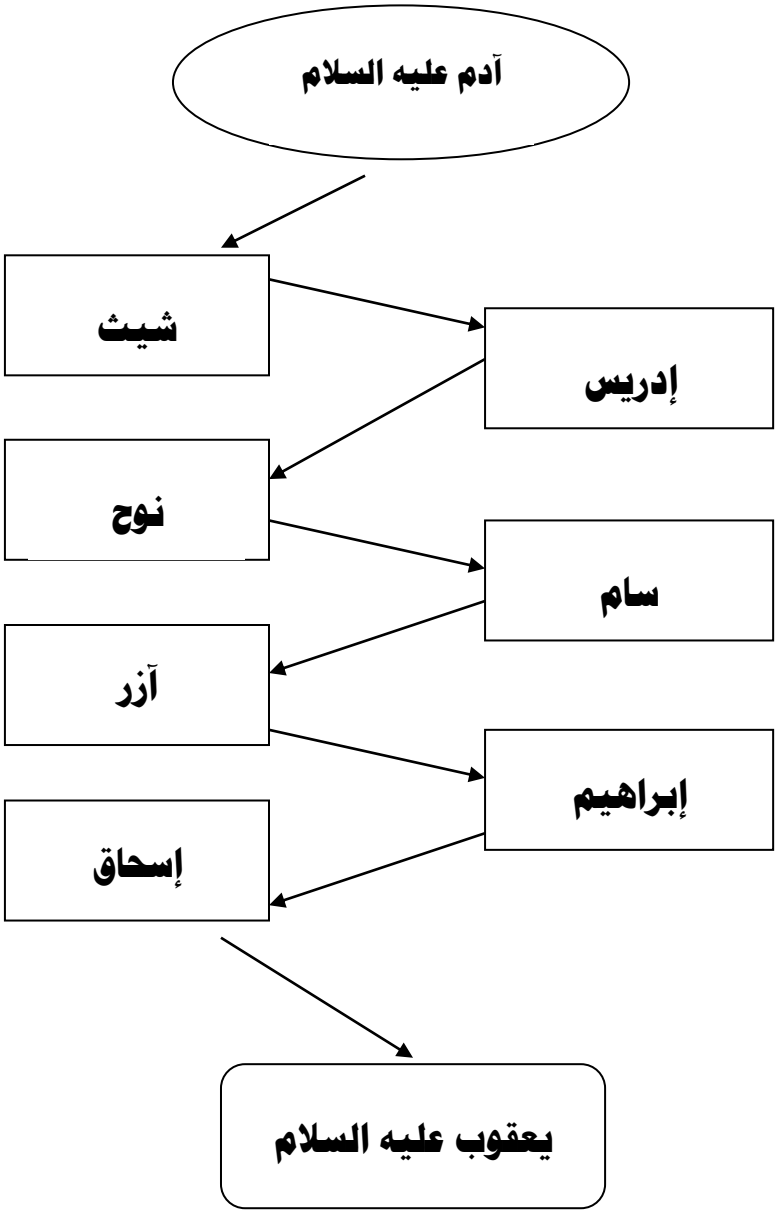

مدة حياته : (١٤٧) سنة .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (١٦) مرة .

قال تعالى :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ
وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ
وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

[الأنبياء]

يعقوب عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (يعقوب) بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ... إلى آخر نسب إبراهيم الخليل .

ويعقوب هو إسرائيل وله من الولد (١٢) وهم الأسباط المذكورون في القرآن الكريم وكل سبط يعتبر سلاله من ولد يعقوب عليه السلام، وهم من أربع نسوه (زوجتان وجاريتان) .

قصته :

عندما هرب يعقوب عليه السلام من أخيه العيص خشية قتله، قرر الذهاب إلى خاله (لابان) بأرض حرَّان كما قالت له أمه (رفقة) فأخذ بالرحيل إلى أرض حران، وبينما هو في طريقه إلى خاله أخذه النعاس فوضع تحت رأسه حجر ونام عليه فرأى في نومه (**معراجاً منصوباً من السماء إلى الأرض والملائكة تصعد فيه وتنزل والرب سبحانه وتعالى يقول له سأبارك عليك وأكثر ذريتك وأجعل الأرض لك ولعقبك من بعدك**) .

فانتبه من نومه ونذر لله تعالى لئن عاد سالماً أن يبني لله تعالى مذبحاً في ذلك المكان وكل شيء رزقه الله تعالى منه فللمذبح منه

العشر ثم أمّر ذلك المكان ودهنه ليعرفه بعد ذلك، وكان اسمه آنذاك (بيت أيل) وهو الآن (بيت المقدس) .

وعندما وصل إلى خاله لابان طلب منه الزواج من إحدى ابنتيه وهما (ليا الكبرى وراحيل الصغرى) وكانت راحيل أجمل من أختها ليا، لذا خطبها يعقوب، بعدما عمل عند عمه (٧) سنين يرعى مهراً لها .

ولما أراد يعقوب الزواج زف له عمه لابان ليا تحت جنح الظلام وكانت قبيحة المنظر، فلما أصبح واكتشف الأمر قال لخاله : لما غدرت فقال : إنّا لا نزوج الصغرى قبل الكبرى وإن أردت أن أزوجك راحيل فمهرها (٧) سنين أخرى، ففعل يعقوب وعمل (٧) سنين أخرى عند خاله حتى زوجه راحيل .

ثم وهبه خاله جاريتين لابنتيه فوهب (زلفى لابنته ليا، ووهب بلهى لابنته راحيل) .

وبعد حين من الدهر ولدت ليا أربعة أولاد وهم (شمون ولاوي ويهوذا وروبيل) فغارت راحيل من ذلك وكانت لا تحبل فوهبت جاريتها بلهي ليعقوب فوطئها وأنجب منها (دان ونفتالى) فعمدت كذلك ليا ووهبت جاريتها زلفى ليعقوب فوطئها وأنجب منها (جاد وأشير) ثم حملت ليا مرة أخرى وأنجبت (إيساخر وزابلون) ثم حملت بعد ذلك ببنت سمتها (دينار) .

ولما رأت راحيل كثرة ولد ليا دعت الله تعالى أن يرزقها الولد فاستجاب الله تعالى لدعائها ووهب لها (يوسف عليه السلام) ثم أنجبت بعد يوسف عليه السلام (بنيامين) .

ومكث يعقوب عليه السلام يرعى عند خاله تلك المدة، ولما أراد الرحيل والعودة إلى أرضه وموطنه قال له خاله اطلب مني ما شئت قبل رحيلك فطلب منه بعض الأغنام والأنعام (وهنا تفصيل قد أجملناه) .

العودة إلى موطنه :

قيل : لما أراد يعقوب عليه السلام الرجوع إلى بلاده سار بأهله، فسرقت راحيل أصنام أبيها، ويعقوب لا يعلم بذلك فلما ساروا مسافة عن الديار اكتشف أبوها السرقة فلحقهم وفتشهم فلم يجد الأصنام معهم وأنكر يعقوب من أول وهله لأنه لم يكن يعلم بأمرها . وهناك وعند رابية تسمى جلعاد تعاهد يعقوب وخاله على ألا يتزوج على ابنتيه وأن يكرمهن وأن لا يهينهن، فتعاهدوا وتفارقوا .

ولما اقتربت العير من أرض يقال لها ساعير تلقت الملائكة يعقوب تبشره بالقدوم، وأرسل يعقوب عليه السلام البريد إلى أخيه العيص يتراض منه ويستسمحه فعاد الرسول إلى يعقوب عليه

السلام وأخبره أن أخاه العيص قد ركب إليه في (٤٠٠) فارس فأخذ يعقوب يصلي ويدعو الله تعالى ويتضرع إليه ويسأله أن يكفيه شر أخيه . ثم جهز لأخيه هدية من سائر الأنعام وهي (٢٠٠ شاة، و٢٠ تيساً، و٢٠٠ نعجة و٢٠ كبشاً، و٣٠ لقحة، و٤٠ بقرة، و١٠ ثيران، ٢٠ أتان، و١٠ حمير) . وأمر فتيانه أن يسوقوها متفرقة كلاً بمفرده وقال لهم : إذا لقيتم العيص وسألكم لمن هذه ؟ فقولوا : لعبدك يعقوب أهداها لسيدي العيص حتى إذا لقيهم جميعاً رضي عنه وترفق به، وتأخر يعقوب بنسائه وبنيه .

المَلَك :

وتبدى ليعقوب عليه السلام في الطريق مَلَك في صورة رجل وقت الفجر فذهب ليصارعه فأصاب المَلَك ورك يعقوب عليه السلام فعرج من ذلك، ثم لما أضاء نور الفجر قال الملك ليعقوب : ما اسمك فأخبره يعقوب باسمه، فقال له الملك : لا ينبغي لك بعد اليوم أن تدعى إلا إسرائيل، فقال يعقوب : وما اسمك أنت، فذهب الملك و لم يرد، فعلم يعقوب أنه ملك من الملائكة .

وصار يعقوب عليه السلام بعد ذلك يسير ليلاً ويكمن نهاراً حتى رفع رأسه ذات يوم فوجد أخاه العيص فوق رأسه فتقدم وسجد له فتقدم العيص وقبّل أخاه وبكى .

وبعد برهة نظر إلى خلف أخيه يعقوب فرأى النساء والبنين فقال له : من أين لك هذا كله فقال هبة الله تعالى لي، فتقدم النساء والبنين وسجدوا للعيص، ثم عرض يعقوب عليه السلام هديته على أخيه فقبلها .

ولما مر يعقوب عليه السلام على المكان الذي كان قد أمّره بأورشليم اشترى مزرعة وضرب فسطاطه هناك وابتنى لله تعالى مذبحاً حيث أمره به وسماه (إيل) ويقصد بها (إله بني إسرائيل) وهو الآن بيت المقدس الذي جدد بناؤه سليمان عليه السلام .

وحملت راحيل ببنيامين في ذلك المكان ثم ماتت ودفنت بمكان يدعى أفراث وهو الآن يسمى (بيت لحم) .

أولاد يعقوب :

ولد ليعقوب عليه السلام (١٢) ولداً وبنتاً واحدة .

فمن زوجته ليا : (روبيل، شمعون، يهوذا، لاوى، زابلون، إيساخر) .

ومن زوجته راحيل : (يوسف عليه السلام، بنيامين) .

ومن جاريته زلفى : (جاد، أشير) .

ومن جاريته بلهى : (دان، نفتالى) .

والبنت هي دينار من زوجته ليا .

وفاته عليه السلام :

مات عليه السلام وهو ابن (١٤٧) سنة بعدما اجتمع بابنه يوسف عليه السلام مدة (١٧) سنة ودفن مع أبيه إسحاق وجده إبراهيم عليهم السلام في المغارة بحبرون .

الدروس والعبر المستفادة من قصة يعقوب عليه السلام

١- جواز الجمع بين أختين والزواج بهما معاً في ملة بني إسرائيل .

٢- بيان أن المهر ليس له قدر محدد وليس له حد قلّ أو كثر بل هو حسب التراضي ليتم الزواج بغرض التعفف، وأن يعقوب عليه السلام قد عمل مدة (٧) سنين عند عمه مهراً ليزوجه إحدى ابنتيه، فيتعفف .

٣- معرفة أن السجود في ملة بني إسرائيل كان بقصد التحية وليس بقصد الخضوع والعبادة .

٤- بيان أن يعقوب عليه السلام هو إسرائيل، ومن نسله أسباط نبي إسرائيل الاثنا عشر ومنهم اليهود .

٥- بيان أن يعقوب عليه السلام كان باراً بأبيه وأخيه الكبير (احتراماً وتقديراً) وهذا من الأدب وحسن التربية .

٦- بيان أن يعقوب عليه السلام هو الذي بنى بيت المقدس .

٧- صبر يعقوب عند فقْد ابنه يوسف عليهما السلام .

٨- بيان أن مسألة تزويج البنت الكبرى قبل الصغرى عادة قديمة لها وجود سابق، والأمر فيه يعود بحسب تفاهم الأبوين وتقرير مصير بناتهم بينهم .

٩- إن بعض بني إسرائيل كان يعبد الأصنام .

١٠- أن الهدية تزيل وحر الصدر وهي أفضل ما يقرب بين القلوب ويزيل حقدها، قال ﷺ فيها : (**تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر**)[١].

١١- أن الفرقة قد تحصل بين الأخوة ولكن يجب ألا تستمر طيلة العمر بل يجب تدارك ذلك بالصلح والتسامح .

[١] رواه الترمذي والنسائي وأحمد وغيرهما . ووحر الصدر أي : حقده وغله .

النسب الشجري ليوسف عليه السلام

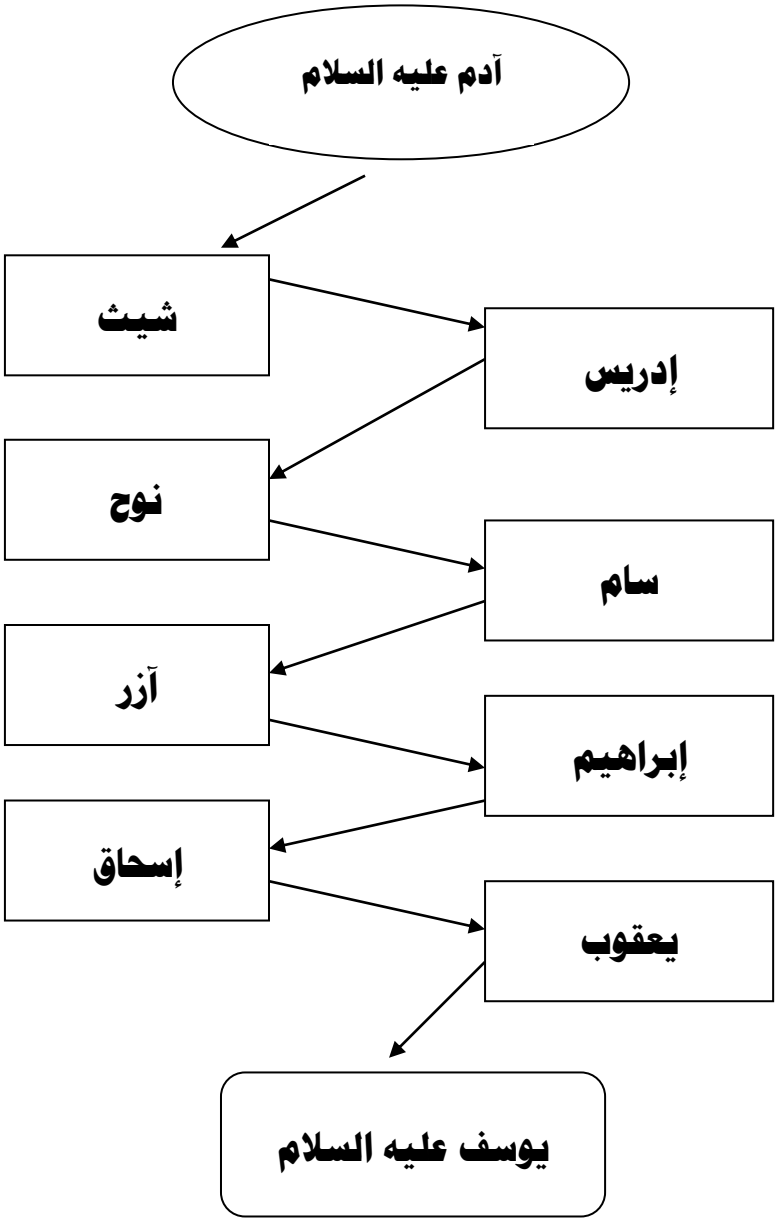

مدة حياته : (١١٠) سنة .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٢٦) مرة .

قال تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾

[يوسف]

﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

[يوسف]

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾

[يوسف]

يوسف عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (يوسف) بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ... إلى آخر نسب إبراهيم عليهم السلام .

قال عنه نبينا الكريم ﷺ : (**هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم**)[1]. وأمه هي (راحيل) ابنة خاله (لابان) .

قصته :

لما كان يوسف عليه السلام غلاماً صغيراً كان جميل الوجه حسن الخلقة لا يفارقه أبوه لحبه الشديد فيه، وذات يوم رأى يوسف عليه السلام في المنام رؤيا فقصها على أبيه ومضمونها :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[2].

وعندما أخبر أباه بها فقال له أبوه : لا تخبر إخوتك فيعمدوا لك بالكيد لأنهم كانوا يرون حب أبيهم ليوسف أكثر منهم[3].

---

[1] رواه الترمذي والنسائي في الكبرى والبخاري في الأدب المفرد .

[2] سورة يوسف .

[3] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : أتى النبي ﷺ رجل من اليهود يقال له بستانة اليهودي فقال : يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ما

وذات مرة قال إخوته لأبيهم : أن أرسل معنا يوسف يرتع ويلعب فقال لهم : إني أخاف عليه الذئب فقال إخوته : نحن عصبه له حافظون ومراعون .

فأخذوه وأضمروا له الشر وأرادوا قتله ولكن اقترح أحدهم وقال : بل ألقوه في جب البئر، ثم أجمعوا على هذا الرأي، وألقوه في جب البئر وشقوا قميصه ولطخوه بدم كذب .

وذهبوا إلى أبيهم عشاءً يبكون وقالوا : يا أبانا إنا ذهبنا نتسابق وتركنا يوسف عند أمتعتنا فعدنا وقد أكله الذئب وجاءوا بقميصة لم يتمزق وعليه دم كذب، فعلم أبوهم الحيلة وقال : (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميل) .

وجاءت سيارة (قافلة) فاستسقوا الماء وأرسلوا وارد الماء فأنزل دلوه فصعد يوسف متعلقاً بالحبل فقال وارد الماء : يا بشارة إنه غلام وجعلوه من جملة متاع القافلة وحوائجها، وأدرك إخوة

أسماؤها قال : فسكت النبي ﷺ فلم يجبه بشيء ونزل جبريل عليه السلام بأسمائها، قال فبعث إليه رسول الله ﷺ فقال : (**هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها** قال نعم فقال : **هي جريان والطارق والذيال وذو الكتفان وقابس ووثاب وعمودان والفيلق والمصبح والضروح وذو الفرع والضياء والنور**، فقال اليهودي أي والله إنها لأسماؤها)، في رواية زيادة : (فلما قصها على أبيه قال هذا أمر مشتت يجمعه الله والشمس أبوه والقمر أمه) رواه الحاكم وابن حبان وأبو يعلى والبزار وغيرهم والله تعالى أعلى وأعلم .

يوسف القافلة وقالوا لهم : إنه غلامنا قد فرَّ منا فبـــاعوه للقافلـــة بدراهم قليلة اقتسموها بينهم .

بعد ذلك :

ولما وصلت القافلة السوق وكان يوسف غلاماً فيها بـــاعوه لعزيز مصر بثمنٍ غالٍ فأخذه العزيز إلى بيته وقال لزوجته : أكرمي مثواه وأحسني الاهتمام به عسى أن ينفعنا، فمكث يوسف عنـــد العزيز في بيته حتى بلغ سن الرشد واستوى وظهر حسنه وجماله مما جعل امرأة العزيز تراوده . **قيل** : إن اسم العزيز (قطفير) **قيـــل** في اسم زوجته : (زليخا) . **وقيل** : (راعيل) .

امرأة العزيز :

وذات مرة أغلقت امرأة العزيز الأبواب وراودت يوسف عن نفسه وقالت له : هيَّ إلي ولكنه قال لها : معـــاذ الله أن أخـــون مولاي رب هذا البيت الذي أحسن منزلي ومثواي .

وحرصت امرأة العزيز على ذلك الأمر وهمت بـــه ولكـــن يوسف دفع ذلك الأمر بكل صبر واحتساب وحاول فتح البـــاب فشدت قميصه من الخلف فانشق، وهنا وعند محاولة فتح البـــاب وجدت امرأة العزيز زوجها أمامها فتظاهرت على الفـــور أنهـــا

مظلومة وقالت : ما جزاء من أراد بأهلك السوء إلا السجن أو العذاب الأليم، فقال يوسف : هي التي راودتني عن نفسي ووقع خصام فشهد شاهد من أهلها **قيل** : كان طفلاً رضيعاً و**قيل** : بل كان غلاماً حدثاً .

قال ذلك الشاهد من أهلها : (إن كان قميصه شق من الخلف صدق هو وكذبت، وإن كان قميصه شق من الأمام كذب هو وصدقت) ولما تبين العزيز الأمر وعلم أن القميص شق من الخلف وظهر خطأ زوجته قال لها : استغفري لذنبك ذلك وكتم الأمر .

خبر النسوة :

وبعد فترة انتقل الخبر إلى نسوة المدينة فخاضوا في الأمر بأقاويل منها أن امرأة العزيز قد شغفت حباً بفتاها، فلما علمت امرأة العزيز بذلك استدعتهن عندها وأعدت لهن متكأً وأعطت كل واحدة منهن سكيناً في يدها وألبست يوسف أحسن اللباس ثم أخرجته عليهن فلما رأينه أكبرن جماله وحسنه وقطعن أيديهن بالسكاكين وهن لا يشعرن، وهنا اعترفت امرأة العزيز بأنها قد راودته سابقاً وأنه استعصم وأنها لن تتركه حتى يرضخ لأمرها ويستجيب لما تريد أو يظل في السجن، فأبى يوسف عليهن ما أردنه وقال : السجن أحب إلي مما تريدونه مني وأخذ يدعو ربه أن

يصرف عنه كيدهن والميل إليهن فاستجاب الله تعالى دعاءه وصرف عنه كيدهن ومكرهن .

ولذلك **قيل** : كان يوسف عليه السلام من جماله لا يمشى إلا وهو واضع على وجهه اللثامة .

خبر العزيز :

ولما علم العزيز براءة يوسف قرر في نفسه أن يسجن عليه السلام بعض الوقت ليهدأ الأمر ولا يشاع في المدينة بين الناس، لذلك دخل يوسف السجن ودخل معه فتيان هما (ساقي الملك وطباخه) بتهمة وضع السم للملك . وفي السجن وبعد فترةٍ من الزمن رأى كلٌ من الفتيان رؤيا، فقال الأول :

﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

وهنا استغل يوسف الموقف فبين لهما حقارة عبادة الأوثان ووضح لهم أحقية عبادة الله تعالى وأنه المعبود الحق المستحق للعبادة سبحانه وتعالى ثم أخذ يفسر لهم الرؤى :

فقال للأول : إن الملك سيعفو عنك وستصبح ساقيه، وقال له فإذا خرجت فقص قصتي على الملك وأوصل له خبري، ولكنه

[1] سورة يوسف .

لما خرج نسي أن يذكر قصة يوسف للملك فلبث عليه السلام في السجن بضع سنين .

وقال للثاني : إنك ستقتل وتصلب وستأكل الطير من رأسك، هذا تأويل رؤياكم .

رؤيا الملك :

وذات يوم رأى الملك رؤيا وهي :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ ﴿٤٣﴾ ﴾[1]

فلما أصبح جمع ملئه ليفسروا له الرؤيا فلم يستطيعوا وقالوا : إنما هي أضغاث أحلام، وهنا تذكر الفتى الذي كان في السجن وقد نجا منه تذكر يوسف وإمكانية تفسيره للرؤى فاستدعاه وقص عليه القصة ففسرها يوسف عليه السلام (وتفسيرها واضح كما هو في الآيات) ووصل خبره للملك فأمر بإحضاره ولكن يوسف عليه السلام امتنع حتى يعلم الملك سبب سجنه، فبحث الملك في ذلك وخاض في الموضوع حتى اعترف النسوة وامرأة العزيز بكل

[1] سورة يوسف . قال المؤرخون إن القرآن الكريم لما تكلم عن حكام مصر سماهم الفراعنة إلا في قصة يوسف عليه السلام لم يذكر لفظ فرعون بل ذكر الملك، وعليه فقالوا إن يوسف عليه السلام كان زمن الهكسوس .

شيء وقلن حاش لله إنه لبريء وأنهن قد راودنه عن نفسه فامتنع . وقد قال نبينا ﷺ : (... **ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي**)[1]. أي لأسرعت الخروج من السجن وما طلبت تقديم البراءة قال ذلك ﷺ تواضعاً منه وإشادة بصبر يوسف عليه السلام على مكثه في السجن .

ولما علم الملك براءة يوسف سُر بذلك وقربه منه وجعله من خاصته فقال يوسف عليه السلام : للملك اجعلني على وزارة المالية وتصريف الخزائن فولاه ذلك المنصب .

إخوة يوسف عليه السلام :

ولما تولى يوسف ذلك المنصب جاء إخوته ليكتالوا ويأخذوا نصيبهم من سنين الجذب والقحط فعرفهم يوسف وهم لم يعرفوه، وأغلظ لهم القول وحبسهم (٣) أيام ثم أوثق أحدهم وصرف الباقون وقال لهم لن أفك أخاكم ولن أكيل لكم حتى تأتوني بأخ لكم من أبيكم (يقصد أخاه الشقيق بنيامين) وأمر فتيانه أن يجعلوا ثمن البضاعة في رحالهم وهم لا يعلمون .

ولما عاد إخوة يوسف إلى أبيهم يعقوب عليه السلام وأخبروه الخبر وأنهم قد منعوا الكيل إلا بإحضار أخيهم بنيامين وطلبوا منه

---

[1] رواه البخاري .

أن يذهب معهم رفض وقال لهم : لن أسلمه إليكم حتى تؤتـــوني موثقاً من الله تعالى وعهداً أن تعودوا به إلا أن تحبســـوا جميعـــاً ففعلوا ذلك .

ثم ذهب إخوة يوسف بأخيهم بنيامين إلى يوسف عليه السلام ليكتالوا بينما أمر يوسف فتيانه أن يدسوا صواع الكيل في رحال أخيه بنيامين ليأخذه عنده ويضطر إخوته لتركه .

ولما حضر إخوة يوسف لأخذ نصيبهم من سنين الجذب فعل الفتية ما أمرهم به يوسف عليه السلام فنادى منادٍ أيتها العير إنكم لسارقون فقبضوا عليهم وفتشوهم وفتشوا بنيامين آخرهم فوجدوا الصواع في رحاله فقال إخوته على الفور : إنه قد سرق أخٌ له من قبل واتهموه بالسرقة، **قيل** : إن بنيامين لما كان ضغيراً كان يسرق الطعام ويعطيه لأخيه يوسف، و**قيل** : كان يسرق أصنام جده لأمه ويكسرها لئلا يعبدها، وهذه سرقة محمودة .

ثم إنهم تذكروا العهد والميثاق الذي قد قطعوه على أنفســـهم أمام أبيهم فحاولوا تخليصه باللطيف من القول وقالوا ليوسف خذ أحدنا مكانه وأطلقه ولكن يوسف رفض ذلك .

فتناجى الإخوة لتخليص بنيامين ولكنهم عجزوا عن ذلـــك فمكث أحدهم يحاول جهداً بينما عاد الباقون إلى أبيهم يعقـــوب عليه السلام ليخبروه بما حدث وبما شاهدوه فلما علم بذلك حزن

حزناً عظيماً حتى ذهب بصره من شدة البكاء ثم طلب منهم أن يعودوا إلى العزيز ويطلبوا منه أن يفك أخاهم، وأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقةً لأنهم كانوا عصبةً فيهم الجمال وحُسن الطلعة، فعادوا للعزيز وهم لا يعلمون أنه يوسف وألطفوا له القول وأظهروا ما هم فيه من الفاقة والحزن فقال لهم يوسف عليه السلام هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ؟ فتنبهوا وقالوا :

﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴿٩٠﴾ ﴾[1]

فقال عليه السلام :

﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[2]

وهنا طلب منهم أن يذهبوا بقميصه وأن يلقوه على وجه أبيه يعقوب عليه السلام ليرتد بصيراً وأن يأتوه بأهله جميعاً، فذهب إخوته إلى أبيهم يعقوب عليه السلام وألقوا القميص على وجهه فارتد بصيراً وقال لهم :

﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[3]

---

[1] سورة يوسف .

[2] سورة يوسف .

[3] سورة يوسف .

فقال له أبناؤه : يا أبانا استغفر لنا ليغفر لنا ربنا خطايانا فقال : سأستغفر الله تعالى لكم أنه غفور رحيم، ثم ذهبوا إلى يوسف عليه السلام جميعاً .

ولما التقى الشمل بعد طول فراق رفع يوسف عليه السلام أبويه على العرش (سريره) فخر له أبواه وإخوته وأبناؤهم سجوداً جميعهم **قيل** : كان عدد من سجد له عليه السلام (٦٣) و**قيل** : (٨٣) وغير ذلك .

وهنا قال يوسف عليه السلام : يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذ أكرمني من بعد الضيق الفرج ومن بعد الشدة الرخاء ومن بعد الفرقة بالجمع واللقاء .

ثم حمد الله تبارك وتعالى وأثنى عليه ودعا بالفضل والخير وأن يتوفاه مسلماً .

...(**والحمد لله رب العالمين**)...

وفاته عليه السلام :

مات عليه السلام وهو ابن (١٢٠) سنة بمصر وهو في منصبه لم يزل وله ولدان هما (أفرايم، منسي) .

الدروس والعبر المستفادة من قصة يوسف عليه السلام

١- محبة يعقوب لابنه يوسف (عليهما السلام) أكثر من إخوته لكونه كان أصغرهم .

٢- حسد إخوة يوسف عليه السلام لأخيهم الصغير مما جعلهم يقترفون أمراً عظيماً في حقه، ثم توبتهم إلى الله تعالى واستغفار أبيهم لهم .

٣- رحمة الله تعالى بيوسف عليه السلام وحفظه له والإحاطة به في كل مراحل عمره وسنين حياته .

٤- معرفة أن يوسف عليه السلام قد أوتي شطر الجمال .

٥- نهاية التقوى سعيدة مهما كانت الظروف صعبة في بداياتها .

٦- جواز الاحتيال في مجال الدعوة للمصلحة والأثر الإيجابي .

٧- صبر يوسف عليه السلام في كل المواقف وعصمة الله تعالى له في جميع الأحوال .

٨- قدرة يوسف عليه السلام على تفسير الأحلام، واستغلاله الفرص للدعوة .

٩- أحقية القول بالكفاءة الشخصية وطلب المنصب إذا كانت هناك قدرة على القيام بالعمل على الوجه المطلوب .

١٠- تحقيق رؤيا يوسف، وأن رؤى الأنبياء عليهم السلام حق .

١١- أمانة يوسف عليه السلام وصيانته وحفظه لعرض من أكرمه وآواه في بيته وحفظه للمعروف السابق والوفاء بـــه، ثم زواجـــه بامرأة العزيز .

١٢- تحمل يوسف عليه السلام أعباء المنصب علـــى أتم وجـــه وتأديته مقتضياته بالوجه المطلوب المستفاد منه .

١٣- تحول حال يوسف عليه السلام من الشدة والفاقة إلى الرخاء والنعم .

١٤- عفو يوسف عليه السلام عن إخوته المذنبين فـــالعفو عنـــد المقدرة .

١٥- أن يوسف عليه السلام وإخوته كانوا عصبةً فيهم الجمـــال وحسن الطلعة .

١٦- عظم العهد والميثاق المقطوع على النفس لله تعالى مما يوجب الوفاء به مهما كانت الظروف .

١٧- الدليل القاطع على أن إخوة يوسف عليه الســـلام ليســـوا بأنبياء مطلقاً وإلا لعصموا من الخطأ والوقوع في مثل ذلك الموقف والخطأ .

١٨- تواطؤ إخوة يوسف عليه السلام على الكذب والتحايل، فيه دلالة على أن الجماعة ربما تواطأت على الكذب أو إحدى خصال الشر والمكر .

١٩- الخوف من العين واتقاء الوقوع فيها إن خشي المرء ذلك على نفسه أو على بنيه أو ماله ...

٢٠- جواز ادخار المؤونة لسنين معدودة إذا خيف القحط وخشي منه .

٢١- **قيل** : تزوج يوسف عليه السلام من امرأة العزيز زليخا بعدما توفي زوجها العزيز فوجدها بكراً وأنجب منها ابنيه .

٢٢- الرؤيا قد تكون بشارة وقد تكون نذارة .

٢٣- انصياع الملوك ومن في حكمهم للحق والرأي السديد متى رأوه ولمسوا فيه مدى نفعيته لذا يجب استغلال ذلك .

النسب الشجري لشعيب عليه السلام

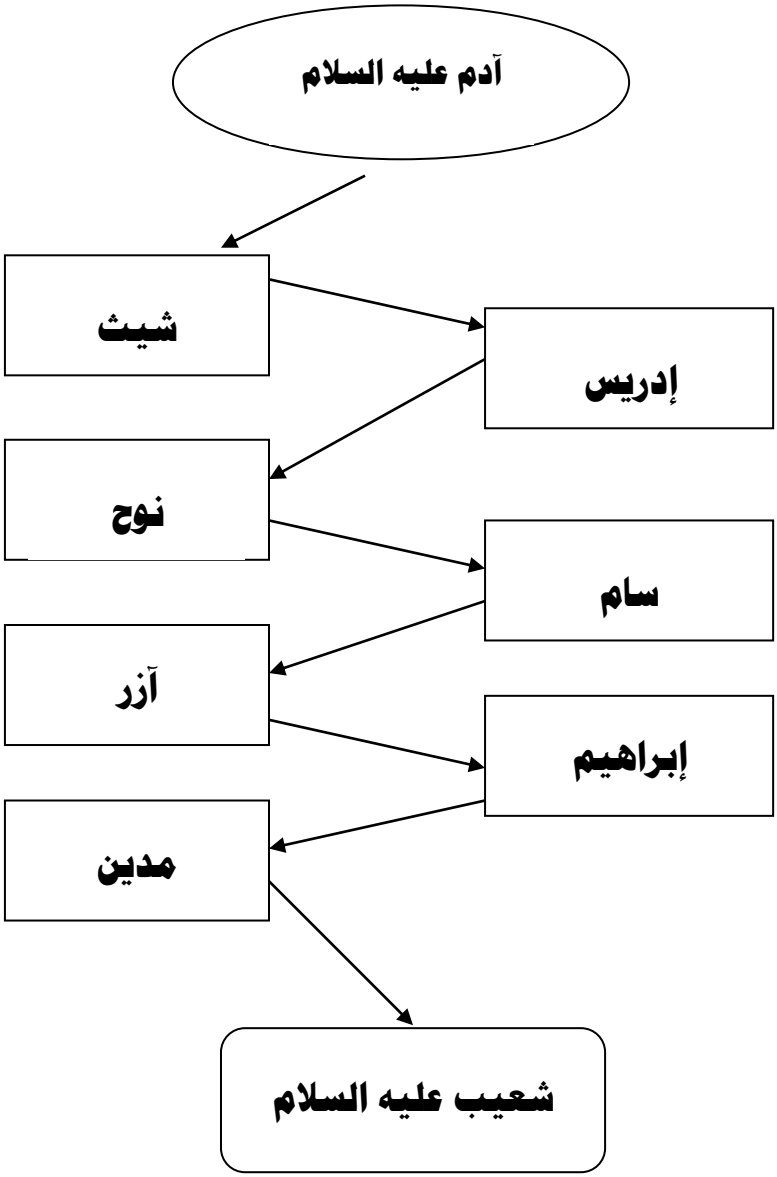

مدة حياته : (غير معروفه) .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (١١) مرة .

قال تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

[الأعراف]

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ ﴾

[الشعراء]

شعيب عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (شعيب) بن ميكيل بن يشجن و**قيل** : يشجر بـــن لاوي بن يعقوب عليه السلام ... إلى آخر نسب إبراهيم عليه الصـــلاة والسلام .

و**قيل** : بل هو بن صيفور بن عيفا بن مدين أحد أبناء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، و**قيل** : أن أمه هي بنت لوط عليه السلام، وكانت نبوة شعيب في الفترة بين يوسف وموسى عليهم السلام .

وكانت مساكن قوم شعيب عليه السلام في أطراف شمـــال الجزيرة العربية وجنوب الشام وهم قبيلة مدين، وكانوا يتكلمون اللغة العربية، **قيل** : و لم يكن شعيب عليه السلام من أهل مدين بل بعث إليهم .

قصته :

كان شعيب عليه السلام خطيباً بليغـــاً في قومـــه يعظهـــم وينصحهم ويبين لهم الطريق السوي الذي قد ضلوا عنه، وكـــان يوضح لهم قبح أفعالهم ومعاملاتهم تلك من تطفيف الميزان وقطع السبيل وتخويف المارة وبخس الناس أشياءهم والتعامـــل بالشـــر، وكان قومه أهل تجارة وزراعة، وكانوا يعبدون شجرةً كبيره يقال

لها (الأيكة) . وكان عليه السلام يوعظ قومه بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى محذراً ومنذراً موجهاً ومبيناً، بالطريقة التي بها يقتنعون، ولكن ومع ذلك الإلحاح والحرص الشديد منه لم يسلم ويؤمن من قومه إلا القليل .

ولما كثر وعظه وإرشاده عليه السلام فيهم قالوا له لولا رهطك لرجمناك وتوعدوه بالإخراج من القرية إن لم يكف عن مقولاته وينتهي عن أقاويله تلك كما يزعمون .

العذاب :

بعد ذلك طلب قوم شعيب عليه السلام منه أن يسقط عليهم قطعةً من السماء إن كان من الصادقين .

﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[1]

فسلط الله تعالى عليهم الحر الشديد حتى غلت المياه من شدته ثم ساق الله تعالى إليهم ظلة ففرحوا بها واستظلوا تحتها فأرسل الله تعالى عليهم شرراً من السماء ورجفت بهم الأرض من تحتهم ثم جاءتهم صيحةً من السماء زهقت لها أرواحهم .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾[2]

---

[1] سورة الشعراء .

[2] سورة الشعراء .

وفاته عليه السلام :

وعاش عليه السلام ومن معه من المؤمنين بعد هلاك الطغاة الفاسقين فترةً من الزمن، **قيل** : سكنوا مكة بعد ذلك وماتوا بها وقبورهم في غربها، والله تعالى أعلى وأعلم .

الدروس والعبر المستفادة من قصة شعيب عليه السلام

١- بيان أن الغش وتطفيف الميزان من أسباب قلة الرزق ومحق البركة .

٢- إيضاح أن قطع السبيل من سوء الأخلاق ومن أسباب الخروج عن معنى الإنسانية بوجه عام .

٣- فصاحة شعيب عليه السلام ووعظه قومه بكل الطرق والأساليب .

٤- عبادة الله تعالى هي أساس الوجود لإدراك رضاه والجزاء هو الجنة .

٥- ضعف عقول قوم شعيب عليه السلام وفساد رأيهم لعبادتهم شجرة من دون الله تعالى .

٦- فساد رأي قوم شعيب بتعظيمهم أمر الرهط (الحمية) من دون الله تعالى وأمر دينه، وهذه شبهة لا ينفك الناس عنها حتى قيام الساعة .

٧- سوء المعاملة يورث تفكك المجتمعات وانحلالها .

٨- كثرة قوم شعيب عليه السلام مع قلة المؤمنين منهم .

٩- أن العذاب قد يكون بما ظاهره الرحمة، ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : (كان النبي ﷺ إذا رأى سحاباً مقبلاً من أفق من الآفاق ترك ما هو فيه وإن كان في صلاته حتى يستقبله فيقول : (**اللهم إنا نعوذ بك من شر ما أرسل به** فإن أمطر قال : **اللهم صيباً نافعاً** مرتين أو ثلاثاً وإن كشفه و لم يمطر حمد الله على ذلك) وفي رواية : (**سَيِّباً**)[1].

١٠- العذاب محيط بالكافرين مهما تأخر فلحكم جليلة له سبحانه وتعالى .

[1] رواه أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجة . وسيباً بالسين أي : مطراً جارياً من كثرته .

النسب الشجري لأيوب عليه السلام

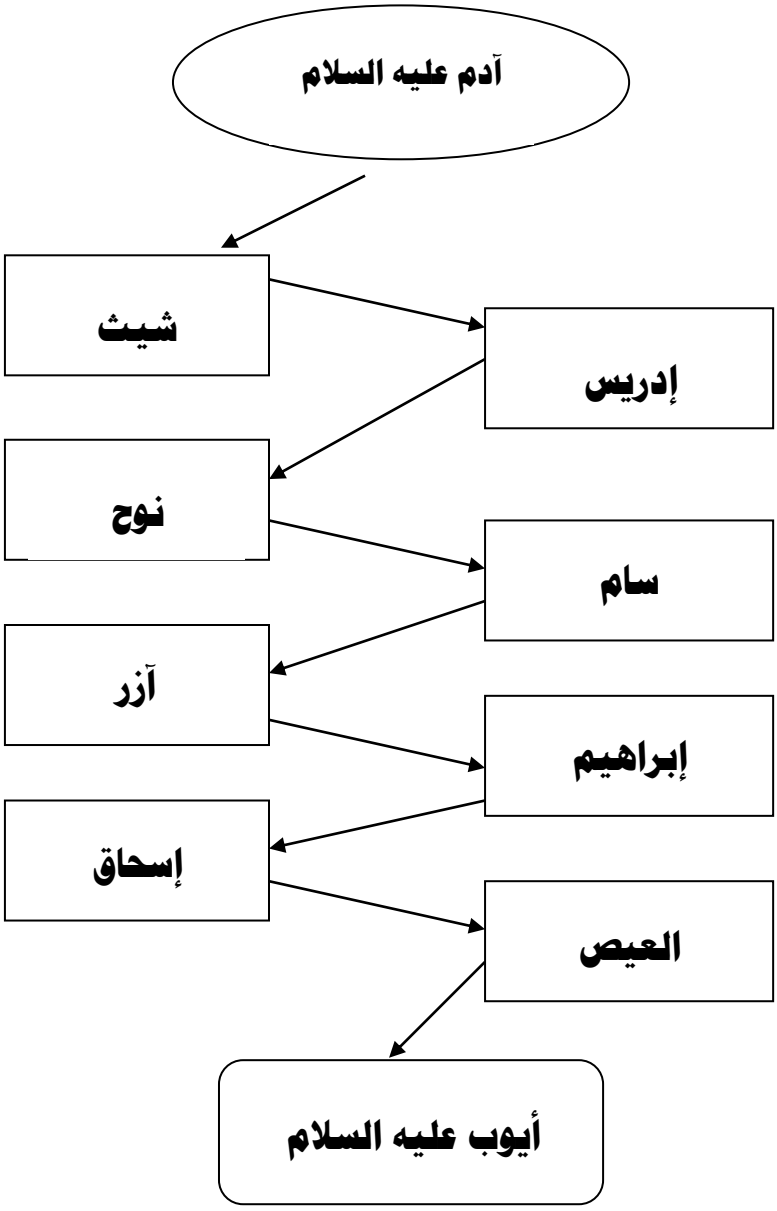

مدة حياته : (٩٣) سنة .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٤) مرات .

قال تعالى :

﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ
وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾
وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾
وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ
نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ ﴾

[ص]

أيوب عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (أيوب) بن موص بن رازح بن العيص بن إسحاق عليه السلام ... إلى آخر نسب إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وكان أيوب عليه السلام من الأغنياء أصحاب الأموال والعبيد والخدم وكان له (٧) بنين و (٣) بنات **وقيل** : كانوا (١٢) من الأبناء **وقيل** : أكثر من ذلك، وكان له أنعام وأغنام ومواشي وأراضي وبساتين، فابتلاه الله تعالى بسلب تلك النعم .

قصته :

كان عليه السلام منعماً بالمال والبنين والصحة والرخاء، وكان عبداً شاكراً لله تعالى تقياً معترفاً بنعمة الله تعالى وإفضاله عليه . وبعد هذا النعيم المقيم والغنى العريض ابتلاه الله تعالى بسلب تلك النعم والأموال والأولاد وكل موردٍ لها .

فكان صابراً محتسباً عالماً بأن كل ما كان يملكه إنما هو عرض زائل وأن الصبر على الابتلاء من الإيمان بالله عز وجل .

قيل : إن إبليس لعنه الله تعالى قال لله عز وجل : يا رب هل من عبيدك من إذا سلطت عليه امتنع مني وصبر فقال الله تعالى :

عبدي أيوب، فصار إبليس لعنه الله تعالى يعرض له عياناً ويوسوس له، وقال إبليس : ربي سلطني على ماله، فسُلط، فأخذ يوسوس لأيوب عليه السلام ويقول له : هلك من مالك كذا وكذا فيرد أيوب عليه السلام قائلاً :

(الله أعطى والله أخذ والحمد لله)

فقال إبليس : ربي سلطني على ولده، فسلط، فجاء إبليس لعنه الله تعالى وزلزل الدار فهلك فيها ولده جميعاً ثم جاء لأيوب يخبره الخبر فلم يلتفت إليه وقال عليه السلام : (**الحمد لله**) .

ثم قال إبليس : ربي سلطني على جسده، فسلط، فجاء لأيوب ونفخ فيه فحلّت به الأسقام والآلام العظام عدة سنين حتى أنفه الناس من شدتها واستقذروه وأبعدوه حتى خرج إلى الصحراء، وجاء إبليس إلى زوجته وقال لها : إن استعنتِ بي فسأخلص زوجكِ مما هو فيه من البلاء والكرب، فلما عادت إلى أيوب عليه السلام وأخبرته الخبر حلف بالله تعالى إن عافاه الله تعالى ليضربنها (١٠٠) سوط . ومكث عليه السلام به البلاء . **قيل** : (١٨) سنة وزوجته تعمل بالأجرة لخدمته حتى رفضه كل الناس .

قيل : إن سبب حلفه بالله تعالى أن يضربها (١٠٠) سوط هو أنها لما لم تجد من تخدمه بالأجرة لتطعم أيوب عليه السلام لاستقذار الناس له ولمرضه عمدت إلى ظفائر شعرها فحلقتها

وباعتها لبنات الأشراف، فلما علم ذلك أنكر عليها فعلتها تلك . وكان الناس قد استقذروه كلهم إلا رجلان من المقربين إليه، فسمع ذات يوم يقول أحدهما للآخر : إن أيوب قد أذنب ذنباً عظيماً لذا ابتلاه الله تعالى شأنه مدة (١٨) سنة بعد النعمة ورغد العيش .

فلما سمع أيوب عليه السلام ذلك دعا الله تعالى أن يشفيه وينجيه من ذلك البلاء فأوحى الله تعالى إليه أن أركض برجلك (اضرب برجلك) تحت قدمك فظهرت عين ماء باردة طيبةً اغتسل منها فبريء ثم ردّ الله تعالى عليه ماله ورزقه أهلاً وبنين :

﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ ﴾[1]

وأمره الله تعالى أن يأخذ (١٠٠) قشة (حزمة من حشيش) بيده فيضرب بها زوجته الصابرة كفارةً عن المائة سوط التي حلف بها وذلك جزاء صبرها .

﴿ وَخُذۢ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ ﴿٤٤﴾ ﴾[2] .

---

[1] سورة ص . قال العلماء : إن الماء البارد شفاء للكثير من الأمراض وهذا يعد من الإعجاز العلمي .

[2] سورة ص .

قال رسول الله ﷺ : (**بينا أيوب يغتسل عرياناً فخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحتثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى وعزتك ولكن لا غنى بي عن بركتك**)[1].

الروايات :

وقد اختلفت الروايات الواردة في ابتلاء أيوب عليه السلام، والمقصود أنه ابتلي عليه السلام في ماله وأهله وولده ونفسه فصبر صبراً جميلاً محتسباً لله تعالى، مصداقاً لقوله ﷺ : (**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل**)[2].

وفاته عليه السلام :

عاش عليه السلام (٩٣) سنة ورزقه الله تعالى ذرية صالحة وكانت نبوته ودعوته إلى الروم . **وقيل** : قام بالأمر من بعد ولده (بشر) وهو الذي عُرِف بذي الكفل .

---

[1] رواه البخاري .

[2] رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد واللفظ له .

الدروس والعبر المستفادة من قصة أيوب عليه السلام

١- بيان أن الأنبياء عليهم السلام هم أشد الناس بلاءً ثم الأمثل فالأمثل .

٢- بيان جزاء أيوب عليه السلام وعاقبته الحسنة .

٣- ثقة أيوب عليه السلام بربه عز وجل وصبره الكبير على البلاء وشدته وعظمه حتى أن صبره عليه السلام ضرب به المثل .

٤- عدم تقبل المعونة من العدو مهما كان الحال لأن ذلك يعد استدراجاً لضرر أكبر ووقوع في زلل لذا وجب الحذر من إبليس واستدراجه في إغواء العبيد .

٥- استجابة الله جلت قدرته للأولياء والصالحين من عباده في الشدائد والضراء الذاكرين له في السراء والرخاء، وإدراك رحمته تعالى بهم .

٦- جزاء الصابرين الرحمة والعفو والتجاوز عنهم جزاء صبرهم .

٧- ضعف كيد الشيطان، ووقوع سلطانه على أوليائه العصاة دون غيرهم .

٨- على الإنسان تحديد الطرق السليمة التي توصله لرغباته، وعليه تجنب الطرق العشوائية غير الموجهة توجيهاً صحيحاً .

٩ - علم أيوب عليه السلام أن النعيم والبلاء في الدنيا سواء، وأنه ليس في الدنيا راحة ولا مستقر، وإنما هي دار ممر مؤقت .

١٠- لا يعد أيوب عليه السلام من أولي العزم من الرسل رغم صبره الكبير، وذلك لأن صبره كان على قدر الله تعالى وبلائه، بينما أولوا العزم من الرسل كان صبرهم في مجال الدعوة إلى الله تعالى أكثر من غيرهم .

١١- رحمة الله تعالى وألطافه محيطة بعباده في كل قدر يجري عليهم، فما من قدر إلا وفيه من ألطاف الله سبحانه ما الله به عليم ولكن الناس لا يعلمون .

١٢- المؤمن مبتلى في دنياه في نفسه وولده وزوجه وماله فليصبر وليحتسب وله الجنة في الآخرة وله الرضى والخلف في الدنيا .

النسب الشجري ليونس عليه السلام

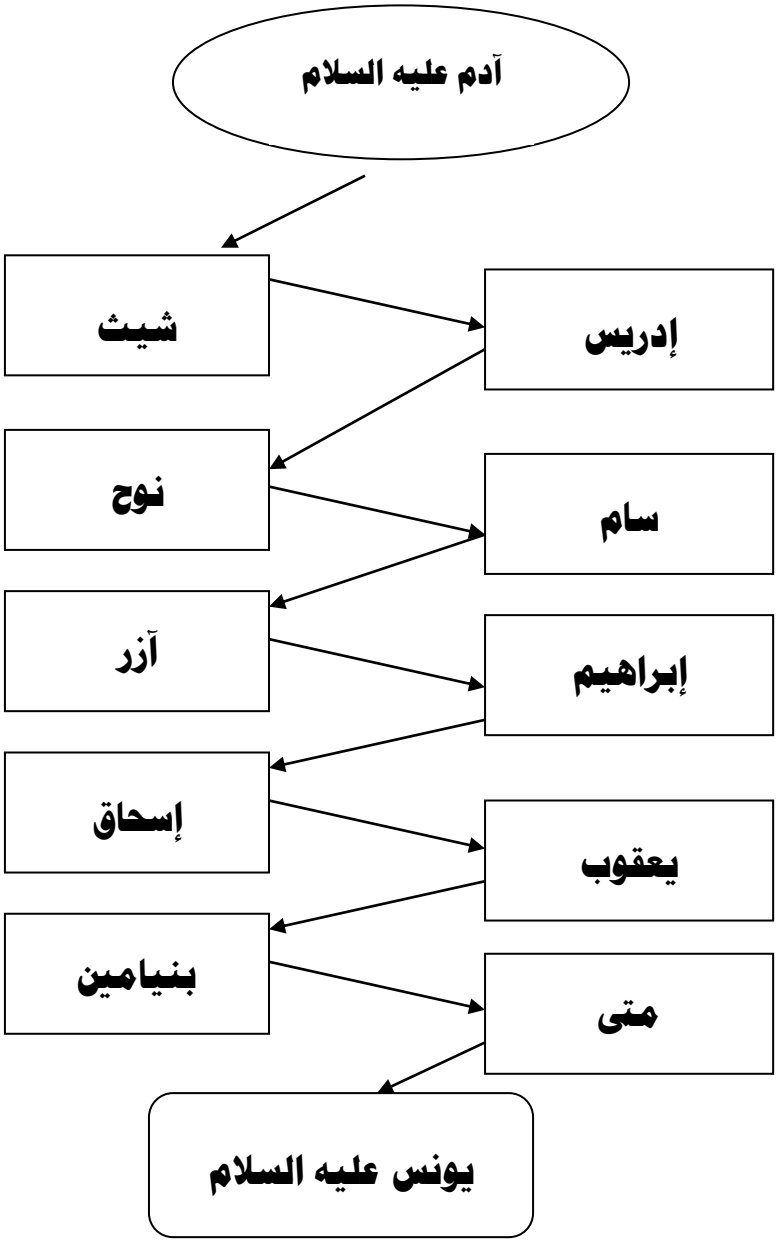

مدة حياته : (غير معروفه) .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٤) مرات .

قال تعالى :

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ
إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

[الأنبياء]

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

[الصافات]

يونس عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (يونس) بن متى من سبط لاوي بن يعقوب (عليه السلام) وقد أرسله الله تعالى إلى أهل نينوى بالموصل .

قصته :

أرسله الله تعالى إلى أهل الموصل يدعو أهل نينوى للإيمان فأبوا عليه ذلك فأوحى الله تعالى إليه أن أخبرهم أن العذاب مصيبهم بعد (٣) أيام إن لم ينيبوا بالتوبة إلى الله تعالى .

وذهب عليه السلام إلى قومه وأنذرهم بذلك وحذرهم من عذاب الله تعالى وبين لهم الطريق الصحيح قبل حلول العذاب بهم وخرج من بين أظهرهم وذهب إلى مغارةٍ ونام فيها، فقال القوم ما جربنا على يونس كذباً، وبعد (٣) تغشاهم العذاب فوق رؤوسهم قدر ميل فنزل بهم العذاب واسودت السماء بالدخان الأسود وتغشاهم في ديارهم، فطلبوا يونس عليه السلام ليتوبوا إلى الله تعالى فلم يجدوه فخرجوا يطلبون التوبة بصبيانهم يتضرعون إلى الله تعالى حتى رفع العذاب عنهم .

ولما استيقظ يونس عليه السلام و لم يجد العذاب ظن أنه قد كذب فذهب مغاضباً بسبب قومه وركب سفينة قومٍ يعرفونه

مملوءةً بالركاب بغير أجر فلججت بهم السفينة وكادوا يغرقون، فقال لهم : إن بيننا رجلاً ذا خطيئة كبيرة وقال لهم : اقذفوني فقالوا : لا حتى نعذر فيك، واقترعوا بينهم، فأتت القرعة على يونس عليه السلام ثلاث مرات، فأبوا أن يقذفوه فشدد عليهم وحذرهم غرقهم جميعاً إن لم يفعلوا، **وقيل** : بل أنه عليه السلام لما رأى الحوت قد فغر فاه قاصداً السفينة زج بنفسه منها فالتقمه الحوت **قيل** : أوحى الله إلى الحوت أن لا تأكل له لحماً ولا تهشم له عظماً فإن يونس ليس لك رزقاً وإنما بطنك تكون له سجناً، **وقيل** : إن الحوت ذهب به في البحار يشقها حتى انتهى به إلى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحصى في قراره فعند ذلك وهنالك قال وهو في الظلمات :

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴿٨٧﴾ ﴾[1]

قيل : هي ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل، وكان تسبيحه عليه السلام :

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[2]

ولبث يونس عليه السلام في بطن الحوت مدة قد اختلف فيها **قيل** : هي (٤٠) يوماً .

---

[1] سورة الأنبياء .

[2] سورة الأنبياء .

و**قيل** : لما صار عليه السلام في بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رجليه فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يبلغه أحد من الناس .

و**قيل** : لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال في نفسه : ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت أن هذا تسبيح دواب البحر قال : وسبح وهو في بطن الحوت **قيل** : إن دعوته (تسبيحه) عليه السلام أقبلت تحت العرش فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا : يا ربنا إنا نسمع صوتا ضعيفاً بأرض غريبة قال : ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا : العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال : نعم قال : فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل كما قال تعالى : (وهو سقيم) .

بعد ذلك :

ولما قذفه الحوت على الشاطئ أنبت الله تعالى عليه شـــجرة اليقطين (الدباء) يستظل بها ويأكل منها وسخر الله تعالى له غزالةً يشرب من لبنها حتى شفي ثم عاد إلى قومه فرآهم مسلمين .

الدروس والعبر المستفادة من قصة يونس عليه السلام

١- إن الله تبارك وتعالى ينذر عباده بأكثر من نذير قبل أن ينـــزل عليهم العذاب .

٢- إن العاقبة الحسنة لمن استدرك الإيمان بعد كفر والتوبة بعـــد معصية .

٣- كشف البلاء عند الإنابة والتوبة الصادقة .

٤- استجابة الله تعالى دعاء المضطر المحتاج إليه .

٥- رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده الصالحين الذاكرين له في حال الرخاء وذكره لهم في حال الشدة .

٦- مجال الدعوة يحتاج إلى صبر كبير لأن في طريقها الكثير مـــن المتاعب والعقبات مما يوجب الحذر والحيطة والاستعداد لذلك .

٧- المعصية تورث البغض في قلوب الكائنات، والحسنة تـــورث المحبة في قلوب الكائنات وكل ذلك من الله سبحانه الذي يقذف الحب والبغض في قلوب العالمين والخلق أجمعين .

٨- وجوب التوبة العاجلة بعد معرفة الذنب والاســـتغفار منـــه بالاعتراف بالخطاء ثم الإنابة .

٩- فضل قوم يونس عليه السلام بتوبتهم لما رأوا العذاب، بعكس قوم صالح لما رأوا العذاب خرجوا ينتظرون حلوله بهم .

١٠- ضعف بني آدم عليه السلام وحاجتهم إلى الله تعالى في كل الأوقات والأحوال .

١١- معرفة أن قوم يونس عليه السلام كان عددهم (مائة ألف) ويزيدون بنص القرآن الكريم : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[الصافات] .

١٢- **قيل** : إن اسم البحر الذي قذف فيه يونس عليه السلام (بحر الروم) .

١٣- الحذر التام من الغضب في كل الأحوال لأن عاقبته لا تحمد أبداً .

١٤- قول رسولنا الكريم ﷺ في فضل يونس عليه السلام : (**لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متّى**)[1].

١٥- عظمة الله تعالى المطلقة حيث سمع صوت عبده يونس عليه السلام تحت الظلمات الثلاث وتداركه بالرحمة .

١٦- التضحية بالنفس لو ضمن ذلك تحقق سلامة الآخرين من باب تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

١٧- نبوة يونس عليه السلام لم تكن في العرب ولا في نبي إسرائيل .

---

[1] رواه مسلم .

النسب الشجري لهارون عليه السلام

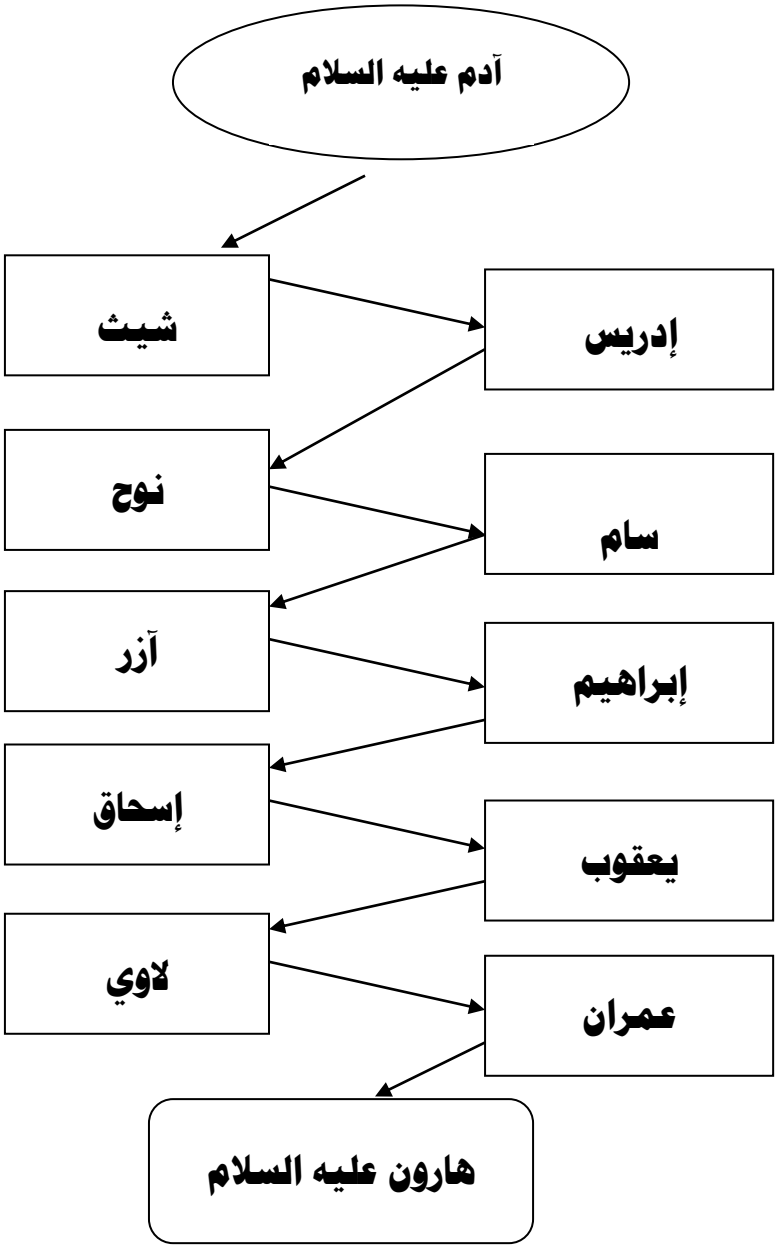

مدة حياته : (١٢٢) سنة .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٢٠) مرة .

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

[الصافات]

هارون عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (هارون) بن عمران بن قاهث بن عـــاذر ... إلى آخـــر نسب موسى عليهما السلام . ولد قبل أخيه موسى عليهما السلام بثلاث سنوات في السنة التي ليس فيها قتل، وكان عليه الســـلام رؤوفاً حنوناً ببني إسرائيل أكثر من أخيه موسى عليه السلام .

وقد بعثه الله تعالى وجعله نبياً عندما طلب موســـى عليـــه السلام من ربه سبحانه ذلك فاستجاب الله تعالى له وأوحـــى إلى هارون ليصدق أخاه موسى وينصره ويعاضده ويشد من أزره في دعوته .

قصته :

ليس لهارون قصه منفردة به وإنما كان كل شأنه مع موســـى عليهما السلام وفي وقت الميقات استخلفه موسى عليه السلام على بني إسرائيل وقد وردت قصته مع السامري .

قصة موته عليه السلام :

قيل : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الســـلام أني متـــوفي هارون فأت به جبل كذا، فانطلق موسى عليه الســـلام بهـــارون

حتى وصلا شجرة وبقربها بيت مبني وفيه سرير مفروش ذو رائحة طيبة فنظر هارون إلى السرير وقال أحب أن أنام على هذا السرير، فقال له موسى : نم فقال هارون : أخاف أن يحضر صاحب الدار فيغضب فقال موسى : أنا أكفيك صاحبه فقال هارون لموسى : فنم معي فناما، وهنا أخذ الموت هارون عليه السلام، وعندها رفع البيت وذهبت الشجرة ورفع السرير وعاد موسى إلى قومه فقالت بنو إسرائيل : قتل موسى أخاه هارون حسداً على حب بني إسرائيل له، فقال لهم موسى : ويحكم إنه أخي وقام وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فإذا بالسرير أمامهم وهارون عليه السلام عليه وهم ينظرون إليه وهو بين السماء والأرض، ومات هارون قبل أخيه الأصغر موسى عليهما السلام .

الدروس والعبر المستفادة من قصة هارون عليه السلام

١- صبر هارون عليه السلام ورأفته ببني إسرائيل مخافة الاختلاف والفرقة عند عبادة العجل .

٢- التعامل بالروية والحذر من الغضب عند فرقة الكلمة .

٣- حكمة الله جل جلاله في أن يولد هارون عليه السلام في السنة التي ليس فيها قتل .

٤- طاعة هارون لموسى عليهما السلام رغم أنه أكبر منه سناً، وإنما كان ذلك لفضل الرسالة .

٥- حب بني إسرائيل لهارون أكثر من موسى عليهما السلام لأنه كان رؤوفاً بهم قريباً منهم . وهذا يعني أنهم قوم سوء فاسقين لأن موسى عليه السلام كان أيضاً كذلك معهم غير أنهم قوم سوء وجدل ولجاج .

٦- قيل : إن هارون كان نبياً أما موسى فقد كان نبياً ورسولاً عليهما السلام .

٧- إدعاء بني إسرائيل على موسى عليه السلام بأنه قتل أخاه رغم معرفتهم أنهما نبيان كريمان سواء وذلك لخبث نفوسهم وفساد قلوبهم وسفه عقولهم .

٨- موت هارون قبل موسى عليهما السلام .

النسب الشجري لداود عليه السلام

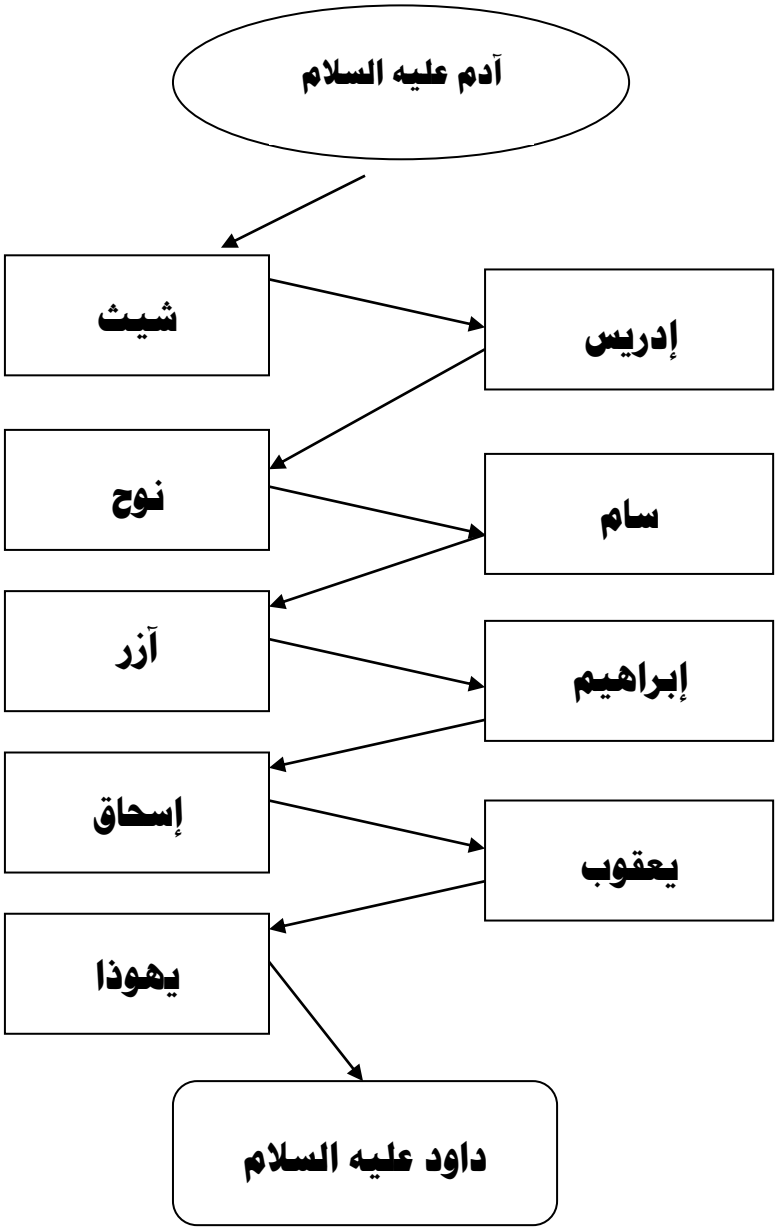

مدة حياته : (٩٧) سنة .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (١٦) مرة .

قال تعالى :

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾

[ص]

﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠ ﴾

[ص]

داود عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (داود) بن أيشا بن عويد بن سلمون بن نحشون بن عوينا ديب بن ارم بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن (يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام) .

تمهيد :

طلب بنو إسرائيل من نبيهم شمويل عليه السلام أن يولي عليهم ملكاً يقاتلون عدوهم تحت رايته فاختار الله تعالى لهم طالوت وولاه عليهم ولكنهم اعترضوا عليه لأنه كان من سبط بنيامين الذي لم يكن فيه لا الملك ولا النبوة، وقالوا : كيف يملّك علينا و لم يؤتَ سعةً من مال يقيم به الملك .

فقال لهم نبيهم شمويل عليه السلام : إن الله تعالى قد فضله عليكم بالعلم والخلق الحسن، وأن علامة تملّكه هي أن يأتيكم التابوت الذي كان قد أخذه منكم العمالقة (الكلدانيين) ملوك بابل آنذاك .

قيل : إن العمالقة تشاءموا من وجود التابوت بينهم لابتلائهم بالأمراض والنكبات وهو عندهم فقرروا التخلص منه وإرساله إلى بني إسرائيل فربطوه ببعيرين يجرانه إليهم . **قيل** : وكان في التابوت

بقية من آل موسى وهارون عليهما السلام مثل (عصا موسى ونعله والألواح وعمامة هارون وغيرها) .

طالوت :

سار طالوت ببني إسرائيل ليقاتل عدوهم جالوت وقومه فمروا بنهر الأردن وطلب منهم ألا يشرب منه أحد لأن الله تعالى أراد أن يختبرهم و لم يأذن لهم إلا مقدار غرفة اليد ولكنهم خالفوا أمره وأخذوا يكرعون منه ويشربون كالبهائم، و لم يبق معه إلا قليل وعددهم (٣١٤) . ولما التقوا بالعدو قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فقال المؤمنون منهم :

﴿ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴿٢٤٩﴾ ﴾[1]

ودعو الله تعالى أن يثبتهم ويلهمهم الصبر، وأثناء المعركة قتل داود جالوت، وجعله الله تعالى بعد ذلك ملكاً نبياً، وقد مكث عليه السلام ملكاً (٤٠) سنة .

قيل : قتل داود جالوت بمقلاع كان معه فرماه به، و**قيل** : بل هزمه مبارزة .

---

[1] سورة البقرة .

قصته :

كان داود عليه السلام حداداً وقد ألان الله تعالى له الحديد فكان في يده كالشمع يصنع منه ما شاء كيفما شاء، وكان يتغنى بالزبور فتسمعه كل الكائنات من جنٍ وإنس ودواب . وبعد أن قتل داود جالوت أحبه بنو إسرائيل فآل الملك إليه بدلاً من طالوت، فجمع الله تعالى له بين الملك والنبوة وذلك في عهد النبي شمويل عليه السلام، واستمر حكمه عليه السلام فيهم حتى توفاه الله تعالى .

خبر الغنم :

وذات يوم دخل على داود عليه السلام المحراب خصمان يختصمان في شأن الغنم وهي أن أخوين **قيل** : في الدين وليس في النسب، اختصما في شأن الغنم إذ كان لأحدهما (٩٩) نعجة وكان للآخر نعجة واحدة فقال لأخيه أعطنيها حتى أتم المائة وألح عليه في ذلك، فحكم بينهما عليه السلام بأن الأخ صاحب النعاج الكثير قد ظلم أخاه بطلبه ذلك إذ لم يكن عنده غير نعجة واحدة وأن أكثر الشركاء يبغي بعضهم على بعض ظلماً .

وقد وردت هذه القصة بأكثر من رواية، ومن ذلك أنه **قيل** : إن هذين الخصمين أنهما كانا ملكين جاءا لينبها داود عليه السلام

لكن لا يخلو الأمر من الإسرائيليات التي مزجت الحق بالباطل فأضاعته، والله تعالى أعلى وأعلم ...

صيام داود وصلاته :

قال رسولنا الكريم ﷺ : (**خير الصلاة صلاة داود وخير الصيام صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً**)[1].

أصحاب السبت :

وهم أهل قرية أيلة وكانت مطلة على بحر القلزم (البحر الأحمر) زمن داود عليه السلام، وكان قد حرم الله تعالى عليهم الصيد يوم السبت فكانوا يتحيلون ليصطادوا فيه، فابتلاهم الله تعالى بأن يأتيهم السمك يوم السبت ويمتلئ به البحر وفي غيره من الأيام لا يأتيهم إلا قليل منه .

فكان بعضهم ينصب الشباك يوم الجمعة ويسحبها يوم الأحد وهي ممتلئة بالسمك، وكان بعضهم يحفر مجاري من البحر إلى حفرٍ صغيرة فيدخلها السمك ولا يستطيع الخروج ثم يأخذه يوم الأحد، وهكذا انقسمت القرية إلى (٣) أقسام :

---

[1] رواه مسلم .

القسم الأول : قاموا بالصيد وهم المعتدون في السبت .

القسم الثاني : قاموا بالوعظ والنهي لما فعله المعتدون .

القسم الثالث : لم يصطادوا ولم ينهوا المعتدين عما فعلوه بل سكتوا .

فقسمت القرية إلى نصفين بسور بينهم، وبعد (٣) أيام مسخ المعتدون قردة وخنازير حتى ماتوا ولم يتناسلوا، ونجى الله تعالى الناهين عن المنكر .

وقد اختلف في القسم الذين سكتوا والراجح أنهم قد نجوا، **وقيل** : إن المسخ كان في أخلاقهم وأفعالهم دون أشكالهم والله تعالى أعلى وأعلم .

وفاته عليه السلام :

مات عليه السلام يوم السبت وكانت الطير تظله بأمر سليمان عليه السلام حتى صاح بنو إسرائيل الحر فأمر سليمان عليه السلام الطير أن تظل من ناحية الشمس وأن تخلي ناحية الريح .

قيل : وكان نزول الزبور على داود عليه السلام في شهر رمضان وذلك بعد (٤٨٢) سنة من نزول التوراة على موسى عليه السلام .

الدروس والعبر المستفادة من قصة داود عليه السلام

١- جمال صوت داود عليه السلام إذا تغنى بالزبور حتى إن كل الأشياء كانت تستمع له، **قيل** : حتى الطير كانت تقف في الهواء لتستمع لقراءته، وقد قال ﷺ لأبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه : (**لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**)[١].

٢- عدل حكم داود عليه السلام بين الناس .

٣- قدرة الله تعالى في إلانة الحديد لداود عليه السلام معجزة له .

٤- معرفة أن الأنبياء عليهم السلام من عموم البشر وأن لكل منهم صنعة يقتات منها كعامة الناس .

٥- معرفة أن خير الصلاة (قيام الليل) وخير الصيام، هي صلاة وصيام نبي الله داود عليه السلام كما بين ذلك رسولنا الكريم ﷺ بقوله : (**أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم نصف الدهر، وأحب الصلاة إلى الله عز وجل، صلاة داود عليه السلام، كان يرقد شطر الليل، ثم يقوم، ثم يرقد آخره، يقوم ثلث الليل بعد شطره**)[٢].

---

[١] متفق عليه .

[٢] متفق عليه . تعليق : قصد بذلك ﷺ الأفضلية من حيث الأشمل والأكمل، وإلا فهديه ﷺ هو الأفضل من حيث الأيسر والأرفق حيث شرع قيام الليل من كل أجزائه تيسيراً على الأمة .

٦- احتيال بني إسرائيل في قصة السبت وسوء عملهم فيه .

٧- عموم العذاب إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٨- مسخ الله عز وجل بني إسرائيل بسبب شروعهم في الحيل عليه سبحانه عقاباً لهم وعبرة وعظةً لغيرهم .

٩- أن داود عليه السلام هو الذي قتل جالوت قائد (العمالقة) .

١٠- أن النصر في الحرب لا يعتمد على العدة والعتاد بقدر ما يعتمد على الله تعالى وتوفيقه وتأييده لأحد الفريقين .

١١- بيان أن العدد الذي قاتل به بنو إسرائيل عدوهم جالوت وجنده هو (٣١٤) مثل عدد المسلمين في غزوة بدر كما بيّن ذلك نبينا الكريم ﷺ بقوله : (**إنكم على عدة أصحاب طالوت**)[١].

[١] رواه البخاري .

النسب الشجري لسليمان عليه السلام

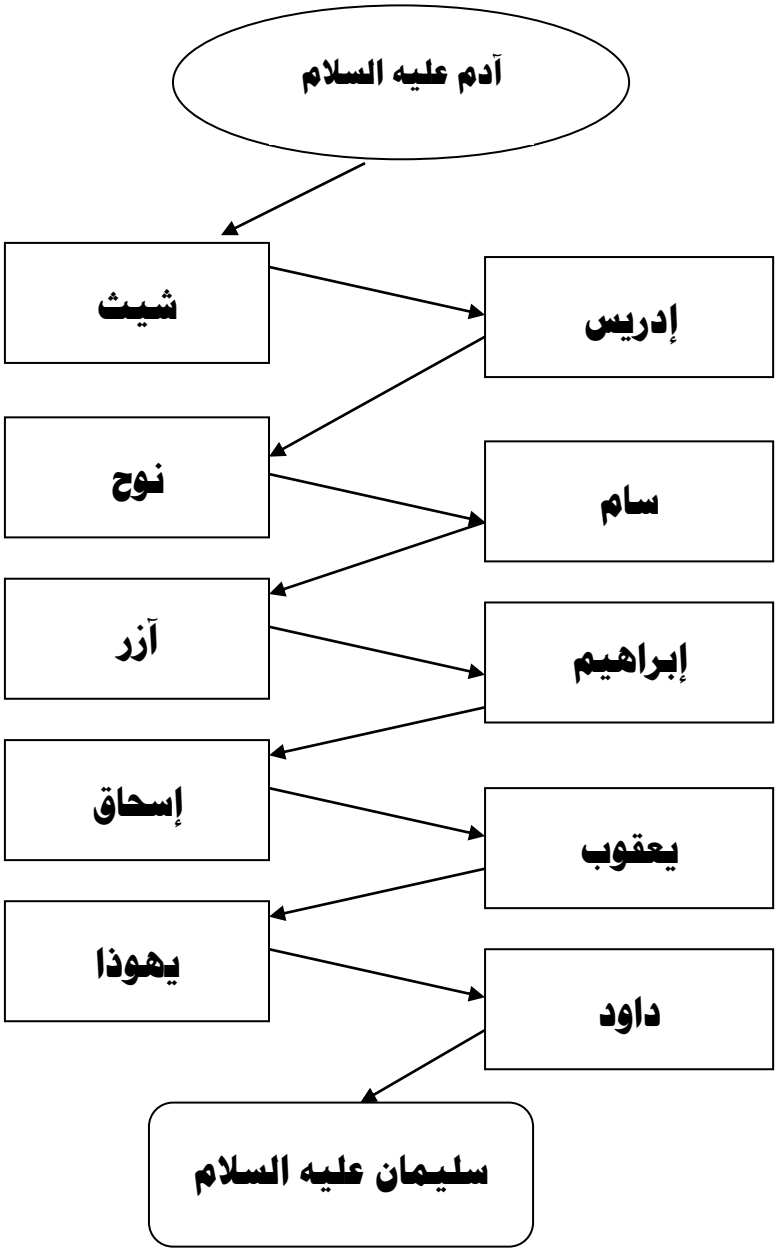

مدة حياته : (٥٢) سنة .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (١٦) مرة .

قال تعالى :

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾
إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ
حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ
وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى
وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾
وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾
هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾

[ص]

سليمان عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (سليمان) بن داود بن أيشا بن عويد ... إلى آخر نسب داود عليهما السلام .

قصته :

ورث سليمان أباه داود عليهما السلام في الملك والنبوة، وأوتي ملك كل شئ، **قيل** : إنه تولى الملك وهو ابن (١٢) سنة وكان ذكياً وقد سخر الله سبحانه وتعالى له الجن والإنس يعملون له ما يشاء وأسال له عين القطر (النحاس المذاب) .

وكان أمر الريح بيده وسخر له كل دواب الأرض تأتمر بأمره وعلمه منطقها (لغتها) . وذات يوم خرج بجنده فسمع نملة تقول لقومها :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1]

فضحك من قولها وتعجب من أمرها وقال :

---

[1] سورة النمل . في الآية كلمة (يحطمنكم) ولم يقل : (يدوسنكم) والتحطيم عادة يكون للزجاج، وقد اكتشف مؤخراً أن جسم النمل يحتوي على نسبة عالية من الزجاج، فقال العلماء : الآية من الأعجاز العلمي .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[1]

غنم القوم :

وذات يوم دخل على داود عليه السلام خصمان يتحاكمان عنده وكان لأحدهما أرض زراعية وللآخر غنم فعدى الغنم على الأرض فأفسده فحكم داود عليه السلام أن الغنم لصاحب الأرض بسبب ما أفسده غنمه، ثم حكم بينهما سليمان عليه السلام بعد ذلك وقال الغنم لصاحب الأرض حتى يقوم صاحبه بإصلاح الأرض ثم يسترد من صاحب الأرض غنمه بعد ذلك :

﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴿٧٩﴾ ﴾[2]

بناء بيت المقدس :

أمر الله تعالى سليمان عليه السلام أن يبني بيت المقدس فبناه ومكث يبنيه (٧) سنين، وهو ما يسمى الآن بالهيكل السليماني، وبعد فراغه من بناء بيت المقدس سأل الله تعالى ثلاث دعوات :

---

[1] سورة النمل .

[2] سورة الأنبياء .

– **الأولى** : أن يؤتيه الله تعالى ملكاً لا يملكه أحداً من بعده .

– **الثانية** : أن يكون حكم سليمان موافقاً لحكم الله تعالى .

– **الثالثة** : أن كل من أراد الصلاة في بيت المقدس عاد مغفوراً له من ذنبه . فاستجاب الله تعالى له الدعوات الثلاث .

ملكة سبأ :

وذات يوم تفقد سليمان عليه السلام الطير فلم يجد الهدهد فتوعده بالذبح إن لم يأته بخبر وعذر مهم يستحق غيابه، فمكث الهدهد مدة حتى عاد وأخبر سليمان بخبر سبأ قائلاً له : وجدت امرأة تملك قومها ولها عرش عظيم وهم يعبدون الشمس من دون الله تعالى . فقال سليمان عليه السلام : سننظر في أمرك هذا وأرسل الهدهد إليهم بكتابه وفيه أن يأتوه مسلمين لله تعالى، ليختبره وليرى صحة كلامه، ولما وقع الكتاب بيدي بلقيس ملكة سبأ قالت للملأ : إني قد جاءني كتاب من سليمان فيه دعوتنا لعبادة الله تعالى فماذا ترون، فقالوا لها : نحن أولوا قوة وبأس شديد والأمر والرأي إليكِ فانظري ماذا ترين ؟ فقالت : بل سأرسل إليهم هديه وسننتظر الرد منهم .

ولما وصلت الهدية إلى سليمان عليه السلام غضب من ذلك وقال للملأ حوله : أيُكم يأتيني بعرشها، فقال عفريت من الجن :

أنا آتيك به قبل أن ينفض مجلسك، ثم قال رجل عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فما طرف حتى وجده أمامه، ثم أمر أن يغير حلي العرش ليختبر عقل بلقيس ولما عاد الرسل إلى بلقيس بعد إيصال الهدية لسليمان وأخبروها بقوة ملكه وعظمته خرجت إليه، ولما وصلت إلى سليمان ودخلت عليه قصره قال لها : أهكذا عرشك قالت : كأنه هو و لم تظن أن هناك قوة تستطيع حمل العرش من اليمن إلى بيت المقدس وشكّت أن يكون ذلك قد حصل فعلاً فقال لها : ادخلي الصرح وهو (قصر من زجاج قد جعل من تحته ممراً للماء ودوابه) فأُمرت بدخوله وكان سليمان جالساً على سريره في القصر أمامها :

﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]

قيل : إن الجن قالوا لسليمان : إن رجلي بلقيس كرجلي حمار، فأراد أن يرى ذلك ويتبينه دون أن تتكشف، فلما دخلت الصرح حسبت أن من تحتها الماء فرفعت ثوبها خشية أن يبتل فلما عبرته علمت أنه زجاج ممرد، ورأى سليمان سلامة ساقيها .

ثم إنه تزوجها عليه السلام بعد ذلك وأقرها على ملكها على اليمن، **قيل** : وكان يزورها (٣) مرات في كل شهر وبنى لها (٣) قصور في اليمن هي (غمدان، سالحين، بيتون) .

---

[1] سورة النمل .

خبر الخيل :

وذات يوم والخيل تستعرض أمام سليمان عليه السلام إذ فات وقت صلاة العصر فذهب للصلاة، ثم أمر برد الخيل وأخذ (يمسحها) يذبحها من سيقانها وأعناقها : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

لذلك أبدله الله تعالى بدلاً من الخيل الريح تجري بأمره رخاءً حيث يشاء، وقد **قيل** : بل كان يمسح عرقها بيده على سيقانها وأعناقها . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إنك لن تدع شيئا لله إلا بدلك الله به ما هو خير لك منه**)[2].

فتنة سليمان :

قال سليمان عليه السلام يوماً : لأطوفن الليلة على (١٠٠) امرأة كلاً منهن تلد ولداً يقاتل في سبيل الله ونسي أن يقول : (**إن شاء الله**) فلم تلد منهن إلا واحدة فقط ولدت له نصف إنسان فوضع على كرسيه فعلم عليه السلام أنه نسي أن يرد الأمر إلى الله تعالى ومشيئته فاستغفر ربه سبحانه وأناب إليه تائباً .

---

[1] سورة ص .

[2] رواه أحمد والبيهقي في الآداب .

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]

موت سليمان عليه السلام :

قيل : إنه كان عليه السلام ينقطع ويتجرد للعبادة في بيت المقدس الشهر والسنة وأقل من ذلك وأكثر وكان كلما أصبح نبتت بين يديه نبتة صغيرة فيسألها ما اسمك ولأي شيء خلقت ؟ فإذا كانت لدواء نبتت وإذا كانت لغرس غرست، حتى نبتت ذات يوم نبته فسألها عن اسمها فقالت : اسمي الخروبة فسألها ولما خلقت فقالت : لخراب مسجدك فعلم أن موته قريب وقال لها : ما كان له أن يخرب وأنا حي فنزعها وغرسها في حائط ثم دعا الله تعالى أن يغم على الجن أمر موته حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب .

وقام عليه السلام يصلي متكئاً على عصاه فتوفاه الله تعالى وهو على تلك الهيئة ومكث سنةً كاملة عليها، والجن والشياطين يعملون تحت أمره الأعمال الشداد وهم لا يعلمون بموته طيلة العام حتى سخر الله تعالى الأرضة (العتة) فنخرت عصاه حتى سقط على الأرض وهنا عُلم بأمر موته، وعلمت الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ولو علموا لما عملوا له أشد الأعمال طوال السنة .

---

[1] سورة ص .

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾[1]

الدروس والعبر المستفادة من قصة سليمان عليه السلام

١- حكم سليمان عليه السلام الموافق لحكم الله تعالى، لهبة الله جل في علاه له أمر كل شيء وتسخيره له . وحكمته عليه السلام في الحكم بين الناس .

٢- شكر سليمان عليه السلام لله عز وجل وعدم افتتانه بكثرة عرض الدنيا والمفاتن من حوله وبما ملكه منها .

٣- تقديم سليمان عليه السلام حب الله تعالى على حب نفسه .

٤- أي عمل لم يرد إلى مشيئة الله تعالى وقدرته لا يتم لأن كل شيء بيده عز وجل وبما قدره سبحانه .

٥- تسخير الجن والشياطين وكل دواب الأرض وإذابة النحاس لسليمان عليه السلام كل ذلك معجزات له .

٦- فتنة سليمان عليه السلام ومعرفة أن كل الأنبياء عليهم السلام مبتلون من الله عز وجل على قدر مكانتهم وقربه منه سبحانه .

---

[1] سورة سبأ .

٧- معرفة أن الجن لا يعلمون الغيب أبداً .

٨- علم سليمان عليه السلام أن الدنيا دار زوال وأن الآخرة دار قرار .

٩- بيان عظمت الله جلت قدرته في جميع جوانب القصة، ومعرفة قدر اسمه الأعظم جل في علاه .

١٠- معرفة أن من ترك شيئاً ابتغاء وجه الله عز وجل أبدله الله تعالى خيراً منه كما أبدل سليمان الريح بعد الخيل .

١١- إن سليمان عليه السلام كان ينقطع للعبادة الأيام والشهور وأقل من ذلك وأكثر وهذا يدل على كثرة عبادة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

١٢- معرفة أن كل دواب الأرض أمم وجماعات أمثالنا ولهم لغات .

١٣- زواج سليمان عليه السلام من بلقيس ملكة سبأ وبناؤه (٣) قصور لها في اليمن .

١٤- معرفة أن سليمان عليه السلام هو الذي جدد بناء بيت المقدس لذا عرف بعد ذلك بالهيكل السليماني .

النسب الشجري لإلياس عليه السلام

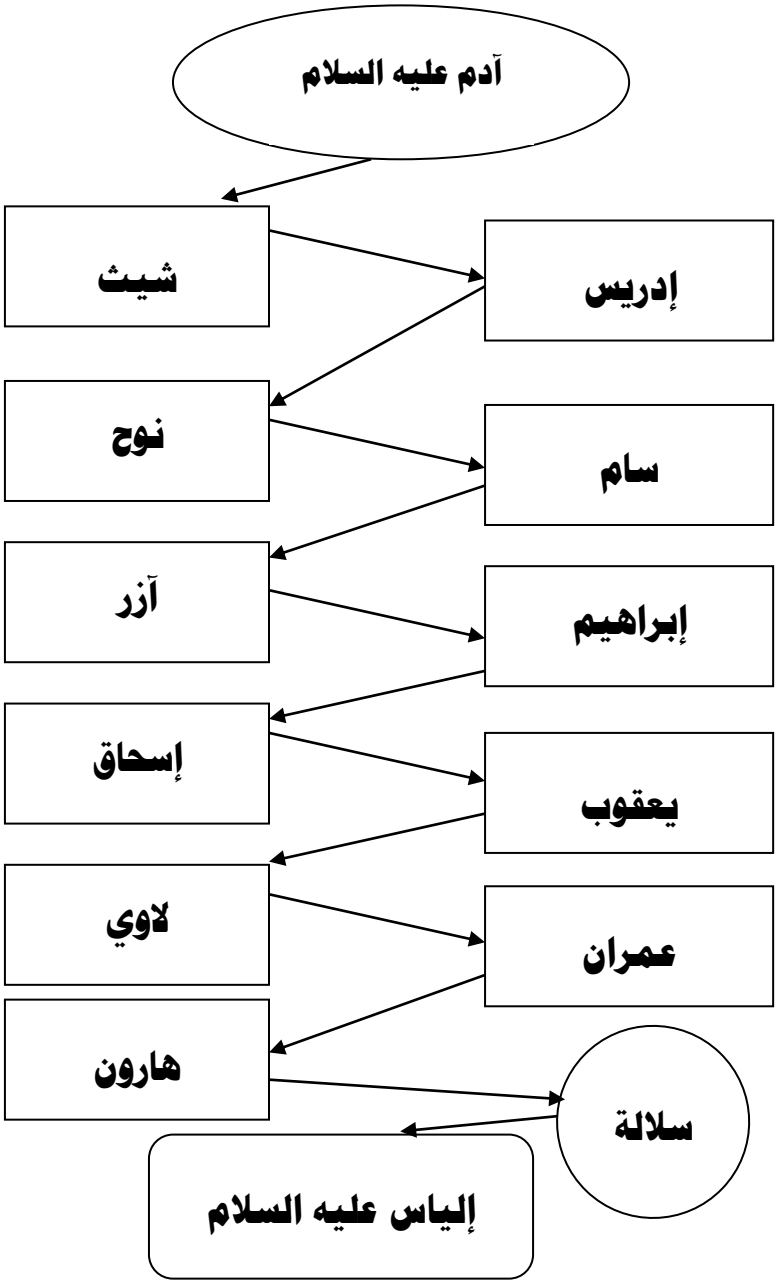

مدة حياته : (غير معروفه) .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٢) مرتين .

قال تعالى :

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

[الصافات]

إلياس عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (إلياس) بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران إلى آخر النسب، أرسله الله تعالى إلى بعلبك وأهلها غرب مدينة دمشق وكانوا يعبدون صنماً يقال له (بعل) .

﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1]

قصته :

أرسله الله تعالى إلى أهل هذه المدينة فكذبوه وأرادوا قتله فهرب منهم واستخفى في جبل قاسيون في مغارة، حتى مرض الملك وأرسل يريد قتله بحيله فلم يستطع حتى مات (الملك) .

وتولى مَلكُ غيره فبعث الله تعالى إلياس إليه ليعرض عليه الإسلام فأبى ذلك الملك وأسلم من قومه خلق كثير فأمر بهم فقتلوا جميعاً .

قيل : وأن إلياس عليه السلام لما كان مستخفياً في المغارة كانت الغربان تأتيه برزقه، و**قيل** : مكث فيها لمدة (٤٠) ليله، و**قيل** : إنه عليه السلام لما كذبه قومه دعا الله تعالى أن يرفعه إليه فرفعه سبحانه إليه، والله تعالى أعلى وأعلم .

---

[1] سورة الصافات .

الدروس والعبر المستفادة من قصة إلياس عليه السلام

١- كفر قوم إلياس عليه السلام غاية الكفر ومحاولة قتله رغم نبوته .

٢- هروب إلياس عليه السلام من قومه واختفاؤه منهم في مغارة جبل قاسيون لظلمهم وتعديهم على الصالحين بل وعلى الأنبياء عليهم السلام .

٣- قدرة الله تعالى على الكون وتسخير الدواب لخدمة عباده الصالحين .

٤- عتو بني إسرائيل واعتدائهم وذلك بقتلهم الأنبياء عليهم السلام وبتحريفهم الكتب السماوية .

٥- استهزاء بني إسرائيل بأمر أنبيائهم عليهم السلام وشرائع الله تعالى وبكل ما يختص بالأمر الدين .

٦- إن قوم إلياس عبدوا صنماً يقال له : (بعل) .

٧- تجبر معظم ملوك بني إسرائيل وطغيانهم وخروجهم وتعديهم على أنبيائهم عليهم السلام بقتلهم وسجنهم وتشريدهم كل ذلك حرصاً على الدنيا والتمتع بشهوتها وملذاتها .

النسب الشجري لزكريا عليه السلام

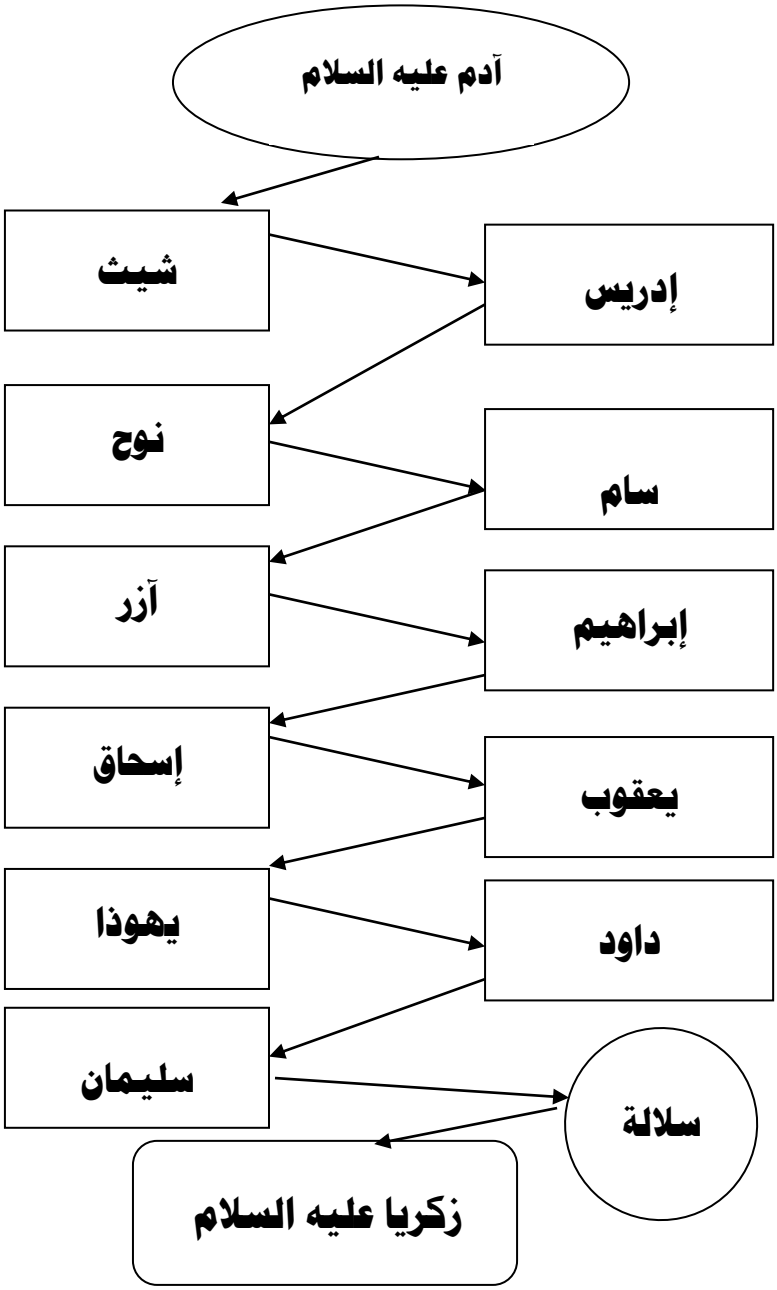

مدة حياته : (غير معروفه) .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٨) مرات .

قال تعالى :

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ ﴾

[مريم]

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠ ﴾

[الأنبياء]

زكريا عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (زكريا) بن برخيا **ويقال** بن لدن بن مسلم بن صـــدوق بن حشبان بن دان بن سليمان بن مسلم بن صديقه بن برخيا بن بلطه بن ناحور بن شـــلوم ... إلى أن يصل إلى سليمان بن داود عليهما السلام .

قصته :

لما كبر زكريا عليه السلام و لم يكن له ولد يرثه دعا الله تعالى أن يرزقه من يرثه، وكان قد كفل مريم بنت عمران وكان كلمـــا دخل عليها المحراب (المصلي) وجد عندها رزقاً (فاكهة) باختلاف فصولها التي تنبت فيها فيسألها أنى لك هذا ؟ فتقول : هو من عند الله تعالى :

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]

وعند ذلك تنبه زكريا عليه السلام لما سمع رد مريم، فقام على الفور يصلي في المحراب ويدعو الله تعالى أن يرزقه الولـــد فنادتـــه

[1] سورة آل عمران .

الملائكة وهو في المحراب لم يفرغ من صلاته بعد أن الله تعالى يبشرك بغلام اسمه (يحي) لم يسم بهذا الاسم أحد من قبل ولدا صالحاً باراً بوالديه وحصوراً لا يأتي النساء ونبياً من الأنبياء وعلامة ذلك أنك لن تستطيع الكلام مدة (٣) أيام، وكان عُمر زكريا عليه السلام آنذاك (٧٧) سنة .

قصة قتله عليه السلام :

قيل : لما أُخِذ يحي عليه السلام وقُتل خسف الله تعالى بالملك وملكه فقالت بنو إسرائيل : إن رب يحي غضب ليحي وخسف بالملك فهيا بنا نغضب لملكنا ونقتل أباه زكريا، فهرب عليه السلام، وفي طريقه عرضت له شجرة وقالت له : ادخل فيّ وانصدعت له نصفين فدخل فيها وكان القوم خلفه وإبليس لعنه الله أمامهم فأمسك بطرف رداء زكريا عليه السلام حتى بقي ظاهراً فجاء بنو إسرائيل وقال لهم إبليس لعنه الله تعالى : أما رأيتموه إنه في هذه الشجرة فأرادوا إحراق الشجرة ولكن إبليس لعنه الله قال لهم : بل شقوه بالمنشار فشقوا الشجرة وشقوا زكريا عليه السلام معها، عليهم وعلى إبليس الرجيم لعائن الله تعالى المتلاحقة إلى يوم القيامة .

الدروس والعبر المستفادة من قصة زكريا عليه السلام

١- بيان أن الذرية متعلقة بمشيئة الله تعالى فهو فوق كل شـــيء، وأنه هو الذي جعل القوانين الدنيوية كما شاء أن تكون .

٢- تذكر زكريا عليه السلام رحمة الله تعالى بعد رؤية الرزق عند مريم عليها السلام وأنه قادر على ما أراد ورزاق في أي وقت بمـــا أراد، فيه دليل على أن الأنبياء عليهم السلام هم بشر مثلنا وأحياناً يتعرض أحدهم للنسيان فيذكر ويتنبه مما حوله .

٣- استجابة الله سبحانه وتعالى دعاء الصالحين، وأنه عز وجل لا يرد أحداً لجأ إليه ودعاه وتوكل عليه جل في علاه، غير أن علـــى المسلم أن يصبر حتى يحين وقت تحقيق دعوته .

٤- تعلق زكريا عليه السلام بربه سبحانه، وخروج بني إســـرائيل عن طاعته بعدوانهم عليه وقتله .

٥- إعانة إبليس لعنه الله تعالى على الشر، وعمله على طمس الخير والحق والنور، ومنتهى رضاه نشر الباطل وتغيير دين الله تعالى في الأرض .

٦- عتو بني إسرائيل وعدم اعتبارهم بخسف ملكهم بل وكابروا واعتدوا على نبيهم الآخر وقتلوه شقاً بالمنشار .

٧- كفالة زكريا لمريم عليهما السلام وقيامه على شؤنها بعد أن استهم مع غيره من قومه على من يكفلها .

٨- إن الله تعالى قد يرزق عباده الصالحين بعض نعيم الدنيا الفاني وملذاتها كما رزق مريم عليها السلام الفواكه، وهي من باب عاجل بشرى المؤمن .

٩- **قيل** : إن الله تعالى كان يرزق مريم الفواكه باختلاف فصولها التي تنبت فيها لأنها كانت قد تعهدت بأن تقوم على نظافة المسجد ورعايته .

١٠- على العبد أن يلجأ إلى الله تعالى دوماً وفي كل وقت وحين ففي ذلك غاية الاعتصام بالله تعالى .

١١- في الأثر أن من لزم قول الله تعالى : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[١]، رزقه الله تعالى الولد وإن كان عقيماً لسنين طويلة .

[١] سورة الأنبياء .

النسب الشجري ليحي عليه السلام

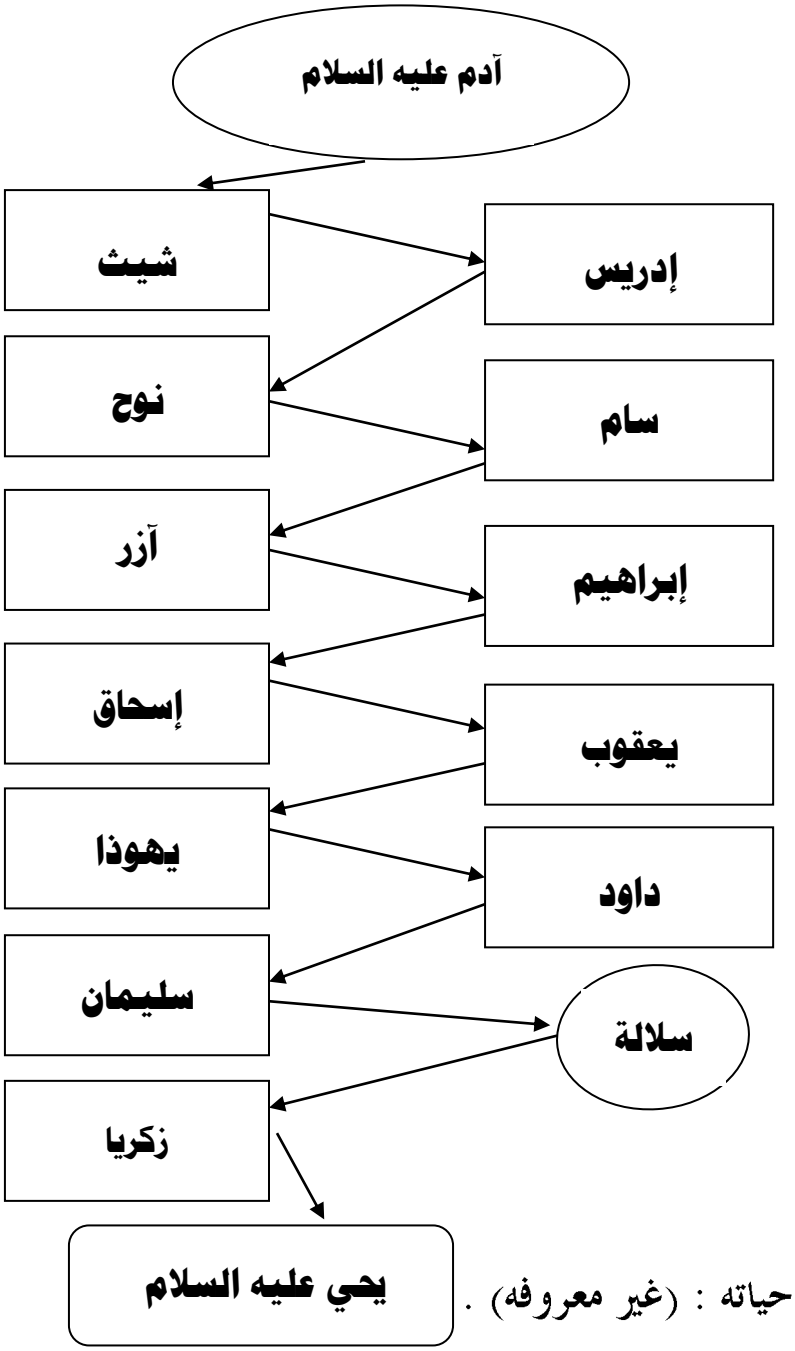

مدة حياته : (غير معروفه) .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٥) مرات .

قال تعالى :

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

[الأنعام]

﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن
جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾

[مريم]

يحي عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (يحي) بن زكريا بن لدن بن مسلم... إلى آخر نسب زكريا عليهما السلام . كان عليه السلام حصوراً (لا يأتي النساء) زهداً فيهن مع قدرته على ذلك، وفي الأثر قوله ﷺ : (**الشهيد ابن الشهيد يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب يريد يحيى بن زكريا**)[1].

وقال أيضاً ﷺ : (**ما من أحد إلا يلقى الله بذنب إلا يحي بن زكريا**)[2]. وقد ولد قبل عيسى بـ(٣) أشهر، وهو ابن خالته، أي أن مريم بنت عمران تعتبر خالته .

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[3]

وتسميه النصارى : (المعمدان أو يوحنا) لأنه عليه السلام قد عمّد نفسه بالتبريك وهو (الدعاء بالبركة) لكل من أراد (الاغتسال بالماء توبةً إلى الله تعالى من ذنوبه) .

---

[1] رواه المتقي الهندي في كنز العمال عند ابن عساكر في تاريخه .

[2] رواه أحمد وابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة .

[3] سورة آل عمران .

قصته :

لا يعرف عن يحي عليه السلام شيء إلا القليل ومن ذلك :

قال ﷺ (إن الله تعالى أمره عليه السلام بـــ(٥) كلمـــات أن يعلمهن بني إسرائيل فجمع بني إسرائيل في المســـجد وعلمهـــم إياهن[١]، وقال :

الأولى ـــ آمركم أن تعبدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئاً ...

الثانية ـــ وآمركم بالصلاة، فإن الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا .

الثالثة ـــ وآمركم بالصيام، فإن الله مثّل ذلك، كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة (جماعة) كلهم يجد ريح المســـك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

الرابعة ـــ وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك، كمثل رجل أسره العدو فشدوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال : هل لكم أن أفدي نفسي منكم فجعل يفدي نفسه منهم بالقليل والكثـــير حتى فك نفسه .

الخامسة ـــ وآمركم بذكر الله تعالى فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيـــه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله تعالى .

---

[١] رواه الترمذي والنسائي وأحمد والحاكم وابن حبان . والحديث بالمعنى .

قصة قتله عليه السلام :

كان عليه السلام لا يأتي النساء، فأحبته امرأة الملك وكانت بغيه ضالة فأرسلت إليه تطلبه لها فعصمه الله سبحانه وتعالى منها وامتنع، فأزمعت على قتله .

وكان لهم يوم عيد في كل عام وكان الملك لا يخلف ولا يكذب فتجملت له زوجته حتى أعجب بها، ثم قال لها : تمني فقالت : أريد رأس يحي فبعث إليه جنوده ويحي عليه السلام يصلي في المحراب فأخذوه وذبحوه ذبحاً وحملوا رأسه ودمه في طست إلى الملك وبغيته، ولما أمسوا خسف الله تعالى بالملك وملكه وكل الظالمين .

قيل : ومكث دمه يفور حتى جاء بختنصر وقتل وذبح عليه (٧٠) ألفاً من بني إسرائيل حتى جاء النبي أرميا عليه السلام وقال للدم : أفنيت بني إسرائيل فأسكن، فسكن الدم .

وقد **قيل** : غير هذه القصة وهي إن أحد الملوك أراد الزواج من إحدى محارمه فأبى يحي عليه ذلك فحقدت عليه تلك المرأة ذلك، فلما خلت بالملك طلبت منه دم يحي عليه السلام فأجابها إلى ذلك، ثم كان ما كان من أمر قتله لعنهم الله تعالى .

الدروس والعبر المستفادة من قصة يحي عليه السلام

١- براءة يحي عليه السلام من الخطايا والذنوب والآثام، وعدم رغبته في النساء زهداً فيهن .

٢- عفته عليه السلام وأن الله تعالى هو الذي سماه باسم لم يسم به أحدٌ من قبل .

٣- وحشية بني إسرائيل بِعَدوِهم على أنبيائهم عليهم السلام وقتلهم ورفضهم دين الله تعالى والاستهزاء بكتبه وشرائعه .

٤- انغماس بني إسرائيل في الشهوات وطاعة ملوكهم للبغايا، لذا قال ﷺ : (**إن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**)[١] .

٥- معرفة أن الصلاة والصيام والصدقة كانت في ملة بني إسرائيل، وبيان بعض الأحكام المتعلقة بها المذكورة في وصاياه عليه السلام لبني إسرائيل، وكذا بيان فضل ذكر الله تعالى في كل وقت .

٦- أن يحي شهيد وأباه زكريا شهيد عليهما السلام .

٧- إن يحي عليه السلام كان حصوراً لا يأتي النساء زهداً فيهن مع قدرته على ذلك على الصحيح .

٨- خبث بني إسرائيل وحقارة عقولهم لأنهم أعوان الشيطان المنغمسين في الغي والضلال والسفه .

---

[١] رواه مسلم وأحمد واللفظ له .

٩- بيان أن زكريا ويحي وعيسى عليهم السلام كانوا في زمن واحد، وفي ذلك دلالة على كثرة الأنبياء عليهم السلام في بني إسرائيل لغاية عتوهم وعنادهم وكفرهم وفجورهم، ورغم ذلك فهم أشد الناس بعداً عن الحق وأكثرهم معاداة له ونصوصاً عنه .

١٠- كان يحي ابن خالة عيسى عليهما السلام .

١١- غاية بر يحي عليه السلام بأبيه وأمه، هكذا كان حال الأنبياء عليهم السلام مع والديهم .

الباب الرابع : قصص الأنبياء في غير القرآن الكريم .

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[النساء]

- شيث عليه السلام
- ذا الكفل عليه السلام
- يوشع عليه السلام
- شمويل عليه السلام
- اليسع عليه السلام
- أشعيا عليه السلام
- أرميا عليه السلام
- حزقيل عليه السلام
- دانيال عليه السلام
- العزير عليه السلام

شيث عليه السلام

التعريف بالنبي :

كان (شيث) عليه السلام ابن آدم الذي أوصاه بكل شيء قبل موته وكان أجمل أولاد آدم عليهما السلام حينها، وأفضلهم وأشبههم به وكان نبياً من الأنبياء وأنزلت عليه صحف، قال ﷺ لما سئل يا رسول الله كم كتاباً أنزل الله ؟ قال : (**مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على خنوخ ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان**)[1].

وقد تولى شيث عليه السلام أعباء الأمر بعد موت أبيه آدم عليه السلام، **قيل** : وكل بني آدم من نسل ولده شيث عليهما السلام وأن بقية أبنائه انقرضوا جميعاً . و**قيل** : إنه أول من تكلم بالعبرانية وأول من رُأي باللحية ولبس القلنسوة (العمامة) والنعلين، وهو الذي بنى الكعبة من طين وحجارة .

ولما حانت شيث الوفاة أوصى إلى ولده (أنوش) والذي **قيل** : إنه أول من حسب الشهور وعلم الكتاب .

---

[1] رواه ابن حبان وأبو نعيم في الحلية . وخنوخ أو أخنوخ هو إدريس عليه السلام .

ثم أوصى أنوش من بعده ولده قينان ثم من بعده ولده مهلاييل وهو الذي كان في أيامه الرجال الخمسة الصالحين الذين عُبدوا من دون الله تعالى وهم (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسراً) وهكـــذا حتى وصلت الخلافة إلى أخنوخ (إدريس عليه السلام) كما **قيل** .

قصته :

لم تعرف أو تذكر له قصه والله تعالى أعلى وأعلم .

الدروس والعبر المستفادة من قصة شيث عليه السلام

١- إن كل البشر من نسل شيث عليه السلام .

٢- أن شيثاً عليه السلام نزلت عليه (٥٠) صحيفةً وهذا يـــدل على أنه يوجد كتب سماوية غير الكتب الســـماوية المـــذكورة في القرآن الكريم .

٣- إن آدم قد وصى من بعده لابنه شيث عليهما السلام .

٤- شيث عليه السلام أول من بني الكعبة بالحجارة والطين ولبس النعلين والعمامة وتكلم بالعبرانية .

٥- أن شيثاً كان يشبه أباه آدم عليهما السلام .

٦- الكعبة المشرفة كانت موجودة منذ قديم الزمـــان، ثم جـــاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأعادا بناءها من جديد .

النسب الشجري ليوشع عليه السلام

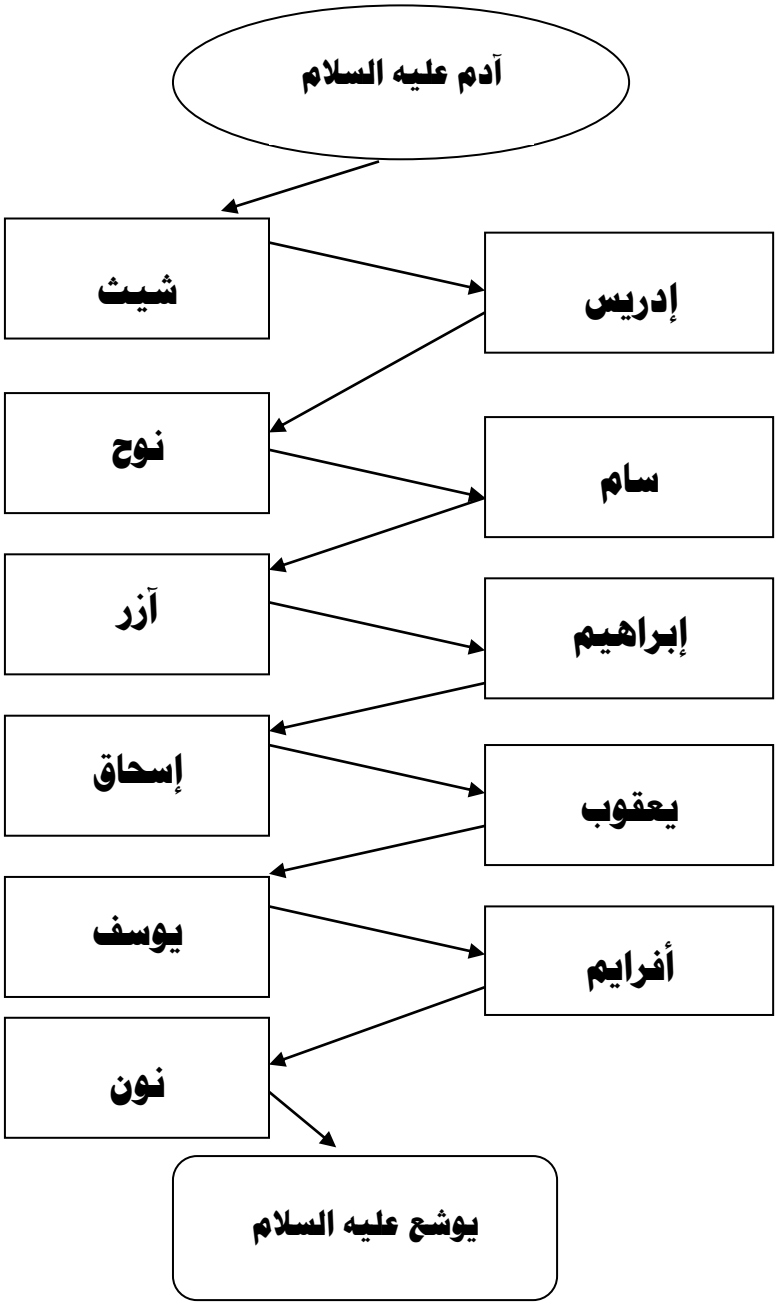

ورد ذكر قصته في سورة الكهف آيه (٦٠) .

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾

[الكهف]

يوشع عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (يوشع) بن نون بن أفرايم بن (يوسف بن يعقوب) عليهما السلام، وهو فتى وخادم موسى عليه السلام الوارد ذكره في سورة الكهف .

قصته :

أمر الله تعالى يوشع عليه السلام أن يعبر ببني إسرائيل الأردن ليصلوا إلى (بيت المقدس) في فلسطين، وأن يأمرهم بأن يتجهزوا لقتال عدوهم ففعل بنو إسرائيل ذلك وحاصروا عدوهم في أريحا (٦) أشهر حتى دخلوها وقتلوا فيها (١٢٠٠٠) اثني عشر ألفاً، وأمرهم بأن يقولوا وهم داخلون باب المدينة (حطه) أي (ربنا حط عنا خطايانا) . فدخل بنو إسرائيل المدينة ساخرين وهم على أستاههم وهم يقولون : (حبه في شعره أو حنطه في شعره) وبدلوا واستهزؤا بكلام الله تعالى فأنزل الله تعالى عليهم الرجز (وباء الطاعون) على الظالمين منهم .

وقد قال ﷺ : (**إن الشمس لم تحبس على بشر الا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس**)[1].

[1] رواه أحمد والسيوطي في الجامع الصغير وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة .

وقال ﷺ : **(غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن ولا آخر قد بنى بنياناً ولما يرفع سقفها ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادها قال فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي شيئا فحبست عليه حتى فتح الله عليه قال فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار لتأكله فأبت أن تطعمه فقال فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فبايعته قال فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب قال فوضعوه في المال وهو بالصعيد فأقبلت النار فأكلته فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا)**[1].

وفاته عليه السلام :

ومكث يوشع عليه السلام يحكم بينهم حتى توفي وهو ابن (١٢٧) سنة وحياته بعد موسى كانت (٢٧) سنه، وهو الذي دخل ببني إسرائيل بيت المقدس بعدما كانوا في التيه .

[1] متفق عليه .

الدروس والعبر المستفادة من قصة يوشع عليه السلام

١- قيام يوشع بالأمر بعد موسى عليهما السلام ودخوله ببني إسرائيل بيت المقدس، وقد كان فتى موسى عليهما السلام قبل ذلك .

٢- غاية عناد بني إسرائيل واستهزائهم بدين الله تعالى .

٣- موت كل من كان في التيه من بني إسرائيل وإنما كان كل الذين دخلوا بيت المقدس من نسل من كان أيام موسى عليه السلام .

٤- كان شعب بني إسرائيل شعب الله المختار في حينه ثم أصبح بعد ذلك شعب الشيطان، بقتله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وتحريفهم الكتب السماوية، واستهزائهم بالشرائع الدينية الربانية .

٥- تسلط الشعب الإسرائيلي وتجبره واستهزائه واستخفافه بالشرائع الربانية فكيف بسائر الأمور الدينية والدنيوية .

٦- إن الله تعالى حبس الشمس عن نبيه يوشع عليه السلام حتى فرغوا من الغزو كي يدركوا وقت الصلاة .

٧- الغنائم لم تحل لأحد من قبلنا من الأمم، وقد أحلت لنا وذلك فضل الله تعالى علينا، وفي ذلك قال ﷺ : (**فضلت على الأنبياء**

بست : أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)[1].

٨- الغلول من الغنائم (الأخذ منها قبل أن تقسم) معصية كبرى لا يستهان بها .

٩- إن علامة قبول العمل في شرع من قبلنا كانت بأكل النار للغنائم .

١٠- الجهاد إنما يكون برجال خلصاء صالحين وبهم وبأمثالهم تكون النصرة والتمكين في الأرض .

١١- إن الله تعالى يمهل ولا يهمل حيث أنه تعالى عاقب بني إسرائيل بالطاعون جزاءً لهم جراء سخريتهم .

١٢- القتال والجهاد في سبيل الله تعالى مفروض على كل الأمم وذلك لإعلاء كلمة الله تعالى وإقامة لشرعه سبحانه في الأرض .

---

[1] رواه مسلم .

النسب الشجري لشمويل عليه السلام

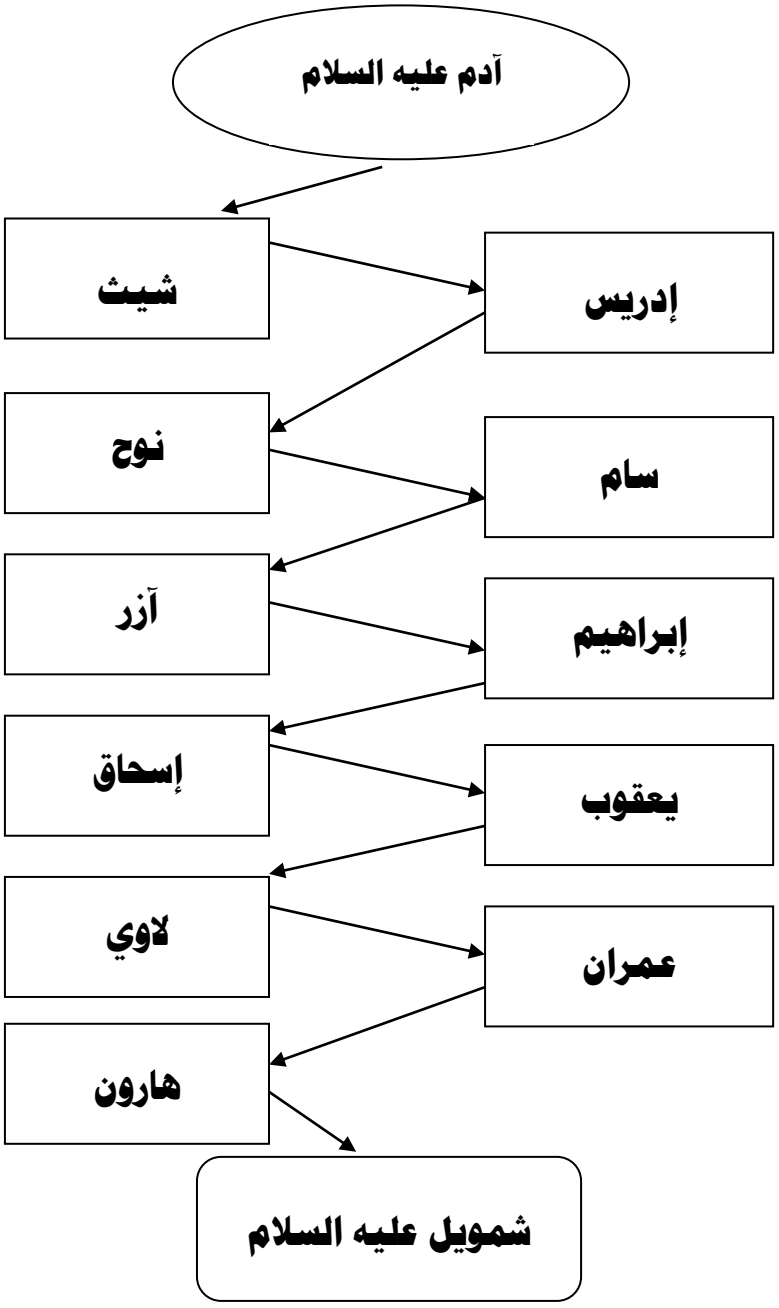

ورد ذكر قصته في سورة البقرة الآيات (من ٢٤٦ إلى ٢٥٢) .

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾

[البقرة]

شمويل عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (شمويل) **ويقال** : صمويل بن بالي بن علقمه بن يرخام بن اليهو بن تهو بن صوف بن علقمه بن ماحث بن عموصا بن عزريا .

منشأه :

عندما غلبت العمالقة (البابليين) واستولوا على أرض بيت المقدس وقتلوا من بني إسرائيل وسبوا انقطع التنبؤ من سبط لاوي ولم يبقى غير امرأة حبلى فدعت الله تعالى أن يرزقها ولداً، فكان شمويل عليه السلام .

نبوته :

وعندما كبر وترعرع بعثته أمه إلى المسجد عند رجل صالح ليعلمه فكان عنده حتى بلغ أشده، وذات ليلة وهو نائم إذا بصوت يأتيه من ناحية المسجد ففزع وانتبه مذعوراً فظن أن المنادي هو الشيخ فأتاه وسأله : أأنت المنادي ؟ فقال له : الشيخ نعم وكره أن يفزعه، ثم سمع الصوت كذلك مرة ثانية وفي الثالثة إذا بجبريل يدعوه ويقول له : إن ربك قد بعثك إلى قومك .

قصته :

بعدما قُهر بنو إسرائيل من أعدائهم دعو الله تعالى أن يجعل لهم ملكاً يقاتلون تحت رايته فقال لهم نبيهم شمويل عسى إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا فقالوا : وما لنا لا نقاتل وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا، فقال لهم : إن الله تعالى قد بعث لكم طالوت ملكاً، فطعنوا في تملّكه عليهم لأن سبط لاوي كان هو سبط النبوة، وسبط يهوذا هو سبط الملك، وملكهم طالوت لم يكن من سبط النبوة ولا من سبط الملك، وإنما من سبط بنيامين .

ولما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم ولم يسمعوا نصيحة نبيهم من قبل وكانوا من الظالمين .

الدروس والعبر المستفادة من قصة شمويل عليه السلام

١- موعظة شمويل عليه السلام لقومه قبل فرض القتال عليهم لأنهم لا يستطيعونه لتخاذلهم، لذا فمن قول الصالحين : (اللهم لا تبتلينا فتفضحنا) .

٢- الخير والعبرة في العلم وليس المال، وخير عباد الله تعالى من كان خيره لنفسه ولغيره من الناس وليس بنسبه وماله، وكم من مال أهلك صاحبه .

٣- جهل بني إسرائيل وخروجهم عن طاعة الله تعالى، واعتراضهم على حكمه وحكمته .

٤- إن الله تعالى لا يمل حتى يمل الإنسان، فينبغي ألا يكلف الإنسان نفسه ما هو فوق طاقته لأنه قد يعجز فينخذل .

٥- يجب على المسلم ألا يقول ما لا يفعله وإن قال بشيء فعليه فعله .

٦- إن مُلك بني إسرائيل كان في سبط يهوذا أما النبوة فقد كانت في سبط لاوي .

٧- كثرة الأنبياء عليهم السلام في بني إسرائيل ورغم ذلك قلة المؤمنين منهم، فهم أشد الناس عداوة للحق وأكثرهم معارضة لدين الله تعالى .

النسب الشجري لليسع عليه السلام

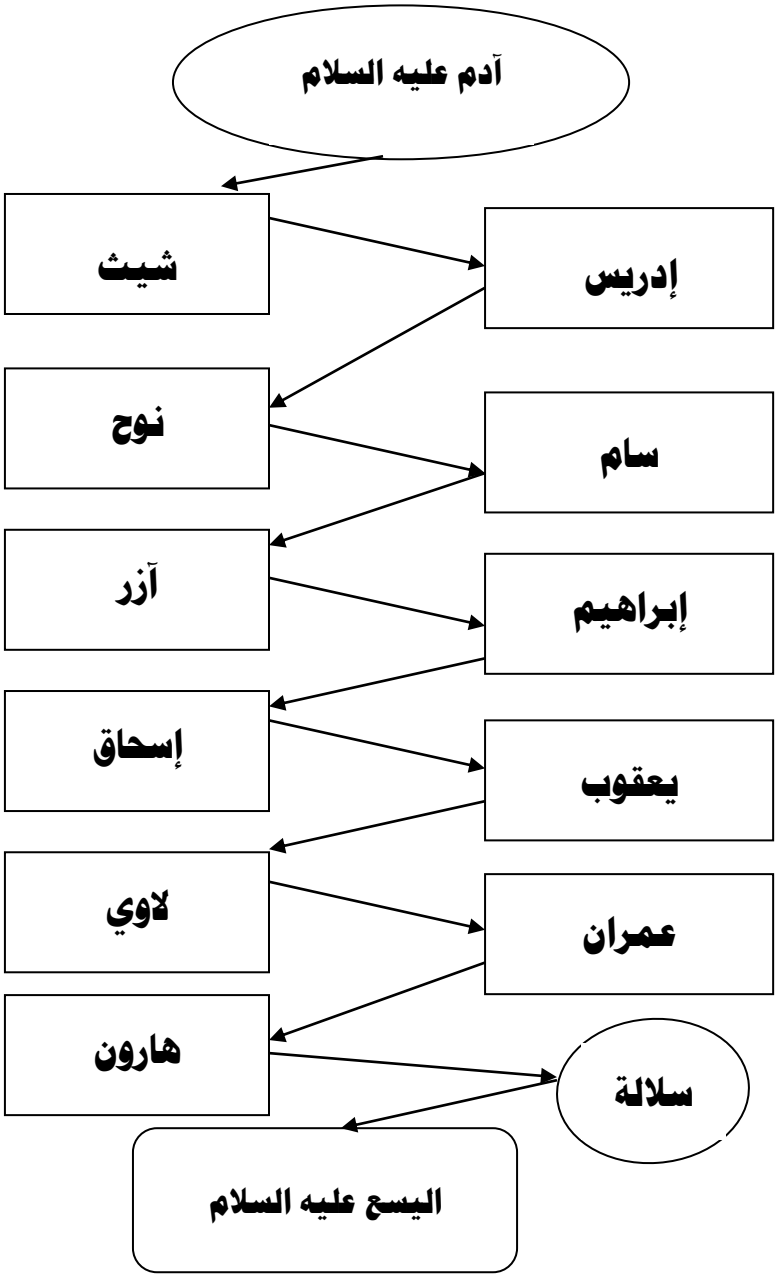

مدة حياته : (غير معروفه) .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٢) مرتين .

قال تعالى :

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

[الأنعام]

﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

[ص]

اليسع عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو ابن أخطوب العجوز و**قيل** : هو (أسباط) بن عدي بن شوتلم بن افرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام) وهو ابن عم إلياس عليه السلام، وكان خلفاً له .

قصته :

لم تعرف له قصه، إلا أنه كان مستخفياً مع إلياس عليه السلام في جبل قاسيون، وقد **قيل** : إنه كان تلميذاً لإلياس عليهما السلام فدعا الله تعالى له فجعله الله تعالى نبياً .

الدروس والعبر المستفادة من قصة اليسع عليه السلام

١- معرفة أن اليسع كان نبياً من الأنبياء عليهم السلام .

٢- معرفة أن اليسع وإلياس عليهما السلام كانا في زمن واحد .

٣- إن اليسع وإلياس عليهما السلام كانا مستخفيين معاً في جبل قاسيون .

٤- ظلم ملوك بني إسرائيل وتجبرهم واستبدادهم لدرجة التعدي على الأنبياء عليهم السلام بقتلهم وتشريدهم وحبسهم حتى إن نبيهم اليسع عليه السلام هرب منهم واختفى في جبل قاسيون .

النسب الشجري لذي الكفل عليه السلام

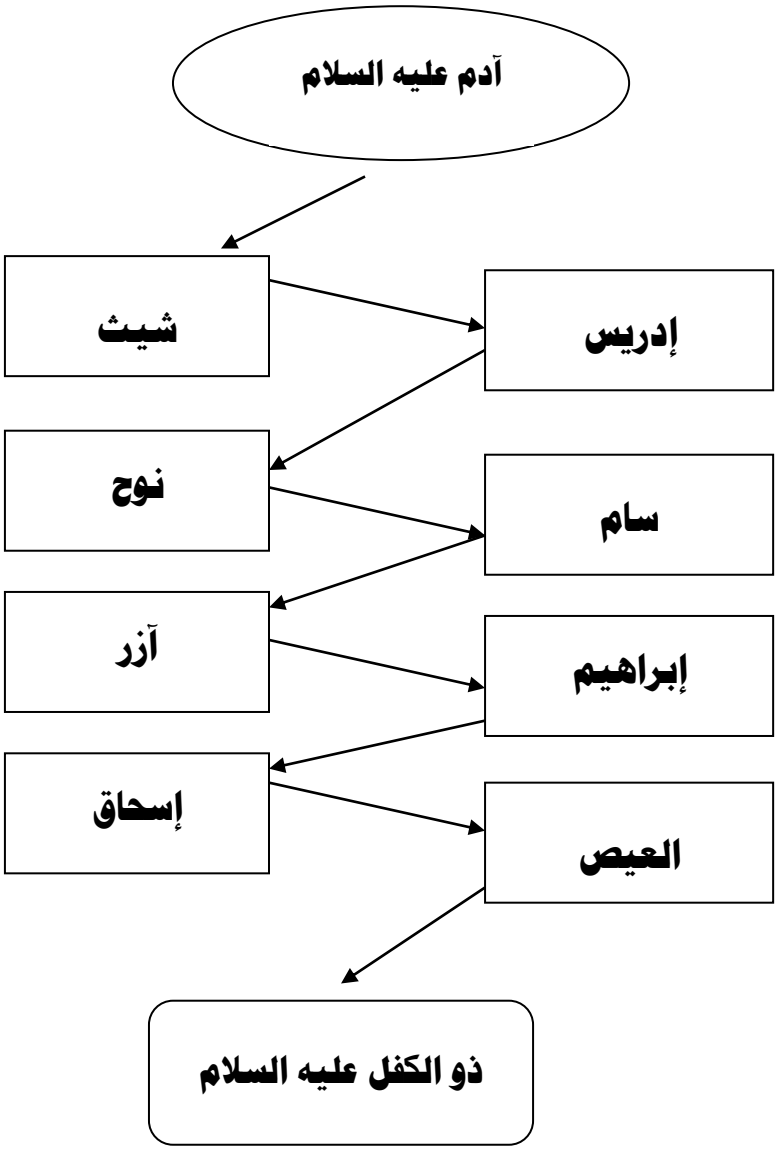

مدة حياته : (غير معروفه) .

ورد ذكره في القرآن الكريم : (٢) مرتين .

قال تعالى :

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

[الأنبياء]

﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

[ص]

ذو الكفل عليه السلام

التعريف بالنبي :

المشهور أنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، و**قيل** : إنه ابن أيوب عليهما السلام، و**قيل** : في اسمه أنه (بشر) وأنه كان في الشام .

قصته :

لما كبر اليسع عليه السلام قال : لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل فيهم في حياتي حتى أرى كيف يصنع، فجمع الناس وقال لهم : من يتقبل مني بثلاث خصال فأستخلفه (**يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يغضب**) فقام رجل وقال : أنا فرده لازدراء أعين الناس فيه .

فقال اليسع عليه السلام في اليوم الثاني كما قال في اليوم السابق فقام نفس الرجل فاستخلفه وولاه على الناس .

الخلافة :

وصار الرجل الذي استخلفه اليسع عليه السلام يصوم النهار ويقوم الليل ويجلس يومه يقضي بين الناس، وذات يوم جاء إبليس لعنه الله تعالى في صورة شيخ كبير فقير في قائلة الظهيرة وقد أخذ الرجل الذي استخلفه اليسع مضجعه وكان لا ينام إلا في ذلك

الوقت فدق الباب عليه وقال : شيخ كبير مظلوم فقام وفتح لـــه الباب فحدثه بحديث وقص عليه قصته وهي :

قال إبليس لعنه الله وهو في تلك الصورة : إن بيني وبين قومي خصومه وأنهم ظلموني وفعلوا بي الأفاعيل، وجعل يطـــول علـــى الرجل الذي استخلفه اليسع الحديث حتى ذهب وقت نومه ودخل وقت العصر فقال الرجل لإبليس : أحضر المجلس لآخـــذ لـــك حقك، ولما حان وقت المجلس تلفت الرجل فلم يرى الشيخ الكبير وهو يقضي بين الناس في المجلس .

وفي اليوم الثاني وفي وقت القائلة، جاء إبليس وفعل كما فعل في اليوم السابق، فقال له الرجل : ألم أقل لك أن تـــأتيني وقـــت المجلس فقال إبليس : إنهم قوم خبثاء إذا عرفوا أنك تقعد للمجلس قالوا : نعطيك حقك فإذا قمت جحدوني، فقال له : انطلق وإذا قمت أحضر المجلس حتى فات عليه وقت نومه في القائلة كالأمس ثم راح الرجل لمجلسه ليقضى بين الناس فتلفت فلم يرى الشـــيخ، وفي اليوم الثالث قام إلى البيت وأمر أحد أهله ألا يقترب أحدٌ من الباب فقد شق عليه النوم، فجاء إبليس وقـــال للحـــارس أتيتـــه بالأمس وذكرت له شأني، فقال له الحارس : دونك لا تدخل فقد أُمرنا بذلك ألا يدخل عليه أحد أبداً .

فدخل إبليس لعنه الله تعالى من كوة (شق صغير) في البيت بعد مشقه ودق الباب من الداخل فاستيقظ الرجل منتبهاً من نومه وتوجه للحارس وقال له : يا فلان ألم آمرك ألا تدخل أحداً قال : قد فعلت، فقام الرجل ونظر للباب فإذا هو مغلق والشيخ الكبير معه في البيت، فعرفه وقال : أعدو الله، قال إبليس : نعم قد أعييتني في كل شيء فأردت أن أغضبك، لذا سماه الله تعالى ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به وأحسن .

الدروس والعبر المستفادة من قصة ذي الكفل عليه السلام

١- صبر ذي الكفل عليه السلام على أعباء الأمانة وتحمله إياها وقيامه بها حق قيام على الوجه المطلوب .

٢- تحمل المشاق في سبيل طاعة الله تعالى ونيل رضاه .

٣- عجز إبليس لعنه الله تعالى عن إيقاع الضرر بعباد الله تعالى الصالحين رغم حيله، وأن كيده ضعيف لأن سلطانه على العصاة والغواة فقط .

٤- الحذر من مكائد الشيطان الرجيم وحيله وخطواته .

٥- الحذر من تكلف الإنسان ما هو فوق طاقته .

٦- كون اليسع وذي الكفل عليهما السلام كانا في زمن واحد .

٧- جواز اتخاذ إجراءات صارمة إذا اقتضت المصلحة ذلك، كما اتخذ ذا الكفل عليه السلام حارساً يمنع عنه الناس .

٨- معرفة أن الأنبياء عليهم السلام كانوا أتقى الناس وأخوفهم لله تعالى وكيف أن ذا الكفل عليه السلام كان يقوم الليل ويصوم النهار ويصبر على الناس .

٩- إن الصبر على الناس وتحمل أذاهم والحلم عنهم من أولويات أخلاق الأنبياء والرسل عليهم السلام لأن ما يستقبلهم أمر عظيم قام عليه أمر الدنيا والآخرة وصلاح الدين والدنيا ألا وهو أمر إقامة دين الله تعالى وتحقق تطبيق شرعه القويم .

١٠- قيام الليل فرض على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ليس كسائر الناس سنة وحسب .

النسب الشجري لأشعيا عليه السلام

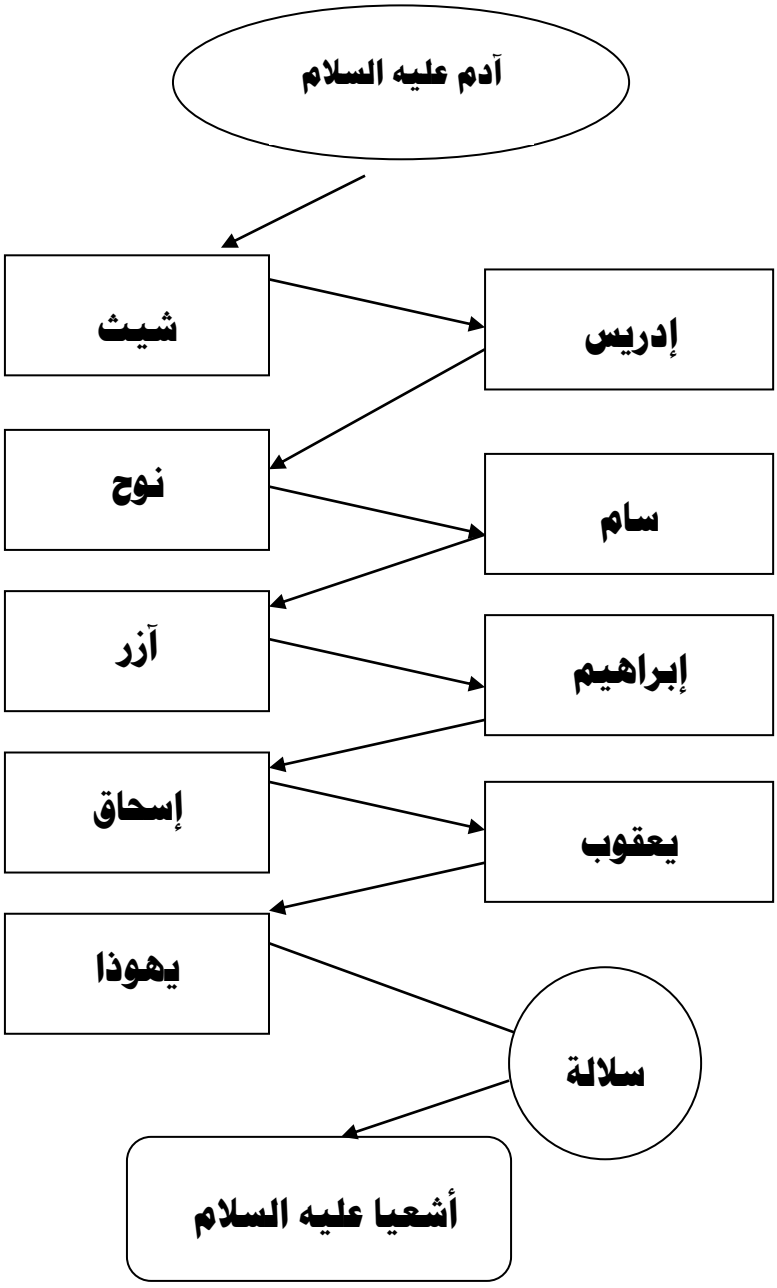

لم يرد ذكره في القرآن الكريم أو السنة المطهرة .

أشعيا عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (شعيا) أو أشعيا بن أموص أو (أمصيا) **قيل** : معنى اسمه هو (خلاص الرب) وأنه أول نبي عبراني وأنه قد عاصر ثلاثة من الملوك هم : (يونان، أحاز، حزقيا) وكان في الفترة بين داود وزكريا عليهم جميعاً السلام .

قصته :

لما كثرت الذنوب والمعاصي في بني إسرائيل والمخالفة لأنبيائهم عليهم السلام سلط الله تعالى عليهم (سنحاريب ملك بابل آنذاك) ففزع ملكهم إلى النبي أشعيا عليه السلام وقال له : ألم يوح إليك شيء ؟ فقال أشعيا عليه السلام : لا .

ثم ما لبث أشعيا عليه السلام أن قال للملك حزقيا : أوصني فإنك ميت فخاف الملك لقوله ذلك .

وأخذ بالتضرع إلى الله تعالى والدعاء والابتهال والخشوع إليه سبحانه، حتى أوحى الله تعالى إلى نبيه عليه السلام أنه قد مد في عمر الملك .

ثم سلط الله تعالى على جيش سنحاريب الموت والهلاك بصيحة مَلك فماتوا جميعاً إلا سنحاريب وخمسة معه منهم

بختنصر، فأسرهم الملك فأوحى الله تعالى إلى أشعيا عليه السلام أن قل للملك أن يطلق سراحهم فأطلقهم .

الدروس والعبر المستفادة من قصة أشعيا عليه السلام

١- الذنوب والمعاصي وكثرة الفساد سبب إهلاك الأمم وخرابها .
٢- التوبة والرجوع إلى الله تعالى سبب لرفع العذاب وحلول رضا الله عز وجل .
٣- إهلاك الله تعالى لأعداء المسلمين إذا اعتصموا به حق الاعتصام وتوكلوا عليه حق التوكل مستنصرين به .
٤- التوكل على الله تعالى خير عمل في كل الأمور لحلول البركة والنصرة والتأييد من الله عز وجل .
٥- وجوب إطلاق الأسرى إذا لم يكن في حجزهم منفعة من ذلك .
٦- دعاء المستغيث بالله سبحانه المخلص إليه وله مستجاب .
٧- الدعاء يرد القدر كما قال ﷺ : (**لا يرد القضاء إلا الدعاء**) وفي رواية : (**ولا يرد القدر إلا الدعاء**)[١].
٨- الوصية مشروعة وهي أمر مستحب حتى في شرع من قبلنا .

[١] رواه الترمذي وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم والطبراني في الكبير وغيره .

٩- أن بختنصر كان من جيش سنحاريب فأسره الملك حزقيا ثم أطلقه ولكنه تسلط بعد ذلك وحكم وملك وصار له شأن عظيم .

١٠- الملك لله عز وجل يؤتيه من يشاء متى شاء وكيفما شاء وينزعه ممن شاء متى شاء كيفما شاء .

النسب الشجري لأرميا عليه السلام

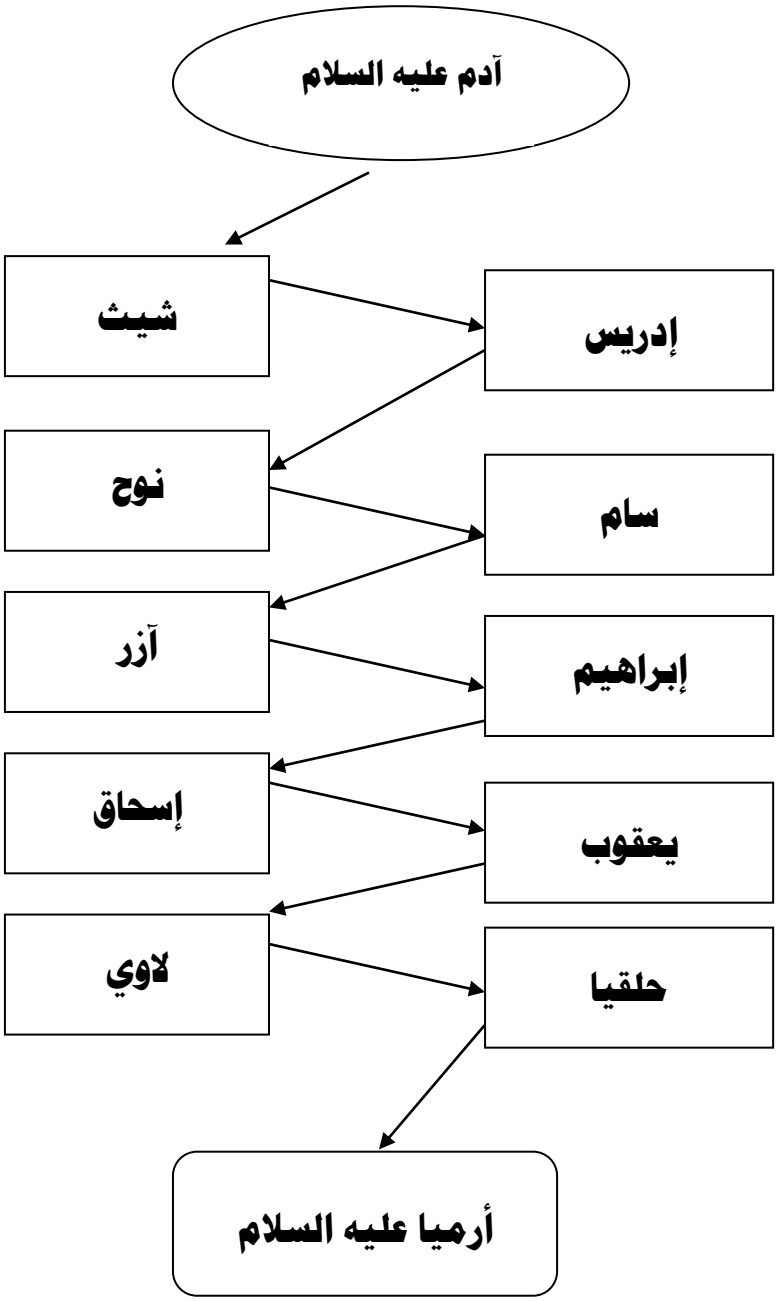

ورد ذكر قصته في سورة الإسراء آية (٣ – ٨) .

قال تعالى :

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾

[الإسراء]

أرميا عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (أرميا) بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام، **قيل** : وهو ثاني الأنبياء العبرانيين وأنه تنبأ وكان قد عاصر عدة ملوك وهم : (يوشيا، شلوم يهوياقيم، صدقيا) .

قصته :

حدث في حياة أرميا عليه السلام حدثان مهمان هما :

الأول ــ خراب بيت المقدس .

الثاني ــ عمارة بيت المقدس .

خراب بيت المقدس :

بعدما كثر العصيان من بني إسرائيل أرسل الله تعالى إليهم نبي هو أرميا عليه السلام يأمرهم بأن يقيموا التوراة وحكم الله تعالى الذي فيها فخالفوه وعصوا أمره، فقام فيهم عليه السلام خطيبا محذراً من عدوانهم ذلك وذكرهم كيف قد نجاهم الله تعالى من عدوهم السابق سنحاريب ولكنهم سخروا منه، فسلط الله تعالى عليهم بختنصر فحاصرهم وقتلهم ووطئهم وخرب ديارهم وأسر الكثير منهم ثم رحل عن بلادهم .

وكان في الأسر نبيهم أرميا عليه السلام، ولما علم بختنصر بوجوده في الأسر وعلم أنه كان ينهى ويحذر قومه من العصيان وهم يسخرون منه غير مبالين بكلامه قال : بئس القوم، ثم خيرّه في أن يقيم عنده أو أن يرحل فاختار الرحيل ورحل إلى أرضه، وبذلك الخراب تفرق شمل بني إسرائيل في الأرض .

عمارة بيت المقدس :

ثم أوحى الله تعالى إلى أرميا عليه السلام إني سأعمر بيت المقدس فأتاها ونزل بها وهي خراب فقال : سبحان الله قد أمرني الله تعالى أن آتي بلد خراب فمتى ستعمر، ووضع رأسه على حجر فنام .

حتى مات بختنصر وقد كان تحت الملك لهراسب فلما مات صار تحت ابنه بشتاسب فشكى له القوم أن أرض الشام أصبحت خاويةً ومأوىً للسباع والوحوش فصاح الملك بالقوم أن من أراد العودة إلى الشام فليعد وملّك عليهم رجل من آل داود وأمره أن يحييها وأن يعمرها ويبني مساجدها ففعل .

ولما استيقظ أرميا عليه السلام ووجدها قد عمرت قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير، وجمع شمل بني إسرائيل بتلك العودة حتى غلبهم الروم وهم (النصارى) بعد ذلك .

الدروس والعبر المستفادة من قصة أرميا عليه السلام

١- بداية خراب الأمم هو البعد عن الله تعالى وطاعته وتطبيق حكمه وشرعيته في الأرض .

٢- بيان أن العصاة وكافة أهل الفساد مصيرهم الهلاك وسبب خراب بيت المقدس هو طمس وتغيير بني إسرائيل الشرائع الربانية وعصيانهم أمر أنبيائهم عليهم السلام وتحريفهم الكتب المنزلة وعلى رأسها التوراة .

٣- إيضاح أن عمارة بيت المقدس كانت بقدرة الله تعالى رغم بُعد بني إسرائيل عن مقتضيات ذلك .

٤- نجاة أرميا عليه السلام بعد خراب بيت المقدس وشتات بني إسرائيل لتعظيم بختنصر له ولنبوته مع أنه مخالف لدينه ودعوته معرض عنها .

٥- مخالفة بني إسرائيل لنبيهم عليه السلام وتحقيرهم شأنه وهذا هو موقفهم المتكرر من كل نبي ورسول لا ينتهون عن غيهم وظلمهم وضلالهم .

٦- أرض بيت المقدس مقدسة عند عامة الرسالات ولا سيما الثلاث الأخيرة : (اليهودية والنصرانية والإسلام) فهي أرض الأنبياء عليهم السلام .

٧- وجوب القيام بالإنذار والتحذير إذا فسد الناس حتى يعـــودوا إلى الله تعالى قبل أن يشملهم البلاء ويعمهم .

٨- أن أمر الدين معظّم في سائر الأمم فكل أمة من الأمم لها تدين تعظمه وترى نفعيته في حياتهم .

٩- هوان أمر الناس على الله تعالى متى عصوه، حينهـــا يســـلط عليهم سبحانه من يذلهم ويستبيحهم، ويستبدل غيرهم .

١٠- تعاقب الأمم على ملك بيت المقدس كالمؤشر للمســـتحق منهم لذلك، ومدى قربه أو بعده من الله تعالى ومـــدى تطبيـــق شرعه القويم .

النسب الشجري لحزقيل عليه السلام

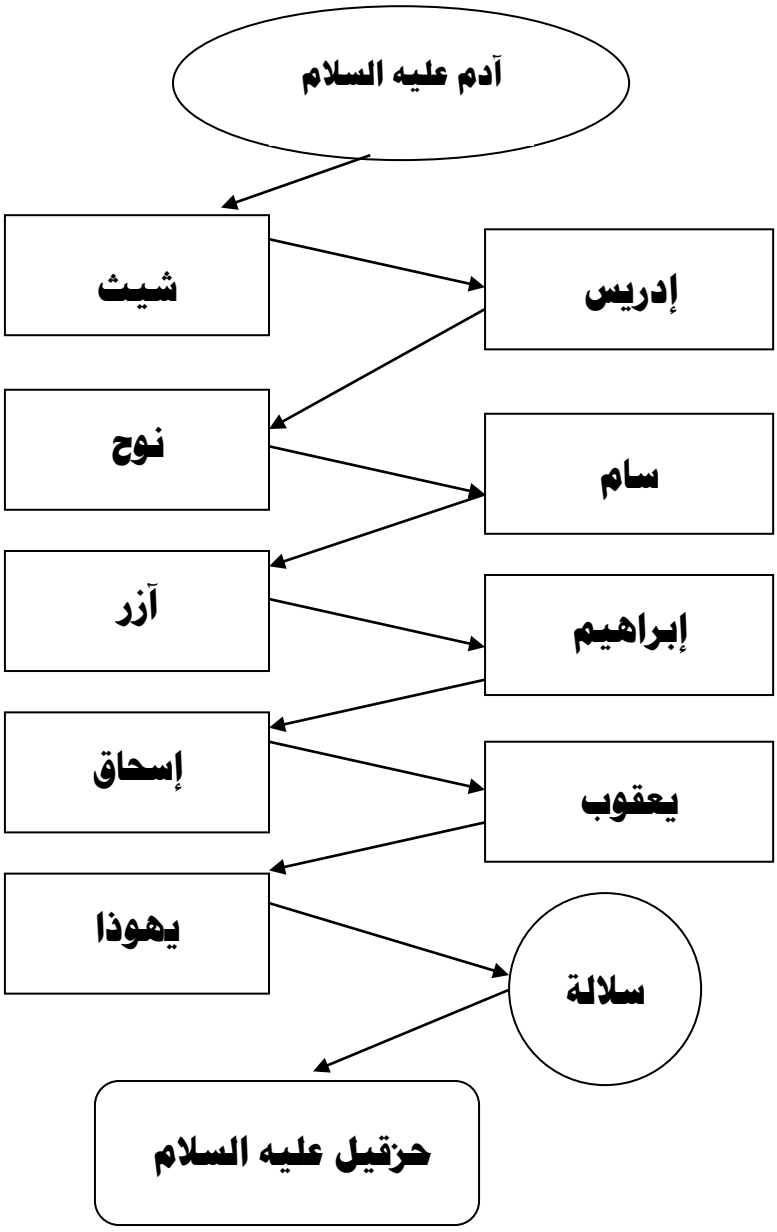

ورد ذكر قصته في سورة البقرة آية (٢٤٣) .

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾

[البقرة]

حزقيل عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (حزقيل) بن بوذي، **قيل** : إن معنى اسمه (قوة الرب) وأنه ثالث الأنبياء العبرانيين وأنه ولد بفلسطين .

قصته :

لما أصاب بني إسرائيل الطاعون فروا من تلك البلاد إلى صعيد أرض فقال الله تعالى لهم : موتوا، فماتوا جميعاً .

وبعد مرور دهور طويلة مرّ عليهم حزقيل عليه السلام ووقف فيهم متفكراً، فقيل له : أتحب أن يبعثهم الله تعالى وأنت تنظر، فقال : نعم . فأُمر أن يدعو العظام فتكسى لحماً، فناداها بأمر الله تعالى فأجابت وقام القوم وكبروا تكبيرة رجل واحد .

قيل : إن اسم القرية التي أصابها الطاعون (داوردان) بالقرب من مدينة واسط في العراق .

الدروس والعبر المستفادة من قصة حزقيل عليه السلام

١- قدرة الله تعالى على البشر وأن حياتهم ومماتهم أمر هيّن على الله تعالى كنفسٍ واحدة وفي محكم التنزيل قوله سبحانه وتعالى :

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

٢- معرفة حزقيل عليه السلام قدرة الله تعالى، وإنما كان قوله ذلك ليرى ذلك أمام عينيه فيعتبر ويزداد يقيناً وإيماناً .

٣- بيان أن قدرة الله تعالى فوق القوانين والظواهر الطبيعية، وأن هذه القوانين من صنع الله تعالى وقد وضعها قوانين للحياة الدنيا فقط، فلكل دار قوانين اقتضتها حكمة الله تعالى سبحانه وقدرته .

٤- قصة حزقيل في إحياء الموات غير قصة العزير عليهما السلام .

٥- عتو بني إسرائيل رغم مشاهدتهم للمعجزات الباهرات أمام أعينهم كقصة إحياء الموات في زمن نبيهم حزقيل عليه السلام .

٦- إن الذي خلق أول مرة من عدم هو قادر على إعادة الخلق مرة أخرى وهو عليه أهون وأسهل سبحانه وتعالى .

٧- تأييد الأنبياء عليهم السلام بالمعجزات تصديقاً لهم مما يقتضي تصديقهم واتباع ما جاؤوا به .

٨- كثرة المصائب التى لحقت ببني إسرائيل وتشرذمهم في الأرض وتمزيقهم فيها وتشتيت شملهم وتسليط الأمم عليهم كل ذلك نتيجة فجورهم ومخالفاتهم لأنبيائهم عليهم السلام وبعدهم عن منهج الله سبحانه .

---

[1] سورة لقمان .

دانيال عليه السلام

التعريف بالنبي :

هو (دانيال) من سبط يهوذا، **قيل** : إن معنى اسمه (قاضي الرب) وأنه رابع الأنبياء العبرانيين .

قصته :

لم تعرف له قصه سوى قصته مع النبي أرميا عليهما السلام وهي :

أتى بختنصر بدانيال النبي عليه السلام فأمر به فحبس وأضرى أسدين فألقاهما في جب معه وطبق عليه وعلى الأسدين ثم حبسه خمسة أيام .

ثم فتح الجب فوجد دانيال عله السلام قائماً يصلي والأسدين في ناحية الجب لم يعرضا له فقال لبختنصر أخبرني ماذا قلت فدفع عنك قال :

(قلت الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره الحمد لله الذي لا يخيب من رجاه الحمد لله الذي لا يكل من توكل عليه إلى غيره الحمد لله الذي هو يقينا حين تنقطع عنا الحيل الحمد لله الذي هو رجاؤنا يوم تسوء ظنوننا وأعمالنا الحمد لله الذي يكشف حزننا عن كربنا

الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانا الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة)[1].

وفي رواية قال : (لما تغلب بختنصر على بني إسرائيل أسر دانيال عليه السلام ووضعه في جب فيه أسدان قد أضراهما جوعاً فلم يضراه بإذن الله تعالى، ومكث ما شاء الله تعالى له حتى اشتهى الطعام والشراب، فأوحى الله تعالى إلى أرميا أن أصنع طعاماً لدانيال، فقال أرميا عليه السلام : يا رب إني بأرض المقدس وهو بأرض بابل فكيف ذلك فأوحى الله تعالى إليه أن اصنعه وسنرسل من يحملك بالطعام إليه . ثم أرسل الله تعالى ملكاً حمل أرميا عليه السلام حتى وقف به على فم الجب ونادى دانيال، فقال دانيال عليه السلام : من قال : أنا أرميا قد أرسلني الله تعالى إليك) فقام دانيال عليه السلام قال ذلك المقال .

أمة محمد ﷺ :

وقد وجد عليه السلام في فتح تستر وجده رجل يقال له حرقوص من جيش أبي موسى الأشعري في عهد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما[1].

---

[1] رواه ابن أبي الدنيا في الشكر وفي غيره، والسيوطي في جامع الأحاديث والمتقي الهندي في كنز العمال . ورواه البيهقي في شعب الإيمان مختصراً .

قال ﷺ : (**إن دانيال دعا ربه عزوجل أن تدفنه أمة محمد**) فلما افتتح أبو موسى الاشعري نستر وجده في تابوت تضرب عروقه ووريده، وقد كان رسول الله ﷺ قال : **من دل على دانيال فبشروه بالجنة**)[٢].

الدروس والعبر المستفادة من قصة دانيال عليه السلام

١- تعطيل القوانين الدنيوية أمام الإرادة الإلهية، وتسخير كل الكائنات لخدمة عباد الله تعالى الصالحين .

٢- عدم نسيان الله تعالى عباده الصالحين في الشدة، الذاكرين له في الرخاء الشاكرين على النعماء الصابرين عند البلاء .

٣- إن الله تعالى يتولى الصالحين، ومن هنا فلا خير في عمل لا يوصل إلى رضا الله لأنه سبحانه لا يقبل من العمل إلا الطيب من قول أو فعل .

٤- فضل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم .

٥- دانيال وأرميا عليهما السلام كانا في زمن واحد .

---

[١] رواه السيوطي في جامع الأحاديث وذكره أهل التأريخ والسير كابن عساكر في تاريخه والذهبي في سير أعلام النبلاء .

[٢] قصص الأنبياء والبداية والنهاية لابن كثير .

٦- بيان أن دانيال عليه السلام عثر عليه جيش أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه في فتح تُستُر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ودفن في عهده .

٧- دعاء دانيال عليه السلام الدال على غاية الضراعة والخشية والشكر لله جل ربنا في علاه .

٨- الأنبياء عليهم السلام هم بشر يأكلون ويشربون كغيرهم من الناس ويحتاجون لذلك ليعيشوا .

٩- نلاحظ مدى تجني بني إسرائيل على أنبيائهم عليهم السلام بالقتل والسجن والتشريد هذا فضلاً عن عدم اتباعهم دين الله تعالى وإقامة شرعه سبحانه وهذا أمر متكرر فيهم لا يرعوون عن ذلك أبداً .

١٠- الحيوانات خلق من خلق الله تعالى تعرف فضل ذوي الفضل فلا تعتدي عليهم ولا تؤذيهم بأمر الله جل جلاله .

النسب الشجري للعزير عليه السلام

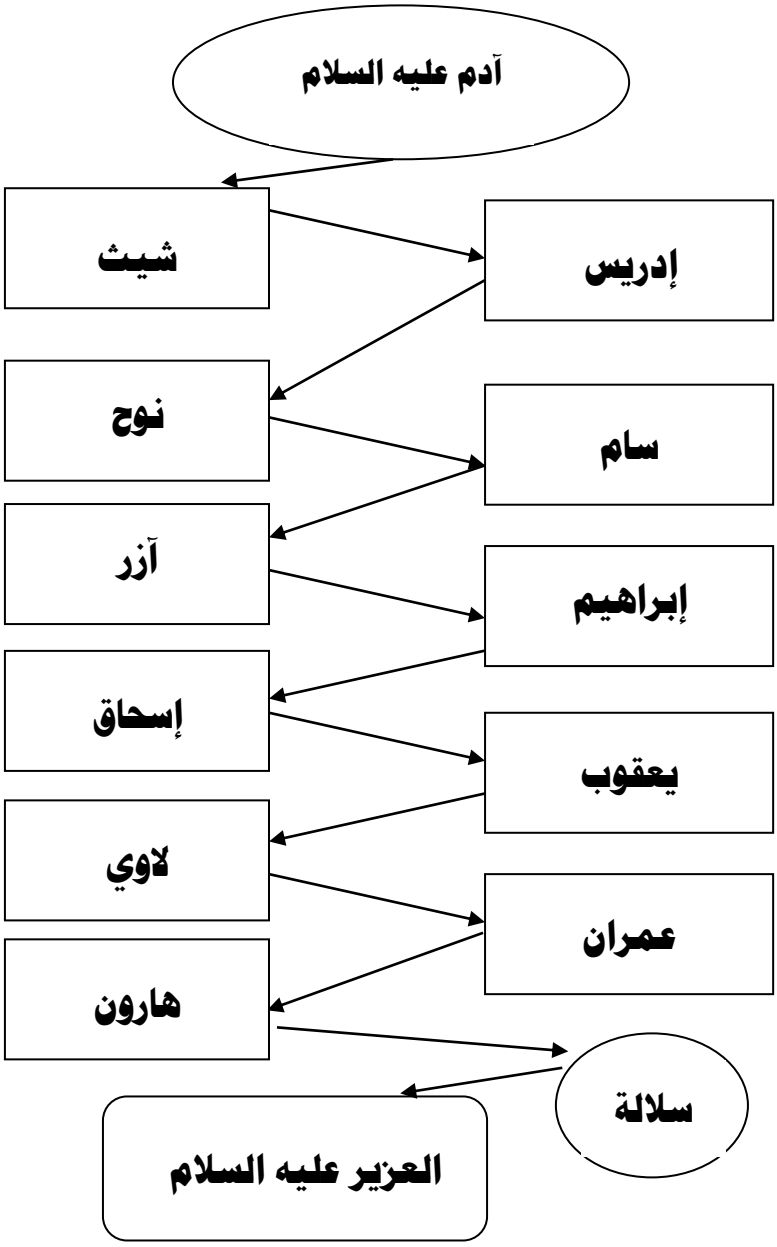

ورد ذكر قصته في سورة البقرة آيه (٢٥٩) .

وقد ورد اسمه صريحاً في سورة التوبة آيه (٣٠) .

قال تعالى :

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾

[البقرة]

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾ ﴾

[التوبة]

العزير عليه السلام

التعريف بالنبي :

المشهور أنه نبي و**قيل** : بل هو رجل صالح، وقد كان في الفترة بين داوود وزكريا عليهما السلام .

قصته :

كان العزير ذات يوم في ضيعة له يتعهدها، ثم إنه انصرف إلى خربة وأخرج من سلته طعاماً وأخذ يأكله وهو ينظر إلى الخربة وإلى الديار وسقوفها وهي مهدمة فقال (**متعجباً لا شاكاً**) :

﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ ﴿٢٥٩﴾ ﴾[1] .

فأماته الله تعالى (١٠٠) سنة ثم بعثه وبعث إليه ملكاً فخلق قلبه وعقله وعينه ليريه كيف يحي الموات ؟ فركب الله تعالى خلقه ثم كسا لحمه وجلده وشعره ثم نفخ فيه روحه وهو ينظر حتى استوى قاعداً، ثم قال له كم لبثت ؟ فقال : يوماً أو بعضه فقال له المَلَك : بل لبثت (١٠٠) عام فانظر إلى الطعام والشراب كما هو وانظر إلى حمارك كيف قد بليت عظامه فصارت نخره فنادى الملك عظام الحمار فأجابت وأقبلت من كل ناحية حتى ركبه ثم

[1] سورة البقرة .

كساه ثم نفخ فيه الروح فقام الحمار ينهق يحسب أن القيامة قد قامت .

وبعد ذلك عاد العزير إلى مجلسه فأنكره الناس حتى أتى داره فوجد أمته قد صارت عجوزاً عمياء فسألها عن العزير، فقالت له قد نسيه الناس فقال لها : أنا العزير، فقالت له : إذا كنت أنت العزير فادعو الله تعالى لي فدعا لها فقامت نشيطة مبصرة مسرعة ...

وانطلقت بالعزير إلى مجالس القوم وفيها أبناؤه وأحفاده قد صاروا شيوخاً فقالت لهم : هذا العزير وأنا فلانة قد دعا الله تعالى لي وزعم أن الله قد أماته مائة عام ثم بعثه، فنهض القوم ينظرون إليه .

فقال أحد أبنائه : إن أبي كانت له شامة سوداء في كتفه فكشف عنها فرآها القوم، ثم قالوا له : إنك كنت قد حفظت التوراة فاكتبها لنا، فدلهم على موضع قد دفن فيه التوراة فذهبوا يستخرجونها منه فوجدوا الورق قد إندرس وبلي تحت التراب .

قيل : فنزل من السماء شهابان فدخلا في جوفه فتذكر التوراة وكتبها لهم، وهنا قالت اليهود عزير ابن الله :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾ ﴾[1]

[1] سورة التوبة .

الدروس والعبر المستفادة من قصة العزير عليه السلام

١- قدرة الله تعالى على الكون بما فيه وضرب المثل للناس في كل وقت وحين .

٢- وقوع المعجزات لتحقيق قدرة الله تعالى أمام الناس للعبرة والموعظة .

٣- حفظ الله تعالى لكتابه التوراة في ذلك الوقت رغم خروج بني إسرائيل عن طاعة أنبيائهم عليهم السلام وطاعة ربهم عز وجل .

٤- كل الدواب توحد الله تعالى وتعبده وتنتظر قيام الساعة .

٥- قول اليهود بأن العزير هو ابن الله لما كتب لهم التوراة بعد عودته إليهم .

٦- المعجزات في حقيقتها عبرة لكل الأمم وليست لأمة واحدة فقط وهي باقية إلى قيام الساعة .

٧- قدرة الله تعالى على إحياء الموات، وضربه سبحانه المثل للناس للتفكر والتدبر في ذلك ليزدادوا إيماناً ويقيناً .

٨- طول أعمار السابقين من الأمم السابقة .

٩- أن الله عز وجل حفظ التوراة أيام أنبيائهم فلما انقطع التنبؤ فيهم أضاع بنو إسرائيل التوراة وبدلوها وحرفوها واشتروا بها ثمناً قليلاً .

١٠- حب الإنسان للمعرفة والإطلاع دوماً حتى الأنبياء عليهم السلام يحبون ذلك، كما أحب العزير عليه السلام رؤية إحياء الموات بعينيه ليزداد يقيناً .

١١- **قيل** : إن العزير عليه السلام لما قبضه الله تعالى كان عمره أربعين سنة وأفاق على ذلك العمر وهو في الأربعين من عمره لا يزال شاباً في حين كان عمر ابنه حينها مائة وثماني عشرة سنة فسبحان الله العظيم . و**قيل** غير ذلك والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم .

١٢- كفر بني إسرائيل بقولهم العزير ابن الله مع أن بين أيديهم كتاب الله تعالى يرشدهم ويعلمهم وفي ذلك غاية فجورهم ومخالفتهم لأمر الله جل شأنه .

الباب الخامس : الأمم السابقة .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ﴿١٧﴾ ﴾[الإسراء]

- إرم ذات العماد
- أصحاب الرس
- ذو القرنين
- قوم يس
- أصحاب الكهف
- أصحاب الأخدود
- قوم تبع

إرم ذات العماد

قال تعالى :

﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ ﴾[1]

تعريف :

يقال : إن عاداً قبيلتان هما عاد الأولى ويقصد بها (إرم ذات العماد) وعاد الثانية ويقصد بها (قبيلة عاد قوم هود عليه السلام) وكان عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام . **وقيل** : أيضاً أن عاداً الأولى هي عاد ثمود، وأن عاداً الثانية كانت بعد زمن الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

القصة :

ويروى : أنه كان لعاد ولدان هما : (شديد وهو الأكبر، وشداد وهو الأصغر) وبعد موت عاد تولى ولده الأكبر شديد الملك وحكم قهراً حتى مات واستقر الحكم والملك لأخيه شداد .

وكان شداد قد سمع عن الجنه فأولع بها وشغف وأراد أن يبني مثلها فبنى إرم ذات العماد، والمقصود بالعماد كثرة العمدان

---

[1] سورة الفجر .

المحكمة البناء التي كانت فوقها القصور، و**قيل** : بل المقصود بالعماد طول رجال قوم عاد، حتى **قيل** : إن طول أحدهم كان (١٢) ذراعاً طولاً .

قيل : واستغلاق بناء إرم (٣٠٠) سنة وكان عمر شداد (٩٠٠) سنة ولما بناها وسار عنها مسيرة يوم وليله بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء أهلكتهم جميعاً . وقد **قيل** : في بناء إرم بعض من التفصيل وورد كلام كثير فيها ولكنه غير ثابت، والله تعالى أعلى وأعلم .

الدروس والعبر المستفادة من قصة إرم

١- معرفة أن عاد الأولى ليست هي عاد هود عليه السلام .

٢- غضب الله تعالى على الساخرين بالشرائع الربانية السماوية .

٣- عتو إرم ذات العماد وتعديهم على أمر الله تعالى .

٤- قوة إرم وشدتهم حتى ضرب المثل بقصورها المشيدة التي لم يسبق لها مثيل في الجزيرة وفي ذلك قال سبجانه وتعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ ﴾[1] .

[1] سورة الفجر .

٥- الجنة هي جزاء الصالحين المخلصين من عباد الله سبحانه من آدم عليه السلام إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وهي ليست مخصوصة بقوم معينين دون غيرهم، وهي دار نعيم كل من سمع بها تمنى دخولها فهل كل من أحب دخولها عمل العمل الصالح الذي يوصله إليها بحق . .

٦- إن الملك والسلطان والمنصب غالباً ما يحمل الإنسان على البطش والتجبر والتكبر، والقليل منهم من أهل الحكم والمناصب من يخشى الله تعالى فيه ويقوم بحقه تجاه شعبه وأتباعه .

٧- **قيل** في إرم وقصورها المشيدة الشيء الكثير وهي مدائن مطمورة تحت جبال من الرمال في الربع الخالي من أرض جزيرة العرب .

٨- طول أعمار السابقين .

أصحاب الرس

قال تعالى :

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾[1]

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾[2]

تعريف :

قيل : إن أصحاب الرس إنما هم قرية من قرى ثمود كذبوا نبيهم وقتلوه فصار من بينهم عاد بن عوص وولده من الرس ونزل الأحقاف، بينما انتشر أصحاب الرس في اليمن وأراضيه بعدما أهلكهم الله تعالى . **قيل** : وكان نبيهم هو (حنظلة بن صفوان) والرس تعني (الأرض المنخفضة أو البئر) . **قيل** : وكانوا قبل قوم عاد بدهور طويلة .

القصة :

كان لأصحاب الرس بئرٌ ترويهم وكان لهم ملك عادل يحكم فيهم فأحبوه لعدله، فلما مات ذلك الملك حزنوا عليه حزناً كبيراً،

---

[1] سورة الفرقان .

[2] سورة ق .

وبعد عدة أيام تصور لهم الشيطان في صورة ذلك الملك وقال لهم إني لم أمت ولكني تغيبت عنكم لأرى ما تصنعون من بعدي ففرحوا فرحاً شديداً .

وبعد ذلك أمر الشيطان لعنه الله والذي كان على صورة ذلك الملك أن يضرب بينه وبينهم حجاب فلا يراه أحد وأخبرهم أنه لا يموت فصدق القوم ذلك وفتنوا به وعبدوه .

وبعث الله تعالى نبياً فيهم فأخبرهم أن هذا الذي تسمعونه إنما هو شيطان مصور يتكلم من وراء حجاب ونهاهم عن عبادته وأمرهم بعبادة الله تعالى وحده، وأخبرهم أن فلاناً ملكهم العادل قد مات منذ زمن .

قيل : وكان هذا النبي يوحى إليه في المنام، وفي يوم عدو عليه فقتلوه وألقوه في البئر فغار ماء البئر حتى هلكوا جميعاً مع بهائمهم ويبست أراضيهم وخربت ديارهم وحلّت الوحشة بها .

قيل : وبعد هلاك عاد نزل جبرون بن سعد بن عاد بن عوص دمشق وبناها وسماها باسمه جبرون فبعث الله تعالى إليهم (هود عليه السلام) .

الدروس والعبر المستفادة من قصة الرس

١- استغلال الشيطان الفرص السانحة لإضلال العباد .

٢- كفر القوم بنبيهم ورفض دعوته ودين الله تعالى ونهايتهم الشنيعة .

٣- غضب الله تعالى وسخطه لأوليائه الصالحين دفاعاً عنهم .

٤- رؤيا الأنبياء عليهم السلام في المنام حق وهو نوع من أنواع الوحي .

٥- أن الشيطان كان يتصور على هيئة البشر وكان يظهر عياناً .

٦- الحذر من الافتتان بموت أحد من الناس والثقة بالله تعالى وبمثوبته .

٧- معرفة أن من مات لن يعود أبداً حتى يبعث يوم البعث والنشور .

٨- معرفة أنه ربما كان هناك أنبياء من العرب في الجزيرة أو في غيرها .

٩- الحذر من الغلو في حب الصالحين الزائد والافتتان بذلك .

ذو القرنين

قال تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ ﴾[1]

تعريف :

(ذو القرنين) المشهور أنه رجل صالح وملك عادل و**قيل** : إنه نبي، وقد اختلف في حقيقته تلك والله تعالى أعلى وأعلم، **فقيل** : عنه أنه هو الإسكندر المقدوني وهذا القول غير صحيح .

---

[1] سورة الكهف .

وقيل : سمي بذلك لأنه بلغ قرني الشمس (المشرق، والمغرب) **وقيل** : بل لأنه كان له قرنان صغيران، **وقيل** : فيه أنه رومي **وقيل** عربي .

القصة :

كان ذو القرنين ملكاً عادلاً وقد بلغ ملكه أقطار الأرض فسلك كل الطرق ونزل كل المنازل فهو قول الله تعالى : ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ وكان فاتحاً لكل البلاد سائراً في الأرض .

ومن ذلك، أنه سار نحو الغرب حتى وصل إلى أرض موحلة طينية سوداء، وكانت عند عين ترى وكأن الشمس تغرب فيها، ورأى عندها أناساً كفارا بالله تعالى، فألهمه الله تعالى أن يخيرهم القتل أو التوبة والإنابة إلى الله تعالى، فأختار أن يمهلهم فرصة التوبة والرجوع إلى الله تعالى علّهم أن يهتدوا وأخذ ينصر المظلوم منهم ويقوم الظالم فيهم بإقامة الحق بينهم .

ثم إنه سار نحو المشرق حيث العمران فرأى هناك أقوام ليس لهم ظل يستظلون به ولا مأوى وأبنيتهم لا تستقر على الأرض فهي كالسراب فأصلح لهم أرضهم ثم حكم بلادهم بالعدل .

ثم سار نحو الشمال وهو مكان بين جبلين (سدين) فوجد أناساً لا تفهم لغاتهم وهم أمة (يأجوج ومأجوج) وصفتهم أنهم

عِراض الوجوه صغار العيون . **قيل** : لا يموت أحدهم حتى يلد من صلبه (١٠٠٠) ذكر وهم من المغول الترك . ولما علم جيرانهم بقدوم ذي القرنين ووصوله إلى بلادهم اقترحوا عليه أن يجعل بينهم وبين هؤلاء الناس الأشرار سداً فطلب منهم المعونة على طلبهم ذلك، فأجابوه لما أراد فصنع لهم السد .

بناء السد :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾[1]

لما انتهى الصنّاع البنائون المهرة من بناء السد وضع ذو القرنين الحديد حول الجدار وأحاطه بالفحم ثم أوقده حتى ساح الحديد ثم أفرغ عليه القطر (النحاس المذاب) حتى استوى ذلك السد بين الجبلين فعجز يأجوج ومأجوج عن نقبه واختراقه

[1] سورة الكهف .

واستراح القوم من شرهم، ولخرق هذا السد قصة في آخر الزمان كما في الحديث .

قصة خرق السد :

قال ﷺ : **(إن يأجوج ومأجوج ليحفرن السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله عز وجل أن يبعثهم إلى الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله ويستثنى فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم فيقتلهم بها فقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن شكرا من لحومهم ودمائهم)**[1].

[1] رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد والحاكم وابن حبان .

قيل : فيخرجون إلى الناس كالوحوش الضارية فيأكلون كل ما يلقونه ويشربون كل مياه الأرض . **قيل** : فيرمون بسهام إلى السماء فترجع وقد خضبت دماً فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء .

ثم يفر عيسى عليه السلام بالمؤمنين إلى جبل الطور ويسلط الله تعالى على هاتين الأمتين (النغف) دود يدخل في مناخرهم فيموتون منه كما في الحديث، ثم يسلط الله تعالى عليهم طيراً تحمل أجسادهم إلى حيث شاء ثم تمطر السماء مطراً يغسل الأرض حتى تصير كالمرآة، والله تعالى أعلى وأعلم .

الدروس والعبر المستفادة من قصة ذي القرنين

١- تملّك ذي القرنين الأرض من مشرقها إلى مغربها، وقد **قيل** : إنه ملك الأرض (٤) من البشر مؤمنان وكافران، فالمؤمنان هما : (سليمان عليه السلام، وذو القرنين) أما الكافران فهما : (نمرود إبراهيم عليه السلام، وبختنصر) .

٢- عدل ذي القرنين في حكمه وإرادته للخير، فعلى الرغم من أنه ملك الأرض إلا أن الملك لم يفتنه .

٣- إقامة ذي القرنين السد على تلك الأمة الفاسقة بأمر الله سبحانه وتعالى .

٤- الفساد آتٍ من نسل يأجوج ومأجوج، وأن شعوبهم منغمسة في الشهوات والشبهات، وأن خروجهم آخر الزمان هو من علامات الساعة الكبرى وأشراطها .

٥- نقب السد في الوقت المحدد له رغم الحفر اليومي له كما بين الحديث .

٦- وجود هذا السد، **قيل** : إنه قد شوهد في شرق الأرض .

٧- فرار عيسى عليه السلام بالمسلمين آخر الزمان إلى جبل الطور يتحصنون به من هاتين الأمتين .

٨- وجوب إرجاع المشيئة إلى الله تعالى بقول : (**إن شاء الله تعالى**) عند إرادة أي عمل، تحقيقاً وتعليقاً .

٩- قول رسولنا الكريم ﷺ : (**ابشروا فإن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه**)[1]. وقال أيضاً ﷺ : (**فإن منكم واحد ومن يأجوج ومأجوج ألفاً**)[2]. وقد قصد ﷺ بذلك أهل النار .

١٠- الملك العادل يحمل همّ الرعية ويسخر ملكه لخدمتهم، والملك الظالم يسخر الرعية لخدمة ملكه .

١١- ذو القرنين ليس هو الاسكندر الأكبر المقدوني كما قيل .

---

[1] متفق عليه .

[2] متفق عليه .

قوم يس

قال تعالى :

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]

تعريف :

وأهل القرية هم أهل قرية أنطاكية، بعث الله تعالى فيهم رسولين هما (صادق ومصدوق) فكذبوهما فبعث الله تعالى إليهم رسولاً ثالثاً مصدقاً لهما هو (شلوم) . **وقيل** : بل هم (شمعون ويوحنا وبولس) .

---

[1] سورة يس .

القصة :

بعث الله تعالى إلى أهل أنطاكية رسولين يدعوان أهلهـــا إلى توحيد الله تعالى وعبادته وحده، ولما اقتربا من القرية رأيا شـــيخاً كبيراً فقال لهما : من أنتما ؟ فقالا : رسل الله تعالى إلى أهل هذه المدينة ندعو أهلها ليعبدوا الله تعالى وحده ويتركوا عبادة الأوثان، فقال لهما : هل معكما من آية بينة على أنكما رسولان من عنـــد الله تعالى ؟ فقالا له : نعم إنّا لنبرئ الأكمه ونشفي المرضى بـــإذن الله تعالى، فقال لهما الشيخ : إن لي ابناً مريضاً منذ سنين عديـــدة فاشفياه لي بإذن الله تعالى، فذهبا معه ودعيا الله تعالى له أن يشفي له ولده حتى شفي بإذن الله تعالى واسم هذا الرجل هو (حبيـــب النجار) . وكان لأهل هذه المدينة ملكٌ يعبد الأصـــنام فـــذهب الرسولان إليه وقالا له : إنا ندعوك وقومك إلى الله تعالى وعبادته وحده، فغضب عليهما الملك وجلدهما ثم حبسهما عنده .

بعد ذلك :

أرسل الله تعالى إليهم رسولاً ثالثاً (مصدقاً ومؤيداً ونصيراً) ودخل المدينة ولا يعرفه أحد من الناس واخـــتلط بالملـــك حـــتى حسنت عشرته به وصار من جلسائه، وبعد فترة من الزمن قـــال للملك : ما شـــأن هذين الرجلين ؟ (يقصد الرسولين السابقين)

فأحضرهما الملك أمام الرسول الثالث (والملك لا يعلم أنه رسول مثلهما) ولما تلاقى الرسل الثلاثة أمام الملك دار بينهم حوار، فقال ثالثهما للرسولين السابقين : صفا لي ربكما فأخذا في وصفه عز وجل، ثم قال لهما : هل يستطيع ربكما أن يحي الموتى ؟ قالا له : نعم، فلما سمع الملك ذلك قال لهما : إنه يوجد هنا ميت منذ (٧) أيام وأبوه غائب عنه و لم يدفن بعد، فادعو ربكما أن يحييه، فدعا الرسولان الله تعالى أن يحيي ذلك الميت فأحياه الله تعالى وقام أمامهم وأنذر القوم من عذاب النار وعبادة غير الله تعالى، وقال إني رأيت هؤلاء الثلاثة (يقصد الرسل الثلاثة) يشفع لهم رجل شاب، فقال الملك على الفور ومن هؤلاء الثلاثة، فقال الرسول الثالث : هذان اثنان وأنا ثالثهما وأخذوا يدعون الملك للإسلام، ولكنه ورغم ذلك كفر بالله تعالى واستكبر وأجمع على قتلهم جميعاً .

ولما علم حبيب النجار بعزم الملك على قتل الرسل جاء يسعى من أقصى المدينة وحضر عند الملك وأظهر إسلامه أمام الملأ ونهاهم عن قتل الرسل الثلاثة، فقال القوم : إنك كنت قد طلبت منهم أجراً على ذلك، فقال لهم : لا، وأقبلوا عليه جميعهم يضربونه حتى مات وهو يقول :

﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ ﴾[1]

وغضب الله تعالى لموت الرسل الثلاثة وحبيب النجار فأرسل على القوم جبريل عليه السلام فصاح فيهم صيحة مات منها جميعهم . **قيل** : إن هؤلاء الرسل هم رسل المسيح عيسى عليه السلام إلى أهل أنطاكية، وهو ضعيف، والله تعالى أعلى وأعلم .

الدروس والعبر المستفادة من قصة يس

١- بيان أن الله تعالى يشفي من يشاء ويضر من يشاء، بحكمه وحكمته ورحمته وعدله سبحانه .

٢- جواز إرسال أكثر من رسول إذا لم يتم الأمر وتتحقق المصلحة .

٣- بيان أن الداعية المخلص من أراد تحقق المصلحة حتى وإن كان بموته .

٤- حلول سخط الله جل في علاه على أعدائه لنصرة عباده المؤمنين بعد إقامة الحجة .

٥- وجوب الدعوة بالطرق التي تتناسب مع طبقات الناس .

٦- بيان أنه يمكن إرسال أكثر من رسول في آنٍ واحد إلى نفس القوم .

---

[1] سورة يس .

٧- وجوب الصبر على أعباء الدعوة في سبيل الله تعالى .

٨- رأفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والدعاة والصالحين بأقوامهم حتى يعذروا في أقوامهم كأن يظهر لهم أن أقوامهم لا يزدادون مع الوقت إلا كفراً وتمادياً في الباطل .

٩- قال ﷺ : (**الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال : يا قوم اتبعوا المرسلين وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وعلي بن أبي طالب الثالث وهو أفضلهم**)[1] .

١٠- إن مسألة إحياء الموات كثيرة الحصول في السابقين ومع ذلك بدلاً من أن يتفكروا ويتعظوا ويتوبوا إلى الله تعالى ويؤبوا إليه سبحانه يعترضوا ويكفروا به عز جل ويتمادوا في المعاصي .

١١- جواز طلب الدعاء من الصالحين بالشفاء للمرضى، وفي كل من يتوسم فيه الخير والصلاح .

١٢- معرفة أن المسيح عيسى عليه السلام كان له اتباع، عرفوا من بعده برسل المسيح يقومون بالتبشير بدينه .

١٣- قدرة شفاء المرضى وإبراء الأكمه معجزة قد أوتيها غير المسيح عيسى عليه السلام .

---

[1] رواه أحمد في فضائل الصحابة والمتقي الهندي في كنز العمال وابن عساكر في تاريخه .

أصحاب الكهف

قال تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾[1]

تعريف :

هم أصحاب قرية أكسوس، والرقيم هو اسم الوادي أو الجبل **وقيل** : بل هو اسم الكتاب الذي فيه أسماء الفتية . **وقيل** : غير ذلك .

القصة :

كانت قرية أكسوس تعبد الأصنام وكان ملكها يعبد الأوثان والأصنام إلا فتية منهم كانوا على التوحيد فروا بدينهم من تلك

[1] سورة الكهف .

القرية ودخلوا كهفاً في جبل مع شروق الشمس وأخـــذوا فيـــه بالابتهال إلى الله تعالى والعبادة إلى أن أخذهم النوم فيه، فضـــرب الله عز وجل عليهم نوماً لمدة (٣٠٩) سنين يتقلبون في الكهـــف هم وكلبهم .

وقد كتب الفتية أسماءهم في صحيفة ووضعوها في تـــابوت معهم، في حين بحث عنهم قومهم فلم يجدوا لهم أثراً .

وبعد (٣٠٩) سنين أفاق الفتية عند غروب الشمس وهـــم يحسبون أنهم قد رقدوا يوماً أو بعضه، وأجمعوا على أن يـــذهب أحدهم ليشتري لهم طعاماً على وجه الخفية ودون أن يشعر بهـــم أحد .

ولما ذهب أحد الفتية إلى القرية ليشتري طعاماً، وذهـــب إلى بائع الطعام وأعطاه النقود، ورآها البائع قديمة ظن أن الفـــتى قـــد وجد كنزاً مدفوناً وأخذ يتشاور مع الحاضرين عن شأن النقـــود وكيفية حصول الفتى عليها، بينما ظن الفتى أنهم قد كشفوا أمره هو ورفاقه وأنهم يتشاورون في القبض عليه، فقال أحد الحاضرين للفتى : من أنت وكيف حصلت على هذه النقود ؟ فخاف الفتى وقال : هو مالي ومال آبائي وأجدادي، فكذبه القوم، فقال الفتى : أبي هو فلان بن فلان وأعرف فلان وفلان وهو يظن أن هـــؤلاء القوم ما يزالون أحياء ولكن الحاضرين لم يعرفوا أحداً ممن قـــال،

ثم تجمع الناس حوله والتفوا وشاع الخبر في القرية وتوقع الفتى حضور أحد من أقاربه، ثم إن بعض الحاضرين ذهب بالفتى إلى رجلين صالحين لينظرا في أمره .

ولما حضر الفتى إلى الرجلين أخذ أحدهما يسأله وقال له : إن هذه النقود قد مر عليها زمنٌ بعيد فكيف تقول إنها مالك ومال أبيك، فقال الفتى متسائلاً : ماذا حل بالملك الظالم فلان، فقال له القوم لا نعرف ملكاً بهذا الاسم إلا ملكاً قديماً قد أهلكه الله تعالى منذ زمن بعيد .

وهنا أخذ الفتى يقص على القوم قصتهم، فسألوه عن مكان الكهف فدلهم عليه وذهب بهم إليه ووجدوا بقية الفتية وكلبهم معهم ووجدوا تابوتاً فيه أسماؤهم وكل قصتهم (كيفية إسلامهم وهروبهم من القرية) فلما علم الملك الخبر أمر بإحضارهم عنده، فلما امتثلوا بين يديه وحضروا عنده حمد الله تعالى على هذه المعجزة والحكمة البالغة .

وبعد ذلك عاد الفتية إلى مضاجعهم فقبض الله تعالى أرواحهم وماتوا فجعل الملك كلاً منهم في تابوت من ذهب ولكنه رأى في منامه أن أحد الفتية يقول له : إنما نحن بشر خلقنا من تراب ولسنا حديداً ولا ذهباً فاتركنا للأرض، فلما استيقظ الملك من نومه أمر بدفنهم وبنى عليهم مسجداً، وصار ذلك اليوم عيداً

لهم في كل سنة . **قيل** : إن اسم الملك الظالم هو (دقيانوس) وأن اسم الملك الصالح هو (بيدروس) وأن الرجلين الصالحين هما : (أريوس وطنطيوس) .

وقد اختلف في عدد الفتية وكذا اختلف في أسمائهم وكيفية تقابلهم وإسلامهم، فالله تعالى أعلى وأعلم .

الدروس والعبر المستفادة من قصة أصحاب الكهف

١- إرادة الله تعالى لهذه الحوادث لحكم جليلة باقية عبر الدهور .

٢- إعجاز هذا الحدث للناس قديماً وحديثاً إلى قيام الساعة .

٣- إخلاص أولئك الفتية وصدقهم مع الله تعالى، وبيان فرج الله سبحانه عليهم وعلى عباده المخلصين له .

٤- وجوب الهجرة والخروج من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام .

٥- هلاك الظالمين وزوال الظلم من أساس العدل ونظامه، بعد إمهالهم وأخذ البينة عليهم .

٦- الموعظة وتحقق العبرة من قصة أولئك الفتية، لأهل تلك القرية بعد استيقاظهم، ومن ثم للناس أجمعين عبر السنين والدهور .

٧- الإنسان خلق من تراب فالميت إكرامه دفنه في التراب .

٨- أن عدد أولئك الفتية غير معروف، ولكنه عدد فردي، ومعهم كلبهم .

٩- معرفة أن كثيراً من الأمم كانوا يتخذون على قبور الأنبياء عليهم السلام والصالحين مساجد فيعبدونهم من دون الله تعالى، وأن كثيراً من بني إسرائيل كانوا يفعلون ذلك .

١٠- معرفة أن كثيراً من الأمم السابقة تتخذ لها أعياداً من لدنها مما لم يشرّعه الله تعالى، وإلى يومنا هذا ما زال الكثير منهم على ذلك فيجعلون لهم أعياداً كيفما يرون ويريدون بحسب المناسبات والأحداث عندهم .

١١- قال ﷺ : (**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**)[١]. وقال ﷺ : (**من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه أو لم يكن له عليه سبيل "ومن قرأ سورة الكهف كان له نوراً من حيث قرأها ما بينه وبين مكة"**)[٢].

١٢- عاش الفتية في الكهف (٣٠٠) سنة شمسية وهي ما يساوي (٣٠٩) سنة قمرية وهذا معنى قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ ﴾[٣]. فسبحان الله العلي العظيم .

---

[١] رواه مسلم .

[٢] رواه النسائي في الكبرى والحاكم والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب .

[٣] سورة الكهف .

أصحاب الأخدود

قال تعالى :

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾[1]

تعريف :

هم أهل نجران من أرض اليمن، والأخدود الشق المستطيل، وقد كانوا قوماً على النصرانية، ففتنوا وصبروا .

القصة :

قال ﷺ : (**كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر فبعث إليه غلاماً يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب**

[1] سورة البروج .

وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكى ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجرا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب : أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الاكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتنى فقال : إني لا أشفى أحداً إنما يشفى الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك : من رد عليك بصرك قال : ربي قال : ولك رب غيري قال : ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك : أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال : إني لا أشفى أحداً إنما يشفى الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له : ارجع عن

دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك قال : كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك قال : كفانيهم الله فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال : وما هو قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل : باسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال : باسم الله رب الغلام ثم

رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس : آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها أو قيل له : اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيه فقال لها الغلام : يا أمه اصبري فإنك على الحق)[1]. فمن ذلك لقبوا بأصحاب الأخدود .

قيل : إن الملك الظالم كان يُدعى (ذو نواس) وأن الغلام كان يُدعى (عبد الله بن التامر) والله تعالى أعلى وأعلم .

الدروس والعبر المستفادة من قصه أصحاب الأخدود

١- تأثير الإيمان على النفوس، ومعرفة الحق من الباطل بـــالفطرة الصحيحة .

٢- مصداقية الراهب والغلام والقوم المسلمين لله تعالى .

٣- بطلان عمل السحر رغم وقوعه وإن عُمِـــل إلا إذا أراد الله جل في علاه .

---

[1] رواه مسلم . والقرقور القارب الصغير، والمنشار أي المنشار .

٤- تسخير كافة مجريات الأمور لعباد الله المخلصين تصديقاً لهم وتأييداً .

٥- حكمة بالغة في قتل الغلام بتلك الطريقة لوقوع الحق أمام الناس بتلك الكيفية ومن ثم إيمان القوم أجمعين .

٦- خسران الملك ووباله وخذلانه رغم كل احتياطاته ومحاولاته لمنع إيمان الناس بالله عز وجل رب الغلام ورب الناس أجمعين .

٧- صبر الراهب على التعذيب في سبيل الله تعالى دليل على قوة إيمانه ورسوخ قدمه .

٨- صدق النية يوصل صاحبها إلى كل ما يريد والعاقبة الحسنة هي الفوز بالجنة .

٩- كل شيء له حكمة، ووقت تتجلى فيه وتظهر عند وقوعه، وعند حدوث الشيء في وقته تقع المنفعة المرجوة منه بالفعل .

١٠- عالم الغيب غير عالم الشهادة، ومجريات الأمور الباطنة غير مجريات الأمور الظاهرة، وكل ذلك بيد الله تعالى ومشيئته كائن بما أراد وكيفما أراد سواء بالمجريات الظاهرة أم الباطنة .

١١- تكلم الطفل الرضيع ليثبت الله تعالى أمه على الحق فتموت شهيدة .

١٢- معظم الملوك السابقين كان لهم سحرة، وفي ذلك دليل على أن السحر كان يحتل من ملكهم مكانة ليست بالهينة .

١٣- الشفاء بيد الله تعالى يصيب به من يشاء سبحانه بما شاء ولو من غير دواء أو تداوي .

١٤- الكون كله لله تعالى ولا حاصل فيه إلا بما أراد سبحانه ولن يضر أحد أحداً إلا بما هو ضمن إرادة الله جل جلاله .

١٥- تجبر بعض ملوك الأرض لدرجة الاستبداد والتسلط على الشعوب وفعل الأفاعيل بهم كل ذلك حفاظاً على ملكهم من الزوال أو المساس .

١٦- لكل حاكم بطانة خير تحثه عليه وبطانة شر تؤزه عليه كلٌ منهما يجذبه ناحيته .

قوم تبع

قال تعالى :

﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]

﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾[2]

تعريف :

هم قبائل حمير اليمنية، وتبع تعني كثرة الاتباع وأن كل ملك منهم يسمى تبع لأنه يتبع صاحبه، **قيل** : وهؤلاء القوم هم أصحاب تبع (أسعد بن مليك) أبو كرب .

القصة :

كان هذا الملك التبع (أسعد بن مليك) يعبد النار ثم إنه أسلم ودعا قومه وهم (حمير) إلى الإسلام فعارضوه و لم يسلموا، لذلك ذم الله تعالى قومه في القرآن الكريم و لم يذمه معهم .

---

[1] سورة الدخان .

[2] سورة ق .

قيل : إنه أقبل من بلاد المشرق وكانت المدينة المنورة في طريقه فخلف عليها ابناً له فقتله أهلها غيلةً، فأقبل وهو مجمع على خرابها وعلى قتل أهلها جزاء قتلهم لابنه، ولما سمع أهل المدينة وهم أجداد (الأنصار) بتوجه تبع إليهم جمعوا له جموعاً استعداداً للقائه، فلما وصل إليهم **قيل** : كانوا يقاتلونه نهاراً ويستضيفونه ليلاً، فأعجبه صنيعهم ذلك .

وسمع حَبران من أحبار يهود بني قريظة بخبر تبع ونيته في إهلاك المدينة فخرجوا إليه قائلان له : إن نيتك في إهلاك وتخريب المدينة محالٌ عنك لأن هذه المدينة هي مأوى لنبيٍ عربي يخرج من مكة من قريش واسمه (محمد) ويسير إلى المدينة ويستقر بها فتصبح منزله ودار هجرته وأن مكانك اليوم لهو مكان قتاله لعدوه، فقال التبع لهما ومن سيقاتله، فقال الحبران : قومه يسيرون إليه ليقاتلوه فيُهزمون ويُقتَلون .

ثم إن الحبرين دعوا التبع أسعد لدينهما وهو (اليهودية) فتبعهما ثم إنه سار نحو اليمن وأخذ الحبران معه فقابله في طريقه نفر من قبيلة هذيل وقالوا له هل لك في بيت من لؤلؤ وذهب وفضة وزبرجد يعبده أهله، ودلوه على مكة المكرمة، فسأل تبع الحبرين الذين معه عن ذلك البيت، فقالا له : إن القوم إنما يريدون بذلك هلاكك وأن هذا هو بيت الله تعالى من قصده بسوء أهلكه

الله تعالى، فأخذ تبع أولئك النفر من هذيل وقتلهم ثم توجه إلى البيت الحرام وكساه، فكان أول من فعل ذلك، ثم نحر هديه عنده، **قيل** : إنها ستة آلاف بدنه وأقام به وطاف حوله وقصر شعره ثم انصرف عنه .

ولما قرب تبع من اليمن ردته حمير عن دخولها لأنه كان قد اعتنق اليهودية وترك عبادته للنار، فقالت له حمير نحاكمك عند النار وكان ذلك في دينهم إذا ما اختلفوا في أمر ما فوافق تبع لذلك، وكانت النار تأكل الظالم وتترك المظلوم، فخرجت حمير بأوثانها وقربانها بينما خرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة، فأكلت النار ما قربته حمير وتركت الحبرين .

ومن ذلك اليوم تبعت حمير اليهودية، ومن ذلك أيضاً كانت اليهودية في بلاد اليمن حتى انتشرت فيه .

الدروس والعبر المستفادة من قصة قوم تبع

١- ملاحظة ذم الله تعالى قوم تبع دون ذمه معهم .

٢- قول نبينا الكريم ﷺ في تبع : (**ما أدري أتبع لعين هو أم لا وما أدري أعزير نبي هو أم لا**)[١]. وقال ﷺ : (**ما أدري تبع أكان**

[١] رواه أبو داود والحاكم وصححه الألباني .

نبياً أو غير نبي)[1]. وقوله ﷺ : **(لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان أسلم)**[2].

٣- معرفة أن التوراة قد ورد فيها ذكر تفاصيل النبي العربي ومكانه مبعثه ومستقره وهو (محمد) ﷺ .

٤- كرم الأنصار قديماً في الجاهلية وحديثاً في الإسلام .

٥- أن حمير كانت تعبد النار ثم إنها اعتنقت اليهودية .

٦- حرمة بيت الله تعالى منذ القدم وإلى قيام الساعة .

٧- إن تبعاً أول من كسا البيت العتيق ووصله بالوصائل .

٨- أحبار اليهود كانوا على ديانتهم الصحيحة يعبدون الله تعالى على حق، وهي اليهودية ولكن ذلك كان قبل مجيء الإسلام، أما بعد مجيء الإسلام توجب على كل الأحبار والرهبان اتباعه .

٩- من منهجية ومقتضيات اليهودية الحقيقية والصحيحة اتباع دين الإسلام، فبمجيئه نسخ كل الأديان السابقة .

١٠- معرفة اليهود بمبعث نبي من العرب بعد عيسى عليه السلام ومع ذلك فهم أشد الناس إنكار له، حسداً من عند أنفسهم .

١١- علامة قبول العمل في الأمم السابقة نار تنزل من السماء تأكل قربان من تقبل عمله وتترك من سواه .

---

[1] رواه ابن عساكر في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه واللفظ له .

[2] رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وابن عساكر في تاريخه .

الباب السادس : السيرة النبوية الشريفة .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب]

ويشمل (٣) فصول هي :

الفصل الأول : قبل البعثة .

الفصل الثاني : بعد البعثة .

الفصل الثالث : الدعوة إلى الله تعالى .

الفصل الأول : **قبل البعثة** .

نسبه الشريف .

عام الفيل .

مولده وتربيته .

حلف المطيبين وحرب الفجار .

أعماله وممارسته التجارة .

الزواج بخديجه .

إعادة بنيان الكعبة .

علامات النبوة .

نزول الوحي .

النسب الشجري للنبي محمد ﷺ

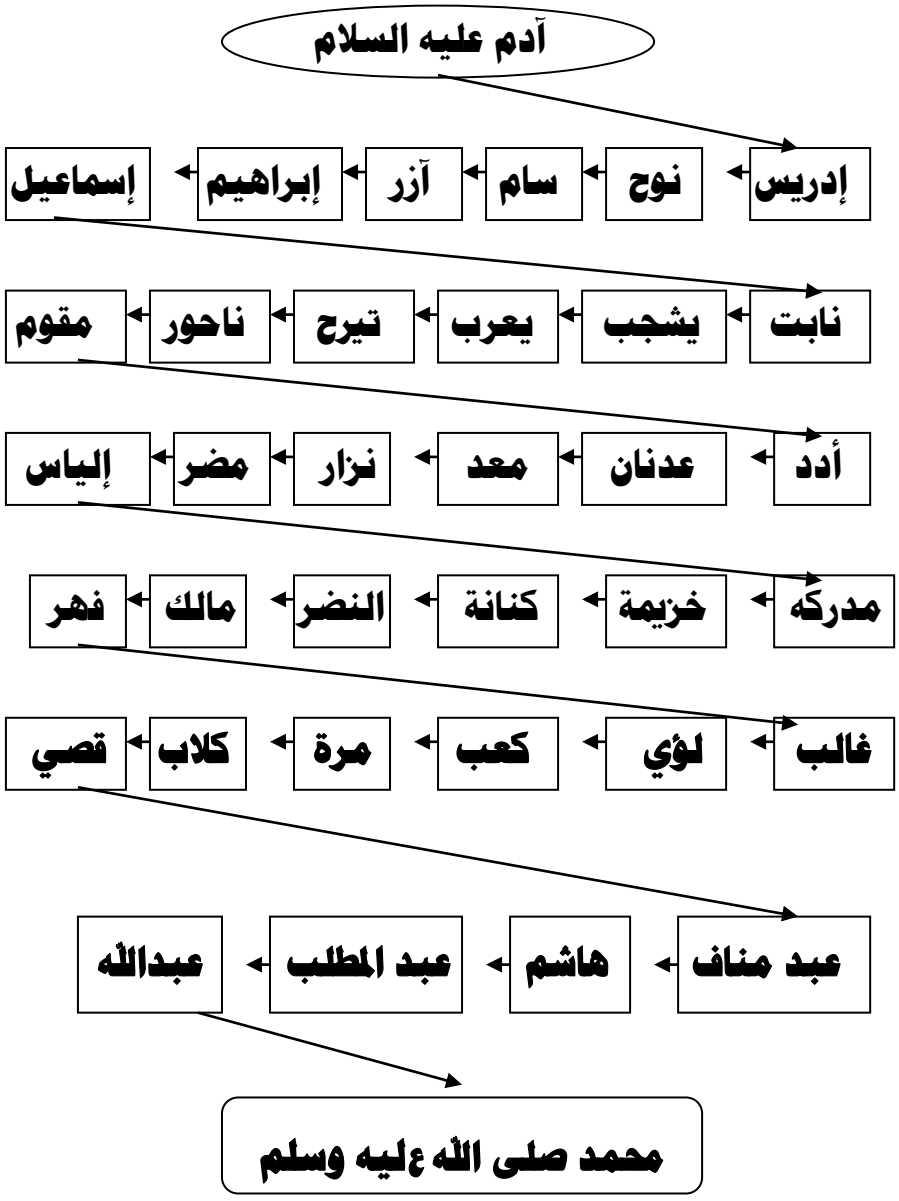

مدة حياته : (٦٣) سنة .

ورد ذكره في القرآن الكريم صريحاً : (٤) مرات .

قال تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ ﴿١٤٤﴾ ﴾

[آل عمران]

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن
رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴿٤٠﴾ ﴾

[الأحزاب]

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ
عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ ﴿٢﴾ ﴾

[محمد]

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ ﴿٢٩﴾ ﴾

[الفتح]

العالم قبل البعثة

كان العالم كله قبل البعثة النبوية الشريفة في حالة اضطراب بوجه عام، إذ لم يكن للعقل حينها حضوره على الوجه المطلوب، بل كان حال الناس أشبه بفوضى عارمة، يحوطهم التفكك والضياع من كل جانب، والخلل والانحلال من كل وجه، تجاه أديانهم وعقائدهم ومقدساتهم، بالإضافة لما هم فيه من تجرد قيمي أخلاقي اجتماعي .

لذا كان الجهل والخرافة مستحكمان على معظم عقول الناس في تلك الآونة، فلا قوانين ولا أنظمة عادلة تحكمهم، ولا دين رباني محكم يسيّرهم، وإنما عادات وتقاليد وأفكار ومعتقدات فاسدة ومتضاربة .

وقد انتشرت في تلك الفترة عدة أديان ومعتقدات، منها السماوي المحرف، كاليهودية والنصرانية، ومنها غير ذلك، كالمجوسية وعبادة النار والأصنام والأوثان والنجوم والأشجار والأحجار وغيرها، وهكذا كان لكل قوم معبود يقدسونه ويعظمونه ويعتقدون نفعه وضرره، حتى المجتمعات الشرقية انتشرت فيها الكثير من الديانات، كالبوذية والبرهمية والكنفوشيوسيه وعبادة النار والقمر والبقر والكواكب والنجوم، وغيرها من الأديان والمعتقدات الفاسدة آنذاك .

أما جزيرة العرب فقد استولت عبادة الأوثان والأصنام كل رقعتها، وكانت أشهر آلهتهم آنذاك (اللات والعزى ومناة وهبل وإساف ونائلة) وغير ذلك .

وحسب ذلك الحال كان العالم كله قد تهيأ تماماً ليستقبل نور خاتمة الرسالات النبوية ليشع بنورها، ليخرجهم سبحانه وتعالى بها من ظلام الجهل إلى نور الإسلام، لينعم البشر بالحياة السعيدة، فكانت البعثة المحمدية في توقيت زمني ملائم جداً .

قريش قبل البعثة

احتلت قريش مركز العرب، فأضحت أهم قبائلها على الإطلاق، والمقدمة عليهم من حيث شريف أنسابهم، وعلو مكانتهم، بالإضافة لأنهم سكان بيت الله الحرام، التي تهوي إليها أفئدة الحجيج، الأمر الذي أكسبهم أهمية أكبر وشرفاً أعلى حازوا به سيادة العرب، لخدمتهم بيت الله تعالى المعظم، وبذلك صار العرب تبع لهم في كل شيء .

وسكن ذاك الوادي أبناء قصي الأربعة وهم بنو عبد الدار وبنو عبد مناف وبنو عبد العزى وبنو عدي البطاح، بالإضافة إلى بني عمومتهم من نسب لؤي وكعب ومرة وكلاب كبني مخزوم وبني تيم وبني زهرة وبنو عدي الظواهر وغيرهم، هذا بالإضافة

لأحلافهم من القبائل . وبالطبع كان التنافس على أشده بين أبناء قصي فكلهم كان يبغي شرف حيازة المناصب لقبيلته، كشرف اللواء والندوة والقيادة، بالإضافة لشرف خدمة بيت الله تعالى الحرام وزائريه، كشرف السقاية والرفادة والحجابة أو السدانة[1].

وقد اقتسمت قريش ذلك الشرف وتلك المناصب فيما بينها، فكانت الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار بن قصي، وكانت السقاية والرفادة لبني عبد مناف بن قصي، واستمروا على ذلك حتى جاء نور الإسلام وهم أصحاب القدح المعلى والمقام الأعز الأشرف الأكرم بين القبائل، مع شرفهم وعلو أنسابهم، كيف وهم أهل الفصاحة والبلاغة والمكانة والسيادة على العرب .

بشارة الأنبياء

قال ﷺ : (**أنا محمد النبي الأمي، أنا محمد النبي الأمي، أنا محمد النبي الأمي، ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه**)[2].

---

[1] واللواء : الذي يُحمل في الحرب، والندوة : رياسة الاجتماعات التي تعقد في دارها، والقيادة إمارة الجيش حال الحرب، والحجابة : تولي سدانة الكعبة المشرفة ومفاتيحها، والسقاية : تقديم الماء للحجيج والزائرين، والرفادة : إطعامهم الطعام .

[2] رواه أحمد وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة .

كما بشر به موسى عليه السلام أيضاً ووردت صـــفته ﷺ في التوراة كاملة من مبدأ أمره حتى هجرته .

فعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك قال : (**دعوة أبي إبراهيم وبشـــرى عيســـى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام**)[1] .

ودعوة إبراهيم عليه السلام هي قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[2] .

أما بشارة عيسى عليه السلام فهي قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[3] .

---

[1] رواه أحمد والحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل وأبو داود الطيالسي .

[2] سورة البقرة .

[3] سورة الصف .

ولد الذبيحين

ويقصد بالذبيحين : (إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وعبد الله بن عبد المطلب أبو رسولنا الكريم محمد ﷺ) .

الذبيح الأول .

وهو (إسماعيل) عليه السلام، وذلك لما رأى إبراهيم الخليل عليه السلام الرؤيا وفيها أنه يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، فلما أراد ذبحه فداه الله تعالى بذبح عظيم من الجنة[1].

الذبيح الثاني .

وهو (عبد الله) أبو نبينا الكريم ﷺ، وذلك لما حلف عبد المطلب (جد الرسول) ونذر لئن رزقه الله تعالى (١٠) من الولد أن يذبح أحدهم فداءً شكراً لله تعالى، فلما رزقه سبحانه ذلك، وأراد أن يوفي بنذره حزن لذلك كثيراً، ولكن القوم أشاروا عليه بأن يقرع بينه وبين أن يفديه بعشر من الإبل، فأقرع بينهم، فخرجت القرعة على ذبح أحب أبنائه إليه وهو (عبد الله) .

ففداه بعشر من الإبل، ثم أقرع أخرى وأخرى حتى بلغت مائة من الإبل، فخرجت القرعة على نحرها، فنحرها وفدى ابنه

---

[1] سبق الحديث عن ذلك .

بها . لذلك أطلق على رسولنا الكريم ﷺ ولد الـــذبيحين، وهمـــا الذَين نجاهما الله تعالى من الموت بالفداء .

نسبه الشريف

نسبه من جهة أبيه :

هو (**محمد**) بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه (شـــيبه) بـــن هاشم واسمه (عمرو) بن عبد مناف واسمه (المغيرة) بن قصي واسمه (زيد) بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركه واسمه (عامر) بـــن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقـــوم بـــن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل عليـــه السلام بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام .

نسبه من جهة أمه :

وهو (**محمد**) بن أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهره بن كلاب إلى آخر النسب السابق لكلاب . أي أن نسب الشـــريف من طريق أبيه وأمه ﷺ يلتقيان عند (كلاب) .

رؤيا آمنة :

ورد في كتب السير أن آمنة أم النبي الكريم ﷺ قالت في حملها بالرسول ﷺ : (لقد علقت به "حملت" فما وجدت له مشقة، وأنه لما فصل عنها خرج له نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ووقع إلى الأرض معتمداً على يديه) .

وفي رواية قالت : (ما شعرت أني حملت ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء إلا أني أنكرت رفع حيضتي أي "أنقطاع الحيض عنها" وأتاني آتٍ وأنا بين النوم واليقظة فقال : هل شعرت أنك حملت فكأني أقول : ما أدري فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها وذلك يوم الاثنين قالت : فكان ذلك مما يقّن عندي الحمل، فلما دنت ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال : قولي أعيذه بالواحد الصمد من شر كل حاسد)[1].

مولده عليه الصلاة والسلام

ولد نبينا ورسولنا الكريم محمد ﷺ مختوناً مسروراً[2]؛ في (دار الصفا) بشعب بني هاشم صبيحة يوم (الاثنين) الموافق (١٢) من

[1] ابن الجوزي في صفة الصفوة وابن سيد الناس في عيون الأثر وغيرهما .

[2] على قول في ذلك، والقول الثاني أنه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وسماه محمد، والثالث أنه ختن يوم شق صدره ﷺ .

شهر ربيع الأول (على أشهر الروايات) من عام الفيل وهو الموافق لعام (٥٧٠) من ميلاد عيسى عليه السلام، قال هانئ المخزومي رضي الله تعالى عنه : (**ارتجس إيوان كسرى فسقطت منه أربعة عشر شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة**)[1]. وسمي عام ولادته ﷺ بعام الفيل لقصة :

عام الفيل :

كان أحد ملوك حمير ويدعى (ذو شناتر) ملكاً فاسقاً في قومه مبغضاً فيهم، فعدى عليه ذات يوم رجل يسمى (زرعة ذو نواس) فقتله، فبايعته حمير على الملك، وبعد فترة من الزمن اعتنق اليهودية، وكان أهل نجران على النصرانية، فسار إليهم وخيرهم بين اليهودية أو القتل فأبوا عليه أمره، فأخذ يقتلهم ويحفر لهم الأخاديد ويلقيهم فيها، وفر منهم رجلٌ يسمى (دوس ذو ثعلبان) إلى قيصر الروم واستنصره عليه، وديانة الروم النصرانية فأرسله مباشرة إلى النجاشي عامله على الحبشة لينصره في الحال .

قيل : إن هذا النجاشي هو أبو النجاشي أسحمه الذي كان على أيام النبي ﷺ . ولما وصل دوس ذو ثعلبان إلى الحبشة خرج معه جيش كبير قاصداً اليمن بقيادة (أرياط) ومساعده (أبرهة)

[1] دلائل النبوة للبيهقي ولأبي نعيم وغيرهما ... وارتجس أي : ارتكس واهتز بقوة .

فلما وصل الجيش إلى اليمن هُزمت فلول حمير وفر ذو نواس وأغرق نفسه وجواده في البحر .

وبعد ذلك ... امتلك أرياط السلطة ولكن أبرهه ظل ينازعه إياها حتى غدره وقتله فصارت السلطة له .

ولما علم النجاشي بذلك غضب من أبرهة وفعلته تلك، ولكن أبرهة حاول أن يرضيه ليرضى عنه فعمد إلى بناء كنيسة كبيرة في اليمن ليصرف الناس إليها فيحجون إليها بدلاً من الكعبة المشرفة، وسماها (القلّيس) .

ولما علمت العرب بخبر القلّيس سخرت من أبرهة وعمله ذلك، مما أغضب أبرهة لما علم بسخرية العرب منه، فقرر هدم الكعبة المشرفة حتى يجبر الناس على الحج والطواف إلى اليمن حول القلّيس بعد هدم قبلتهم .

قيل : إن أعرابياً دخل كنيسة القليس فبال فيها وتغوط ثم لطخ جدار الكنيسة بغائطه، مما أغضب أبرهة أشد الغضب وعزم على هدم الكعبة .

وتجهز أبرهة بجيش كبير قوامه (٦٠٠٠٠) ستون ألفاً، وجعل الفيلة تتقدمه، وسار به قاصداً مكة المكرمة لهدم الكعبة، وفي طريقه هاجمته عدة قبائل ولكنها لم تفلح في رده على عقبه، وسار أبرهة حتى وصل بالجيش إلى (المغمس) مكان قريب من مكة،

فأرسل جنوده لجمع الأنعام حول مكة فأصاب الكثير منها وكان من بينها (٢٠٠) بعير لعبد المطلب سيد مكة وزعيمها آنذاك .

ولما علم عبد المطلب بذلك خرج إلى أبرهة ودخل عليه وسأله رد إبله، فتعجب أبرهة من ذلك وقال له : أنت سيد قومك ظننتك ستفاوضني على هدم الكعبة، فرد عبد المطلب عليه قائلاً : أنا رب الإبل وللبيت ربٌ يحميه، فأمر أبرهة برد إبله عليه، فأخذها عبد المطلب وانطلق إلى الكعبة يستغيث الله تعالى هو وأهل مكة على أبرهة وجنوده ثم تولى القوم إلى أعالي الجبال والشعاب . ولما حاول الجيش دخول مكة أبى الفيل دخولها وكان قد ماتت كل الفيلة في الطريق و لم يبق منها غير فيل واحد هو أكبرها وكان اسمه (محمود)، فكلما وجهه القوم إلى جهةٍ سار فيها وهرول وكلما وجهه القوم إلى مكة أدار رأسه عنها وبرك فصار القوم يضربوه ليتحرك فيأبى عليهم .

وهناك في وادي المحسر (وادي النار) بين المزدلفة ومنى أرسل الله تعالى على الجيش (طيراً أبابيل) كثيرة متتابعة تحمل في مناقيرها الحصى وفي أرجلها الحجارة المحرقة، وأخذت ترمي الجيش حتى هلك معظمه . ولما رأى أبرهة ذلك هرب مسرعاً عائداً إلى اليمن ولكنه مات في الطريق . من أجل ذلك سمت العرب ذلك العام بعام الفيل وصارت تؤرخ به .

تربيته عليه الصلاة والسلام

تربى عليه الصلاة والسلام يتيماً، فقد مات أبوه وهو في بطن أمه ودفن بالمدينة، وبعد ولادته أرضعته في بادئ الأمر (ثويبة) مولاة عمه أبي لهب ورضع معه منها عمه حمزة فصار أخوه من الرضاعة، ثم بحثت له أمه بعد ذلك عن مرضعة فوجدت حليمة السعدية من بني سعد فكفلته وأخذته معها إلى الطائف ترضعه، وقد رضع معه ﷺ من حليمة (عبد الله بن الحارث بن عبد العزى والشيماء بنت الحارث) فكانوا إخوة له منها، ومكث الرسول الكريم ﷺ في الطائف عند حليمة حتى بلغ الرابعة من عمره فحدثت له (**حادثة شق الصدر**) :

قال أنس رضي الله تعالى عنه : (إن رسول الله أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه "أي طرحه على الأرض" فشق عنه قلبه فأستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذه حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه "حليمة التي ترضعه" فقالوا : إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع "متغير" اللون)[1].

---

[1] رواه مسلم .

خاتم النبوة :

عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال : (رأيت خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام)[1].

وعن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال : (ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه وقمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة)[2].

ولما بلغ ﷺ من عمره خمس سنين أعادته حليمة إلى أمه آمنة، وبعد سنة من عودته أخذته أمه لتزور به أخواله (بني النجار) في المدينة ولكنها مرضت ثم ماتت وهي في طريق العودة فدفنت بالأبواء .

فعادت به أم أيمن إلى جده عبد المطلب والذي أولاه عناية خاصة، فتربى في كنفه حتى بلغ الثامنة من عمره، فكانت وفاة جده عبد المطلب، فكفله بعد ذلك عمه أبو طالب (العم الشقيق لأبيه عبد الله) .

---

[1] رواه مسلم .

[2] متفق عليه . وزر الحَجَلة بيضة طائر الحجلة .

أبو طالب :

وعاش الرسول الكريم ﷺ في أحضان عمه أبي طالب، وكان في بداية حياته يعمل كصبية قريش فكان يرعى الغنم، قال ﷺ : (**كنت أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة**)[1].

ولما بلغ من عمره الثامنة عشر صار يعمل بالتجارة كمعظم شباب قريش، وكان مع عمه أبي طالب في بداية أمره .

وذات يوم أراد أبو طالب الخروج للتجارة فأخذ الرسول الكريم ﷺ بخطام راحلته قائلاً له : لمن تكلني يا عم وأنا لا أب لي ولا أم، فرقّ له أبو طالب وأخذه معه، وحدثت له في هذه الرحلة (**قصة الراهب بحيرا**) .

القصة :

خرج أبو طالب مع القافلة التجارية المتوجهة إلى الشام، وبالقرب من مدينة بصرى بحوران الشام نزلت القافلة للاستراحة، وكان بالقرب منها صومعة راهب عربي قد تنصر (النصرانية) وكان يدعى بحيرا واسمه (جرجس) من قبيلة عبد القيس، وكان قد تعاقب على هذه الصومعة آباؤه وأجداده . رأى ذلك الراهب بحيرا غمامة (سحابة) وهي تسير مع القافلة وكانت تظلل أحد

[1] متفق عليه .

أفرادها وتتجه معه حيث سار فأراد أن يتبين الأمر فأرسل إليهم يدعوهم لحضور الطعام عنده وطلب منهم أن لا يتخلف عن الطعام أحد صغيراً كان أو كبيراً، ولم يكن يفعل ذلك سابقاً، فقال القوم : إن لبحيرا الراهب اليوم لأمر .

وحضر القوم جميعهم إلا (محمداً ﷺ) لصغر سنه، فصاح بهم بحيرا ألا يتخلف منكم أحد، فأحضره القوم على الفور، وهنا أخذ بحيرا الراهب يلحظ النبي الكريم ﷺ بدقة ويحذق فيه النظر بشدة وحرص .

ولما تفرق القوم قام إليه يسأله، فكان بحيرا يسأل والرسول ﷺ يجيبه حتى وافق كل ما عند الراهب بحيرا وعلم بذلك الراهب أن علامات النبوة متحققةً فيه ﷺ وأنه نبي هذه الأمة .

بعد ذلك ذهب بحيرا إلى عمه أبي طالب يسأله فقال له : (ما أنت لهذا الغلام) فقال أبو طالب : إنه ابني، فقال بحيرا : ليس لهذا الغلام أب ولا ينبغي له ذلك، فقال أبو طالب : هو ابن أخي، فقال له الراهب بحيرا : ارجع بابن أخيك سريعاً واحذر عليه (اليهود و**قيل** : الروم) فعاد به أبو طالب إلى مكة سريعاً بعدما أنهى تجارته .

بعض الأعمال في شبابه

حلف المطيبين :

حضر رسول الله ﷺ وهو في شبابه (حلف المطيبين) وهو حلف قرر فيه رؤساء القبائل وكبارها رد المظالم إلى أهلها وقد كان ذلك في دار عبد الله بن جدعان، وسابقاً كانت قد تحالفت نفس هذه القبائل حلفاً أسمته (حلف الفضول) .

قال ﷺ : (**شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام فما أحب أن لي حمر النعم وأنا أنكثه**)[1].

حرب الفجار :

وهي حرب حدثت في الأشهر الحرم لذا سميت بهذا الاسم، وقد كانت بين قريش وكنانة من جهة وقيس عيلان من جهةٍ أخرى بسبب خلاف وقع بينهم في سوق عكاظ .

وقد ورد (ولكن بدون إسناد) أن الرسول الكريم ﷺ قد شهد هذه الحرب وأنه كان يرد النبل ويجهزه لأعمامه وكان عمره ﷺ آنذاك (٢٠) سنة .

---

[1] رواه أحمد والبزار والبخاري في الأدب المفرد . وسمى الحلف بهذا الاسم، لأن القبائل حينها أحضروا طيباً وغمسوا أيديهم فيه ليوثقوا العهد .

بداية عمله في التجارة

كان ﷺ يعمل في البداية مع عمه أبي طالب في التجارة حتى شبّ وترعرع، وكانت خديجة بنت خويلد من أغنياء مكة وتجارها وكانت تبحث عن ذوي الأخلاق الحسنة والأمانة والصدق ليعمل عندها في تجارتها، فسمعت عن محمدٍ في القوم وعن حسن أخلاقه ومعاملته وجميل صفاته، فبعثت إليه تعرض عليه الخروج بتجارتها، فقبل ووافق .

وخرج النبي الكريم ﷺ بتجارة خديجة وكان معه غلامها (ميسرة) وكان الرسول الكريم ﷺ مباركاً موفقاً أينما حل، فربح ربحاً كثيراً في الرحلة، ولما عادوا إلى مكة أخبر ميسرة سيدته خديجة بالربح الكبير وبكل ما كان من أمر محمداً، فأحبت أن تتزوجه وعرضت عليه ذلك، فوافق ثم خطبها له عماه (حمزة وأبو طالب) من عمها عمرو لأن أباها خويلد ابن أسد كان قد مات فتزوجها ﷺ وعمره (٢٥) سنة وكان عمرها آنذاك (٤٠) سنة، **وقيل** : (٢٨) وكان صداقها (٢٠) بكرة، وقد تزوجت رضي الله تعالى عنها قبل الرسول الكريم ﷺ عتيق بن عائذ المخزومي فمات عنها ثم تزوجها أبو هالة التميمي فمات عنها فلم تتزوج بعدهما أحداً حتى تزوجها رسول الله ﷺ وأنجبت منه كل ولده إلا إبراهيم فهو من جاريته مارية رضي الله تعالى عن الجميع .

إعادة بنيان الكعبة

ولما بلغ ﷺ من عمره الخامسة والثلاثين أجمعت قريش على إعادة بنيان الكعبة لما تهدم منها، وتعاهدوا ألا ينفقوا من أموالهم في ذلك إلا ما كان من حر أموالهم خالصاً من الربا والحرام، وقرروا أن يجعلوا لها سقفاً، فأخذوا في بنيانها وكان الرسول الكريم ﷺ مع عمه العباس يحمل الحجارة .

ولما وصل القوم إلى موضع الحجر الأسود اختلفت القبائل وبطون قريش في شرف من يضع الحجر مكانه، وكادوا يقتتلون لذلك فاقترحوا أن يحكموا بينهم أول من يدخل عليهم من باب بني شيبة، فكان أول من دخله عليهم هو (الصادق الأمين) فقالوا : (**قد رضيناه حكماً بيننا**) .

وحكم بينهم ﷺ بأن يحضروا ثوباً وأن يضعوا الحجر فيه وقال لهم : ليحمل كل شاب من كل قبيلة طرفاً من الثوب حتى وصلوا إلى موضع الحجر فأخذه ﷺ ووضعه بيديه المباركة في مكانه، وكان إعادة بنيان الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام، أي أن بناءها كان في الجزء العلوي فقط ولكن الأساس كما هو لم يتغير، **قيل** : إن رجلاً أدخل عتلة بين بعضٍ من قواعد إبراهيم عليه السلام يريد خلعها فانتفضت مكة كلها لذلك فتركها القوم على أساسها الذي بناه إبراهيم عليه الصلاة السلام .

النبي قبل البعثة

كان ﷺ قبل بعثته معصوماً من القبائح منزهاً عن المعائب بعيداً كل البعد عن النقائص مجنباً الرذائل والخبائث وكل خوارم المروءة، لا يحب أمور الجاهلية ولا يمارس عاداتها القبلية السيئة ولا التقاليد القومية غير السليمة، صافي القلب نقي الفؤاد طاهر القالب زكي النفس حتى لقّب بالصادق الأمين، ذا صفات حسنة وأخلاق حميدة وخصال نبيلة كثير التفكر والتأمل صافي النفس موافقاً للفطرة السليمة والنظرة الصحيحة قد اجتمعت فيه كل صفات الخير والحق والبر والنور والهدى وعموم المحاسن والمكارم والفضائل ...

علامات النبوة

وقد ظهرت عليه ﷺ علامات كثيرة كان أولها توافقه للفطرة السليمة في كثير من تصرفاته كحب الخير والحق وبغض الباطل وأمور الجاهلية المشينة وقلقه من أمور الشرك والفساد من حوله، ومنها كذلك حب الخلوة والتعبد فقد كان ﷺ يتعبد في غار حراء بالأيام ينقطع فيها عن الناس .

كذلك كان أول أمره الرؤيا الصادقة التي كان يراها تتحقق أمام عينيه كفلق الصبح، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :

(أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد الليالي ذوات العدد)[1].

كذلك حصلت له ﷺ عدة إرهاصات[2]، قبل بعصته منها قوله ﷺ : (**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث**)[3].

وقد كانت بداية تعبده ﷺ في غار حراء بـ (٣) سنوات قبل البعثة في شهر رمضان من كل سنة، كما لو كانت إعداداً له ﷺ من الله تعالى لما سيستقبله من أمور النبوة والرسالة المهمة .

نزول الوحي

وفي سنة (٦١٠) من الميلاد وفي اليوم العاشر من شهر أغسطس ليلة الإثنين الواحد والعشرين من شهر رمضان قبيل الفجر ولما كمل عمره عليه الصلاة والسلام (٤٠) سنة وبينما هو يتعبد كعادته في غار حراء إذ جاءه جبريل عليه السلام وهو نائم وقال له : يا محمد فاستيقظ ﷺ مأخوذاً منتبهاً من نومه، فقال له

---

[1] متفق عليه .

[2] الإرهاص هو الأمر المعجز قبل النبوة، وبعد النبوة يسمى معجزة .

[3] رواه مسلم .

جبريل : اقرأ فأجابه ﷺ : (ما أنا بقارئ) (أي لا أعرف القراءة) فضمه جبريل وعصره ثم أرسله أي : أفلته ثم كذلك في المرة الثانية والثالثة فقال جبريل عليه السلام بعد الثالثة : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[1].

فقرأها ﷺ وانصرف عنه جبريل عليه السلام، وهب ﷺ وكأن كتاباً كتب في قلبه، وخرج عائداً مسرعاً إلى بيته، وبينما هو في طريق عودته إلى البيت إذ سمع صوتاً يقول له : (**يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل**) فوقف يسمع ذلك وكان ﷺ لا يلتفت في جهةٍ من السماء إلا رأى فيها جبريل عليه السلام ففزع من ذلك ووقف مكانه لا يتحرك، وأرسلت خديجة في طلبه فأحضره بعض من رآه في أعالي مكة حيث عرض له جبريل عليه السلام . ولما وصل إلى بيته أخذ ﷺ يقول : زملوني دثروني أي (غطوني) حتى ذهب عنه الروع . وكانت خديجة رضي الله تعالى عنها تطمئنه بقولها : (لا تخف والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكَلّ وتكسب المعدوم وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الحق) .

---

[1] العلق صدر السورة .

صور الوحي :

وكان ﷺ يأتيه الوحي إما بواسطة جبريل عليه السلام سواء (على صورته الحقيقة، أو متمثلاً له بصورة رجل، أو بحالة خاصة كصلصلة الجرس وهي أشد الوحي) . وإما بغير واسطة، وصوره هي :

١- كلام الله تعالى له من وراء حجاب .

٢- الإلهام وما يقذف في القلب (النفث في الروع) .

٣- الرؤيا في المنام، ورؤيا الأنبياء عليهم السلام حق .

ورقة بن نوفل :

ثم انطلقت به خديجة رضي الله تعالى عنها إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تنصّر ويكتب الإنجيل بالعربية، وكان قد كبر وعمي فهو لا يرى، فأخبرته بكل ما حدث للرسول الكريم ﷺ فقال له ورقة : (إن هذا لهو الناموس الذي أنزل على موسى وإن محمداً هو نبي هذه الأمة) .

ثم قال له : ليتني كنت غلاماً جذعاً (شاباً قوياً) حتى أنصرك حين يخرجك قومك، فقال ﷺ : (أَوَ مخرجي قومي) فقال له ورقة : نعم ما جاء نبي قومه بمثل ما جئت إلا أخرجه قومه، وبعد ذلك مات ورقة بن نوفل مصدقاً بنبوته ﷺ لذا قال فيه ﷺ : (**أُريته في**

المنام وعليه ثياب بياض ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك)[1]. وفي رواية : (**قد رأيت القس في الجنة وعليه ثياب من حرير لأنه آمن بي وصدقني**) . وذلك لأنه صدق بنبوته ﷺ وآمن به .

وفَتَرَ الوحي عنه ﷺ فترةً فشق عليه ذلك وحزن حزناً عظيماً، **قيل** : حتى إنه ﷺ كان يهم بأن يلقى بنفسه من شواهق الجبال، والله تعالى أعلى وأعلم .

ثم بعد ذلك الفتور نزل الوحي مرةً أخرى بسورة المدثر ثم بعد عدة ليالي نزل بسورة الضحى .

توقيت :

وقد استغرق نزل الوحي (٢٣) سنة وهي فترة نزول القرآن الكريم كان منها (١٣) سنة في مكة المكرمة و (١٠) سنة في المدينة المنورة .

وطوال هذه الفترة كان القرآن الكريم ينزل حسب الحوادث والوقائع مثبتاً ومبرهناً ومصدقاً، منجَّماً (متفرقاً) كيفما شرع الله سبحانه وتعالى لخلقه .

---

[1] رواه الترمذي وأحمد والحاكم والبيهقي في دلائل النبوة والرواية الثانية عنده وعند ابن أبي شيبة بلفظ مقارب .

إعجاز البعثة

لما أذن الله تبارك وتعالى ببعثته ﷺ تغيرت معالم الفلك كله ومن ذلك ما حصل للسماء من حفظ لها بالشهب والنجوم ورمي الشياطين بها حماية لها حتى لا يختلط أمر النبوة والوحي والقرآن الكريم بكذب السحرة والكهان الذين كان لهم مسترقوا السمع قبل البعثة .

قال ﷺ : (**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا** : ﴿ فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا ﴾ للذي قال : ﴿ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾، **فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدَّق بتلك الكلمة التي سمع من السماء**)[1].

---

[1] رواه البخاري . ومعنى سلسلة على صفوان تشبيه بصوت الملائكة حال خضوعها بجر سلسلة على صفوان وهو الحجر الأملس .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله ﷺ : (**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ : فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ثم قال الذي يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم فيخبرونهم ماذا قال، قال : فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون**)[1].

وقال أيضاً رضي الله تعالى عنه : (ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما

[1] رواه مسلم ، ويقرفون أي : يخلطون معه الكذب .

لكم قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا : ما ذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ۝١﴾)[1].

الدروس والعبر المستفادة من السيرة قبل البعثة

١- الرعاية الإلهية بالنبي الكريم منذ صغره وفي كل مراحل عمره ﷺ .

٢- نزع حظ الشيطان من صدره ﷺ .

٣- نشأته نشأةً صالحة وتربيته تربية ربانية سليمة .

٤- موت أبيه وأمه لحكمة بالغة، منها ما جعل في قلبه من الرأفة والرحمة والحب للمساكين والضعفاء .

[1] متفق عليه . سورة الجن .

٥- حسن سيرته وخصاله الحميدة حتى لقب ﷺ بالصادق الأمين قبل البعثة النبوية الشريفة .

٦- نزاهته وصفائه وعفته وبُعده عن الأخلاق السيئة الرذيلة والأفعال القبيحة وعادات الجاهلية واتصافه بمكارم الأخلاق قبل نبوته ﷺ .

٧- نقاء قبله ﷺ وصفاؤه من كل أمور الرجس وعبادة الأصنام وجوارم المروءة وعصمته وسلامته من القبائح والنقائص والرذائل والشرور والغوائل .

٨- حكمته ورأيه السديد، ومن ذلك ما ظهر عند إعادة بنيان الكعبة، وحقنه للدماء ومنعه للاقتتال بذلك التصرف السديد والفعل الرشيد .

٩- بركته وتواضعه ﷺ ومن ذلك ما ظهر منه في تجارة السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها .

١٠- تواضعه ﷺ وزواجه من خديجة رضي الله تعالى عنها وهي أكبر منه سناً وهي أيضاً ذات ولد .

١١- رعيه للغنم، مما جعله يكتسب الكثير من الصبر والحلم والتحمل والتؤدة وحسن الرعاية والتبصر في الأمور .

١٢- كونه لا يعرف القراءة والكتابة مما أكّد نبوته وأنه ليس بمعَلّم أبداً من قِبَل البشر، فكانت الأمية فيه ﷺ شرف حين منع ربنا

سبحانه أن يتفضل عليه أحد بأدنى علم، ليكون هو سبحانه وتعالى معلمه الذي تولى تعليمه .

١٣- قربه من الناس ومحبتهم له ولخلقه الحسن لأنه كان يعين الضعيف ويعطي المحتاج ويكرم الضيف ويصدق الحديث ويعين على النوائب .

١٤- جعله في أهل الفصاحة والبلاغة والبيان إعجازاً لهم ومصداقيةً له .

١٥- مظاهر وإرهاصات الإعجاز والنبوة قبل بعثته ﷺ كحادثة شق صدره وقصة الراهب بحيرا وتسليم الحجر عليه .

١٦- صفاء نفسه ﷺ وانقطاعه للتفكر والتدبر والتأمل في غار حراء بعيداً عن الناس قبل أن يبعث بثلاث سنين .

١٧- وجود خاتم النبوة في ظهره ﷺ مثل بيضة الحمام .

١٨- نزول الوحي عليه ﷺ وله من العمر (٤٠) سنة وهو في أتم رجاحة العقل والوعي .

١٩- إن جبريل عليه السلام هو ملك الوحي، وأن الوحي كان يأتيه ﷺ بعدة صور مختلفة .

٢٠- أول الوحي كان بنزول سورة العلق وبلفظ (اقرأ) .

٢١- حماية السماء بالشهب والنجوم رجماً للشياطين حتى لا يختلط أمر النبوة والوحي ولا سيما حال نزول القرآن الكريم

باستراق الشياطين للسمع، وبكلام الكهان والسحرة الذين يزيدون فيما يسترقه الشياطين .

٢٢- تهيؤ العالم كله لاستقبال نور خاتمة الرسالات السماوية، ذات المنهج الباقي إلى قيام الساعة .

٢٣- تحقق البشارات بالنبي الكريم محمد ﷺ في الكتب السماوية السابقة .

٢٤- حماية ربنا سبحانه وتعالى لبيته العتيق منذ القدم، فهو بيت معظم محرم منذ خلق الله عز وجل الأرض ومن عليها .

٢٥- كان أول نزول للقرآن الكريم في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك زماناً، وفي غار حراء في البلد الأمين مكة المكرمة مكاناً .

٢٦- شهود رسول الله ﷺ بعض أحلاف الجاهلية وثناؤه ﷺ على بعضها لما فيها من خير ومعونة للضعيف والمحتاج .

٢٧- عمله في التجارة فتح لها آفاق ﷺ ورحلاته حققت له مكاسب .

٢٨- نواله ﷺ شرف وضع الحجر الأسود في مكانه بعد وضعه من قِبَل أبيه وجده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام له .

٢٩- رؤية رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام على هيئته الحقيقية وله ست مائة جناح قد سد الأفق .

٣٠- ظهور علامات النبوة عليه ﷺ بما لا يدع مجالاً للشك في ذلك، حين ظهرت لورقة بن نوفل رضي الله تعالى عنه وبكل وضوح .

٣١- فتور الوحي عنه ﷺ لحكمة قضاها الله سبحانه ليزداد ﷺ شوقاً واستعداداً نفسياً لتلقيه مرة أخرى، ومن ثم النهوض بأعباء النبوة والرسالة بهمة وتصميم وعزيمة أقوى .

هذه أهم الدروس والعبر المستفادة من سيرته ﷺ قبل بعثته ونبوته وهي فوق الحصر، والله تعالى أعلى وأعلم .

الفصل الثاني : بعد البعثة .

الدعوة السرية .

أوائل المسلمين .

الدعوة الجهرية .

طرق وأساليب رد الدعوة .

صور من إيذاء المشركين .

صور من اضطهاد المستضعفين .

شعب أبو طالب .

هجرتا الحبشة الأولى والثانية .

عام الحزن (وفاة أبو طالب وخديجة) .

الزواج بسودة .

رحلة الطائف .

الإسراء والمعراج .

الطواف على القبائل .

بيعتا العقبة الأولى والثانية .

بداية الدعوة

بدأت الدعوة إلى دين الله تعالى سرية، ومكثت على ذلك (٣) سنين أسلم فيها الكثير من أهل بيته ﷺ وأوائل المسلمين الذين كان لهم السبق في الإسلام، و لم يسلم فيها من بني هاشم الكثير، على الرغم من وجود القرابة، وهذا دليل يوضح لنا أن العصبية القبلية ليس لها مقام أو قدر أو دور في الإسلام .

أوائل المسلمون

وكان أول شأن الدعوة السرية أن أسلم أهل بيته ﷺ وكل المقربين منه ممن وثق بهم، فكان أول من أسلم من الرجال (أبو بكر الصديق) رضي الله تعالى عنه لصحبته وصداقته له ﷺ، وكان أول من أسلم من النساء زوجته (خديجة بنت خويلد) رضي الله تعالى عنها، ثم كان أول من أسلم من الصبيان ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، ثم كان أول من أسلم من الموالي (زيد بن حارثة) رضي الله تعالى عنه مولاه الذي تبناه قبل ذلك في الجاهلية .

ثم أسلم على يد أبي بكر الصديق لأنه كان تاجراً محبوباً في قريش سهل المعاملة، بعض نفر منهم (عثمان بن عفان والزبير بن

العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله) رضي الله تعالى عنهم .

ثم أسلم بعد ذلك أبو عبيدة عامر بن الجراح، وأبو سلمه وامرأته، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد وزوجته، والأرقم بن أبي الأرقم، وعبد الله بن مسعود وعثمان بن مظعون وأخواه قدامه وعبد الله، وجعفر بن أبي طالب وزوجته أسماء بنت عميس، وخالد بن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنهم .

وكذلك أسلم خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار بن ياسر وأبواه (ياسر وسمية) والمقداد بن عمرو رضي الله تعالى عنهم، وغيرهم من المتقدمين السابقين إلى الإسلام حتى وصل عددهم (٨٠) كانوا يجتمعون في دار الأرقم رضي الله تعالى عنه سراً مع رسول الله ﷺ، ويصلون في شعاب مكة سراً وعلى خفية من قريش بأمرهم، لما فرضت الصلاة .

الدعوة الجهرية

وبعد (٣) سنين أنزل الله جل في علاه على رسوله الكريم ﷺ قوله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[1] .

[1] سورة الشعراء .

ثم تلاه نزول قوله سبحانه : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[1].

فكانت هذه الآية بداية للدعوة الجهرية وإعلان النبوة فأخذ ﷺ بإنذار قومه وقبيلته من بني هاشم ودعوتهم إلى الإسلام، ثم باقي قبائل قريش، ولكنه وجد منهم إعراضاً شديداً، لأنه جاء بأمر ما عهدوه خالف فيه تراث أبائهم .

فكان أول ما فعله ﷺ أن أعلن على الملأ في مكة ذلك، حيث صعد جبل الصفا يوماً ونادى بأعلى صوته قريشاً قائلاً : (**يا صباحاه**) فحضر القوم جميعاً سراعاً متسائلين ما الخبر ؟ فقال لهم ﷺ : (**أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي**) فقال القوم : (ما عهدنا عليك كذباً) فقال حينها ﷺ : (**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**) . فكانت أول معارضة للدعوة هي قول عمه أبي لهب : (**تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا**)[2]، وتفرق القوم، ونزل قول الله تعالى : ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾[3]. بعد ذلك شاع خبر الدين الجديد وأخذ

---

[1] سورة الحجر .

[2] متفق عليه .

[3] سورة المسد .

عدد المسلمين يكثر ويزداد حتى فشا أمرهم في قريش وعلموا أن النبي ﷺ يسفه آلهتهم ويحقرها ويسبها ويقول إنها أصناماً وأوثاناً صماء لا تضر ولا تنفع، فأجمعت قريش بعد ذلك على عداوته .

الوفد :

ولما بدأت شوكة المسلمين تشتد وعددهم يزداد ورأت قريش أن خطرهم يزيد ويستفحل مع الوقت ذهب وفد من أشرافها طالبين من عمه أبي طالب أن يكفه عنهم أو أن يسلمه لهم وعرضوا عليه عدة أمور كالسيادة والرئاسة والمنصب والمال والزواج والتطبب إن كان مريضاً، ولما أخبره أبو طالب ما قالته قريش وعرضته عليه ﷺ أجاب عمه قائلاً : (**يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه**)[1].

أراد بذلك ﷺ أن يوضح لعمه عظم ذلك الأمر ومدى أهميته لأنه أمر دين جاء من عند الله تعالى فهو ليس بالهين، لذا قال أبو طالب لما علم ذلك ورأى موقفه ﷺ الثابت الذي لا يتزعزع والحازم الذي لا يتزحزح قال له عندها : (**إذن والله لا أسلمك لشيء تكره**) .

---

[1] دلائل النبوة للبيهقي ولأبي نعيم وغيرهما .

وهنا عظم الخلاف بينه ﷺ وقريش، وبدأ العداء الواضح المترصد المتربص بالمسلمين، وأصبحت قريش تحسب حساباً للمسلمين وأصبح سادتها وأشرافها وأكابرها يزرعون المكائد بالنبي ﷺ وأصحابه حتى وصل الأمر بهم بأن أخذوا يعذبون ويقتلون المستضعفين من المسلمين ويردونهم عن دينهم بكل وسائل التعذيب والتضييق، وصاروا يقذفون النبي الكريم ﷺ بالتهم الكاذبة، فتارة يقولون عنه ﷺ هو (ساحر) وتارةً هو (كاهن) وتارةً هو (مجنون) وتارةً هو (كذاب) وتارة هو (شاعر)[1].

وزاد عناد قريش وحنقها عليه ﷺ وعلى المسلمين فازدادت بالتضييق عليهم وصارت تفكر في كيفية حسم هذه الثورة العارمة بكل حزم وحسم جازم يضمن لها إخماد هذه القضية، مما جعل الرسول الكريم ﷺ يصاب بالغم فذهب إلى بيته يتغطى بثيابه فأنزل الله جل في علاه قوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾

[1] حتى قالوا عنه أنه مُعَلَّم كان يعلمه رجل نصراني رومي صقلي يشحذ السيوف كان ﷺ يجلس إليه أحياناً يقال له : (يعيش، وقيل عايش، وقيل جبر) ويكنى بأبي فكيهة كان عبداً لبني الحضرمي فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[النحل] .

وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴿٧﴾ ﴾[1]. ولما قرب موسم الحج خافت قريش شيوع أمره ﷺ وانتشار خبره بين القبائل وقررت صده عن ذلك فاجتمعوا عند الوليد بن المغيرة ليقرروا مقالتهم فيه وأخذوا يتشاورون ويطلقون عليه التهم حتى اتفقوا على أن يطلقوا عليه أنه (ساحر يفرق بين الولد وأبيه) .

أرادوا بذلك أن تتوحد كلمتهم أمام القبائل ولا يختلفوا في ذلك، ثم صاروا في المواسم يحذرون الناس منه بشتى الطرق وكل السبل ويقولون : هو ساحر كذاب، بينما كان ﷺ يغتنم فرص تجمع الناس في أنديتهم وفي المواسم والأسواق الشهيرة ليدعوهم إلى الله تعالى وإلى دينه الحق .

بينما كان عمه أبو لهب خلفه في كل مكان يقول للناس : (لا تصدقوه إنه صابئ كذاب) ليصد الناس عن اتباعه ﷺ .

طرق رد الدعوة

كانت قريش قد استخدمت عدة طرق وأساليب لرد دعوته ﷺ ومحاولة القضاء عليها والتثبيط لكل من أراد الإسلام، حتى لا يكون لتلك الدعوة الربانية أثراً ظاهراً، لأن ذلك يشكل خطراً

[1] سورة المدثر صدر السورة .

عليها ويهدد مصالحها ومركزها وسيادتها على سائر قبائل العرب، من تلك الطرق والأساليب :

١- المساومة على أمور الدنيا وزينتها كالمفاتن والمناصب والملذات وسائر المرغوبات .

٢- الاستهزاء والسخرية وتحقير شأن الإسلام والمسلمين بالتكذيب والضحك، مما خذل الكثير من الناس عن الدخول في الإسلام .

٣- إثارة الفتن والشبهات والأكاذيب والشائعات حول رسول الله ﷺ والدعوة لتحبيط كل من أراد اعتناق الإسلام .

٤- المعارضة بالأقاويل والادعاءات ورد القرآن الكريم والبراهين المؤيدة له ﷺ بقولهم إنها أساطير الأولين .

٥- التعذيب والاضطهاد بتسليط القوة على المستضعفين من المسلمين .

٦- إيهام القبائل خارج مكة بأن كلامه ﷺ مختلقٌ ولا يعبأ به، والتقليل من شأنه ﷺ وما جاء به من دين حق .

٧- إثارة الحمية لدى البعض لرده عن الدخول في الإسلام وتمسكه بدين آبائه وأجداده، ومحاولة التأثير على عمه أبي طالب ليكفه عنهم أو أن يتخلى عن نصرته ومؤازرته ﷺ .

٨- تسليط الشعراء عليه ﷺ بهجائه والتعريض به وبدعوته ﷺ .

٩- المقاطعة لكل من أسلم وآمن بالله العظيم للضغط عليه بغية الرجوع عن الإسلام .

١٠- مطالبتهم له ﷺ بالمعجزات لا للتصديق وإنما للتعجيز .

١١- تكذيبه ﷺ في كل شيء جاء به رغم علمهم اليقيني بصدقه ﷺ، والانتقاص من شأنه ومحاولة عدم شيوع خبره خارج مكة .

١٢- اتصالهم باليهود كي يسألوه عن أسئلة تعجيزية لعلمهم بالكتب السماوية .

هذه أهم طرق وأساليب رد الدعوة الإسلامية التي استخدمتها قريش لرد كل من أسلم وإجباره للرجوع عن دين محمد ﷺ كما تزعم، ومحاولتهم الحثيثة لطمس نور الحق الذي جاء به ﷺ .

صور من إيذاء المشركين للرسول

مكث ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو قومه فيها إلى دين الحق استعمل معهم كل طرق وأساليب الدعوة، ورغم ذلك وجد معارضات شديدة من قومه لدرجة تعرضه للأذى المعنوي بل والمادي، كالتعدي الجسدي عليه ﷺ .

وسأورد هنا بعضاً من الحوادث والوقائع التي تبين مدى أذى المشركين الذي لحق به ﷺ بوجه مباشر :

الأولى :

بينما كان رسول الله ﷺ يصلي يوماً عند الكعبة إذ قال قائل من مجرمي قريش : أيكم يضع سلا[1]؛ جزور آل فلان على كتفي محمد، فانبعث أشقى قريش وهو (عقبة بن أبي معيط)[2].

فأخذ السلا ووضعه على النبي ﷺ وهو ساجد فجاءت ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي صغيرة فأزالت ذلك عن أبيها، فلما فرغ ﷺ من صلاته أخذ يدعوا عليهم وقال : (**اللهم عليك بقريش**) (٣) مرات ثم سمى منهم (٧) أشخاص بأسمائهم هم : (عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل عمرو بن هشام، وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد) .

فكان كل هؤلاء الذين دعا عليهم ﷺ بأسمائهم صرعى في قليب بدر يوم المعركة، إلا عقبة بن أبي معيط فإنه قد قتل في الأسر قبل وصوله المدينة، عمارة بن الوليد هام على وجهه في بلاد الحبشة وتاه .

---

[1] السلا : جلدة المشيمة والأمعاء من الحيوان .

[2] عقبة بن أبي معيط هو زوج أروى بنت كريز ابنة عمة رسول الله ﷺ أم حكيم بنت عبدالمطلب الملقبة بالبيضاء، ولها ثلاثة أولاد منه هم : الوليد وخالد وأم كلثوم وجميعهم من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عن الجميع .

الثانية :

كان ﷺ يصلي يوماً بفناء الكعبة إذ جاء عقبة بن أبي معيط فأمسك بردائه ﷺ ولواه حول عنقه وخنقه به خنقاً شديداً حتى جاء أبو بكر رضي الله تعالى عنه ودفع عقبة عن النبي ﷺ وفك الثوب عن رقبته وهو يبكي ويقول له : ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴿٢٨﴾﴾[1].

الثالثة :

اجمع المشركون ذات مرة واتفقوا عند الحجر لئن رأو محمداً أن يقتلوه فسمعت ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها ذلك وذهبت وأخبرت أباها، فقال لها ﷺ : لا تخافي يا بنية وأمرها بإحضار وضوء له، فتوضأ ﷺ ثم خرج، فلما أبصره القوم لم يستطع أحداً منهم أن يدنوا منه بل وخفضوا أبصارهم فأقبل رسول الله ﷺ نحوهم وأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال : (**شاهت الوجوه**)، فكان كل من أصابته حصاة منهم في أرض المعرفة مات كافراً يوم بدر .

---

[1] سورة غافر .

الرابعة :

كانت أم جميل زوجة أبي لهب تؤذي النبي ﷺ أذىً كبيراً، ومن ذلك الأذى أنها كانت تضع الشوك في طريقه ﷺ، وزاد حنقها بعدما نزل قول الله تبارك وتعالى في زوجها : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾[1].

وفي يوم أقبلت على رسول الله ﷺ وهو جالس عند الكعبة ومعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وفي يدها فهر (حجر صغير) وهي تريد أن تضرب به رسول الله ﷺ فلما وصلت إليهما أخذ الله تعالى بصرها فرأت أبا بكر رضي الله تعالى عنه جالس وحده ولم تر رسول الله ﷺ، فسألت أبا بكر عنه وقالت له : أين صاحبك يا أبا بكر ؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله إني لشاعرة، وأخذت تقول : (**مذمماً أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا**)[2].

فكان النبي ﷺ يقول لأصحابه رضوان الله تعالى عنهم : (**ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً وأنا محمد**)[3].

---

[1] سورة المسد .

[2] رواه الحاكم والحميدي وأبو يعلى والبيهقي في دلائل النبوة .

[3] رواه البخاري .

الخامسة :

قال أبو جهل يوماً للقوم : هل يعفّر محمداً وجهه لربه بين أظهركم فقيل له : نعم، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ثم إن النبي ﷺ خرج يصلي عند الكعبة فلما رآه أبو جهل أقبل نحوه زعم أنه يريد أن يفعل ما قاله، فلما دنا من النبي الكريم ﷺ عاد مسرعاً وهو يدفع بيديه، فقال له القوم : ما بالك، فقال لهم : عجباً إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، قال ﷺ في ذلك : (**أما لو دنا مني لاخطفته الملائكة عضواً عضواً**)[1].

اضطهاد المستضعفين

كانت قريش تنكل بالمستضعفين من المسلمين لتفتنهم وتردهم عن دينهم، ولكي تجعلهم عبرة لكل من أراد أن يسلم فترده نفسه عن ذلك .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أول من أظهر إسلامه (٧) هم : (رسول الله ﷺ ومنعه من القوم عمه أبو طالب، وأبو بكر ومنعه قومه، وعمار بن ياسر وأمه سميه وبلال والمقداد وصهيب) .

---

[1] رواه مسلم .

وهؤلاء الخمسة الباقون لم يمنعهم أحد بل لاقوا من قريش الذل والهوان وصنوف العذاب والنكال فألبسوهم الدروع وصهروهم في الشمس، وكلهم قد أجابهم إلى ما أرادوا منه إلا بلال فقد هانت عليه نفسه في الله تعالى فلم يجبهم إلى ما أرادوا منه، فأعطوه الولدان يطوفون به شعاب مكة وهو يقول : (أحدٌ أحد) حتى اشتراه أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأعتقه لوجه الله تعالى .

وأما عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه فقد أجابهم إلى ما يريدون ونطق باللات والعزى وهو كاره لذلك، فنزل قول الله تعالى فيه : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴿١٠٦﴾ ﴾[1] . أما أبواه فقد ماتا وهما يعذبان، فكانت أمه سمية رضي الله تعالى عنها أول شهيدة في الإسلام، وفيهم قال ﷺ : (**صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة**)[2] .

الصفا ذهباً :

ولما رأت قريشاً أن أمر المسلمين قد انتشر وشاع في مكة وخارجها وأنها لم تفلح في رد ذلك الزحف المتزايد أو أن تحد منه

---

[1] سورة النحل .

[2] رواه الحاكم والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في شعب الإيمان .

لجأت إلى طلب المعجزات من رسول الله ﷺ لإثبات نبوته وتصديق قوله، فقالوا له : (**يا محمد ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً**) فدعا ﷺ الله تعالى بذلك، فنزل جبريل إلى النبي ﷺ وأخبره أن الله تعالى يقول لك : (إن شئت أصبح الصفا ذهباً فمن كفر بعد منهم عُذب عذاباً لا يعذب مثله أحد من العالمين، وإن شئت فتح لهم باب التوبة والرحمة، فاختار ﷺ أن يفتح لهم باب الرحمة والتوبة[1]، ونزل قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾[2].

شق القمر :

ثم طلبوا منه ﷺ أن يريهم القمر نصفين فدعا ﷺ الله تعالى فانشق القمر إلى نصفين حتى رأى القوم جبل حراء بين شقيه ونزل قوله الله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾[3]. ولكن المشركين رغم ما حصل من معجزة عاندوا وكابروا وقالوا لرسول الله ﷺ إنما أنت ساحر قد سحرت أبصارنا، وجاءت قافلة

---

[1] رواه النسائي في الكبرى وأحمد والحاكم والبزار والبيهقي في السنن الكبرى .

[2] سورة الإسراء .

[3] سورة القمر صدر السورة .

من الشام بعد عدة أيام فسألتهم قريش فشهدوا بأنهم قد رأوا القمر نصفين في ليلة كذا .

بعد ذلك : لم تكف قريش على ممارساتها في التكذيب والتعذيب وملاحقة المستضعفين، وإنما كثر أذاها واضطهادها لهم وبالأخص للذين ليس لهم منعة من قومهم، وهنا أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة والإقامة فيها عند ملكها العادل (أسحمة) وقال عنه : (إنه لا يظلم عنده أحد) .

فكانت الهجرتان إلى الحبشة، لكل من وقع تحت طائلة التعذيب من المستضعفين، وهاتان الهجرتان لم تكونا واجبتين كالهجرة إلى المدينة والتي استمرت حتى تم فتح مكة .

هجرة الحبشة الأولى :

وكانت في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة وكان عدد الذين هاجروا في البداية (١٢) رجلاً و (٤) نسوة استأجروا مركباً في البحر حتى وصلوا الحبشة، وأخذوا يتتابعون حتى وصل العدد نحو السبعين من المستضعفين .

أعقاب الهجرة الأولى :

وكان عقب الهجرة الأولى أن قرأ رسول الله ﷺ ذات يوم على قريش سورة النجم على قريش فسجد وسجدوا معه جميعاً

إلا الوليد ابن المغيرة **وقيل** : أمية بن خلف فإنه أخذ كفاً من تراب وسجد عليه لكبر سنه، فشاع الخبر بذلك أن قريشاً قد آمنت بالله تعالى وأسلمت له، فعاد كل الذين هاجروا إلى الحبشة وهم يحسبون أن ذلك قد حصل بالفعل، لكنهم لم يجدوا ذلك صحيحاً فكانت الهجرة الثانية .

هجرة الحبشة الثانية :

وكان عدد المهاجرين في المرة الثانية (٨٣) رجلاً و(١٨) امرأة مكث فيها المسلمون آمنين في ظل الملك النجاشي (أسحمه)، في حين أرسلت قريشاً في إثرهم عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة لردّ من هاجر إلى الحبشة، لصحبته وصداقته للنجاشي وأرسلوا معه الكثير من الهدايا له ولوزرائه، وكانت النتيجة أن دار حوار بين المهاجرين والنجاشي حول شبهٍ أثارها عمرو، ولكن النجاشي لم يقتنع بها وعلم أن الحق مع خصومه، فلم يرض أن يسلمهم لقريش لما عرف من الحق، بل وأعطى الأمان للمسلمين في أرضه . وكان مجموع المهاجرين في الهجرتين قد وصل نحو (١٥٠) . ولما مات النجاشي (أسحمة) صلى عليه النبي ﷺ صلاة الميت الغائب في السنة العاشرة من الهجرة لأنه آمن بالله تعالى، وهي أول صلاة تصلى على الميت الغائب .

شعب أبي طالب والمقاطعة

ولما فشلت قريش في رد المهاجرين من الحبشة لمكة قرر زعماؤها وأشرافها مقاتلة بني هاشم، فأجمع بنو عبد المطلب على أن يدخلوا شعب أبي طالب مسلمهم وكافرهم ليحموه ﷺ فيه، فدخلوا فيه جميعهم إلا أبو لهب لم يكن معهم، فعزمت قريش عندئذ على مقاطعتهم، وكان أمر الصحيفة التي تعاهدوا فيها، والتي تقتضي أن لا يجالسوا بني هاشم ولا يؤاكلوهم ولا يشاربوهم ولا يخالطوهم ولا يبايعوهم ولا ينكحوهم حتى يسلموا لهم رسول الله ﷺ للقتل، ثم كتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة المشرفة .

ومكثت الصحيفة (٣) سنين اشتد فيها البلاء والجوع والكرب على بني هاشم في الشعب لا يصلهم من الطعام والشراب شيء إلا ما كان خفية، حتى قام بعض نفر من قريش بنقض الصحيفة وهم (هشام بن عمرو وزهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود) اتفقوا بينهم ليلاً على نقض الصحيفة وتوافقوا عند الكعبة صباحاً .

ونزل الوحي على رسول ﷺ يخبره أن الأرضة قد أكلت تلك الصحيفة الظالمة ولم يبق منها سوى (**باسمك اللهم**) فأخبر عمه

بذلك فذهب أبو طالب إلى قريش وأخبرهم الخبر وقال لهم إن صدق ابن أخي رجعتم عن قطيعتنا وإن كذب خلينا بينكم وبينه فقبلت قريش بذلك .

وهنا جاء النفر الذين كانوا قد اتفقوا على نقض الصحيفة ليلاً وتكلموا مع القوم في شأن إخراج الصحيفة وتمزيقها فأبى عليهم القوم وعارضوهم ودار بينهم حوار شديد اللهجة كان نتيجته أن أخرجوا الصحيفة بالقوة فقال عندها أبو جهل : **هذا أمر دبر بليل**، ولما أخرج القوم الصحيفة وجدوا الأرضة (العتة) قد أكلتها و لم يبق منها سوى كلمة : (**باسمك اللهم**) .

عام الحزن

كان موت أبي طالب وخديجة رضي الله تعالى عنها في عام واحد، مما أتاح الفرصة السانحة لقريش بإلحاق الضرر بكل أنواعه بالنبي ﷺ حتى توالت عليه المصائب والأحزان، حتى سمى ذلك العام بعام الحزن .

وفاة أبو طالب :

في أواخر السنة العاشرة من البعثة وبعد الخروج من الشعب بـ(٦) أشهر فقط حضرت أبو طالب الوفاة، فحضر عنده زعماء

قريش كأبي جهل وعبد الله بن أبي أمية وعتبة بن ربيعة وغيرهم، حضروا عنده رجاء أن يكف عنهم ابن أخيه وهو في حالة ضعف (قبل موته) وقالوا له : قد علمت ما فعله ابن أخيك بنا وجئناك كي تقضي بيننا وبينه، فقال أبو طالب له ﷺ : ما بال قومك يشكونك، فقال ﷺ : أرأيتم أن أعطيتكم ما تريدون هل تعطونني أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، فقال القوم : نعم وأبيك وعشر كلمات، فقال أبو طالب : ما هي يا ابن أخي ؟ قال ﷺ : قولوا (لا إله إلا الله) فنهض القوم وهم ينفضون ثيابهم وهم يقولون : أما هذه فلا أجعل الآلهة إله واحداً[1]، فنزل قول الله تعالى من سورة ص : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾[2].

وكان ﷺ يقول لعمه : (**يا عم قل : لا إله إلا الله، أشهد لك بها عند الله**) في حين كان زعماء قريش يقولون له : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب، فكان ﷺ يلح على عمه بأن ينطق بشهادة التوحيد، وهم يصدونه عن النطق بها حتى مات على دين وملة عبد المطلب، فأنزل الله تعالى شأنه فيهم : ﴿ إِنَّكَ لَا

[1] رواه النسائي في الكبرى وأحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي في السنن الكبرى وغيرهم .

[2] سورة ص .

تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾[1].

مكر أبي جهل وعقبة :

لم مات أبو طالب أخذت الحمية أبو لهب لأنه سمع أحد المشركين يسب النبي ﷺ فجاء إلى النبي ﷺ وقال له : يا محمد امض إلى ما أردت يا ابن أخي فلن يصلك مكروه أبدآ ما دمت حياً حتى أموت .

فشاع الخبر في قريش أن أبا لهب قد صبأ، فجاءه أشراف القوم وسألوه عما حصل منه، فقال لهم : ما صبأت ولكني امنع ابن أخي من أن يضام، فقال له القوم : قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم، فمكث أياماً ﷺ لا يصله مكروه حتى كاد له أبو جهل وعقبة بن أبي معيط بمكيدة فجاءا إلى عمه أبي لهب فقالا له : سل ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ فجاء أبو لهب إلى النبي ﷺ وسأله عن ذلك فأجاب ﷺ أنه يحشر مع قومه، فخرج من عنده وأخبرهم بما قال، فقالا له : إنه يزعم أنه في النار فرجع أبو لهب وقال للنبي ﷺ : أيدخل عبد المطلب النار، فقال ﷺ : ومن مات على ما مات عليه عبدالمطلب يدخل النار، فاشتد غضب أبو لهب

[1] متفق عليه . سورة القصص .

عند ذلك وقال : لا والله ما برحت لك إلا عدواً، ومن بعـــدها اشتد حنق قريش وكيدها به ﷺ، ولا سيما بعد أن نجح أبو جهل وعقبة بالمكر به والكيد له عند عمه أبي لهب .

وفاة خديجة رضي الله تعالى عنها :

وبعد وفاة أبي طالب بعدة أشهر توفيت خديجة بنت خويلـــد رضي الله تعالى عنها أولى زوجاته ﷺ قبل أن تفـــرض الصـــلاة، وكان عمرها آنذاك (٦٥) سنة ودفنت بالحجون وكـــان عمـــر الرسول الكريم ﷺ آنذاك (٥٠) سنة . وفي فضلها رضي الله تعالى عنها قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : (**أتى جبريل النـــبي ﷺ فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك، فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل، ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب**)[1].

الزواج بسودة رضي الله تعالى عنها :

تزوج ﷺ من (سودة بنت زمعة) بعد وفاة خديجة رضي الله تعالى عنهما، وكانت قد أسلمت وهاجرت مع زوجها (السكران

[1] متفق عليه . والقصب أي : الذهب وقيل الؤلؤ المجوف .

بن عمرو) إلى الحبشة، ولما مات عنها تزوجها ﷺ، وكانت أولى زوجاته بعد خديجة رضي الله تعالى عنهما، ومكثت عند رسول الله ﷺ ثلاث سنوات منفردة قبل أن يتزوج غيرها، وهي التي وهبت يومها لعائشة رضي الله تعالى عنهما بعد ذلك، وتوفيت رضي الله تعالى عنها سنة (٥٤) للهجرة . وقد روت عن رسول الله ﷺ (٥) أحاديث .

موقف كفار قريش :

وكان موت أبي طالب وخديجة رضي الله تعالى عنها فرصة كبيرة سنحت لقريش وسهلت لها النوال منه ﷺ، فازدادت ضراوتها وكثر عدائها ونكالها بموت عمه الذي كان ينصره ويأويه ويدفع عنه ويمنعه، وكثر عليه الحزن وكبر الهم بموت زوجته خديجة رضي الله تعالى عنها التي كانت تخفف عنه وتصبره وتشد من أزره ﷺ وتطييب خاطره بالقول الذي يخفف الأحزان ويشحذ الهمم . وتراكم عليه الحزن ﷺ بموت عمه، وبموت زوجته الصبورة، وبموقف قريش الذي ساء، ولم يعد له نصير يرتكز عليه وينصره . لذا فكر رسول الله ﷺ في البحث عن مركز قوة ومنعه بدلاً من الذي قد فقده، لينطلق بالدعوة ويستكملها، فكانت رحلة الطائف .

رحلة الطائف

وكانت في شهر شوال من السنة (١٠) من البعثة، وكانت المدة التي مكثها ﷺ في الطائف (١٠) أيام، وكان الغرض منها طلب المناصرة من قبيلة ثقيف .

رحل ﷺ إلى الطائف لطلب المناصرة والتأييد من أهلها، فلما وصل إلى سيدها (ابن عبد ياليل بن عبد كلال) عرض عليه أمره وطلب منه النُصرة ولكنه رده رداً جافياً وأغلظ عليه و لم يجبه إلى ما أراد، فطلب منه رسول الله ﷺ عندئذ ألا يفشي سره فلم يقبل منه ذلك بل وحرّض عليه أهل الطائف بنوهم وصبيانهم وسفهاءهم أن يسبوه ويشتموه ويرشقوه بالحجارة حتى أدموا قدماه ﷺ وكان زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه يقيه ﷺ ويدفع عنه فأصابته شجاج وجروح، واستمر السفهاء يفعلون ذلك به حتى آوى إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة فدخله ﷺ فانصرف عنه القوم .

وكان في البستان عتبة وشيبة فلما رأياه أرسلا إليه ﷺ غلام لهما نصراني اسمه (عدّاس) بقطف عنب فأخذه ﷺ من الغلام وقال : (**بسم الله**) وبدأ بأكله فسمع ذلك الغلام قول النبي ﷺ : (بسم الله) قبل أكل العنب فتعجب من ذلك ثم علم أنه ﷺ نبي هذه الأمة، فأسلم .

بعد ذلك خرج ﷺ من الطائف مهموماً مغتماً منكسر الخاطر لما سمع ولاقى من أهل الطائف وأخذ يسير .

وهنا وفي هذه الأثناء واللحظات الحرجة والهموم والأحـــزان تختلج صدره ﷺ من كل حدب وصوب لهـــج إلى ربـــه تعـــالى وتضرع إليه بدعاء مؤثر جداً قال فيه ﷺ : (**اللهم إليك أشـــكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الـــراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى مـــن تكلـــني إلى بعيـــد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضـــب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخـــرة مـــن أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك**)[1].

فلما وصل ﷺ إلى قرن الثعالب (قرن المنازل) إذ بسحابة تظله فرفع ﷺ رأسه، فإذا جبريل فيها فناداه وسلم عليه وقال لـــه : إن الله تعالى قد سمع مقالة قومك لك وقد بعث إليك ملك الجبـــال لتأمره بما شئت، فسلم ملك الجبال عليه ﷺ وقـــال لـــه : إن الله تعالى قد بعثني إليك لتأمرني بأمرك، فإن شئت أن أطبـــق علـــيهم

[1] رواه الطبراني في الكبير وغيره والهيثمي في مجمع الزوائد والبيهقي في دلائل النبوة .

الأخشبين فعلت، فقال ﷺ : (**لا، بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً**)[1].

استماع الجن للقرآن الكريم :

وفي طريق عودته ﷺ إلى مكة، وفي إحدى الليالي وهو يتعبد ويصلي لله تعالى بالليل في مكان يقال له وادي نخلة بين مكة والطائف إذ مر به نفر من جن نصيبين (مكان بين العراق والشام) فاستمعوا للقرآن ولقراءته ﷺ فلما فرغ من صلاته، ولوا إلى قومهم منذرين وقالوا : إنا قد سمعنا قرآناً عجباً، فآمنا به، ونزل قوله سبحانه : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ ﴾ . ثم قابلهم ﷺ مرة ثانية لما جاءوا بقومهم مسلمين وذلك في مكة في مكان يدعى الحجون، فآمنوا به وصدقوه، ثم إنه ﷺ بيّن لهم بعض ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم .

دخول مكة :

ولما وصل رسول الله ﷺ مكة المكرمة منعه قومه من دخولها فأرسل ﷺ للمطعم بن عدي يستجيره فأجاره المطعم، حيث لبس

---

[1] متفق عليه . والأخشبان جبلان تحيط بمكة **قيل** هما : الجبل الأحمر وجبل أبي قبيس، و**قيل** : جبل قعيقعان وجبل أبي قبيس .

السلاح هو وبنيه وخرج إلى الكعبة المشرفة فقال : يا قـــوم قـــد أجرت محمداً فأجيروه، فقالوا له : أمجير أم تابع قال : بـــل مجـــير فقالوا له : قد أجرنا من أجرت إنا لا نخفر ذمتك، فدخل ﷺ مكة في جواره، وذكر هذه الفعلة رسول الله ﷺ للمطعم حيث قال بعد غزوة بدر في شأن الأسرى : (**لو كان المعطم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له**)[1].

الإسراء والمعراج

وبعد العودة من رحلة الطائف كانت حادثة الإسراء والمعراج مواساةً له ﷺ وتطميناً لنفسه وتطييباً لخاطرة، وقد كانت هـــذه الحادثة قبل الهجرة النبوية بسنة واحدة وكان الإسراء والمعراج في ليلةٍ واحدة بالروح والجسد معاً .

والحادثة كما ورد في البخاري رحمه الله تعالى أن النـــبي ﷺ قال : (**فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانـــاً فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى الســـماء الدنيا ...**)[2].

---

[1] متفق عليه .

[2] رواه البخاري .

وحدث في إسرائه ﷺ ذاك أنه صلى بعموم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماوات السبع حتى بلغ سدرة المنتهى، ورأى بعض الأنبياء عليهم السلام في السماوات هناك، ورأى سدرة المنتهى والبيت المعمور ونهر الكوثر والجنة والنار، كما رأى جبريل على هيئته الحقيقية، ورأى مناظر لبعض العصاة وكيفية تعذيبهم، وفي تلك الليلة هناك فوق السماء السابعة فرضت عليه ﷺ وعلى أمته الصلاة المكتوبة، وحديث الإسراء هذا طويل عظيم النفع وكثير الفوائد .

ولما أصبح ﷺ وأخبر قومه بذلك كذبوه، ثم إنهم طلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس تصديقاً لما يقول (وهم يعلمون أنه لم يره في حياته) فرفع الله تعالى له بيت المقدس يراه أمام عينيه لينظر إليه ويصفه لهم، فصار ﷺ يصفه لهم وهم متعجبون من ذلك مبهورون لما يقول .

الطواف على القبائل

كان ﷺ دوماً يتحيّن الفرص وأماكن اجتماع الناس لتبليغ الدعوة، خاصةً في مواسم الحج وأسواق العرب الشهيرة، كسوق عكاظ والمجنة وذي المجاز وغيرها من أماكن تجمع الناس . **قيل** : كان أبو لهب يتبع النبي ﷺ في كل مكان يكذبه ويقول للناس

بصوته : (**إنه صابئ كاذب فلا يغرنكم عن دين آبائكم**) .
وكان ﷺ يقول : من يؤويني من يمنعني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة، وكان يدعو رؤساء القبائل وكبار القوم وأشرافهم ليمنعوه من قريش وكل من عاداه .

ومكث رسول الله ﷺ على ذلك (١٠) سنين، حتى كان اتصاله بالأنصار في مواسم الحج، ففي ذات سنة من السنين لقي وفداً من الأنصار عند العقبة في منى فقال لهم : اجلسوا أكلمكم، فجلسوا فأخذ ﷺ يتلو عليهم القرآن الكريم ويعرض عليهم الإسلام حتى شرح الله تعالى صدورهم للإسلام فأسلموا ثم عادوا إلى المدينة داعين إلى دين الله تعالى، وبعد سنةٍ من ذلك اللقاء وفي موسم الحج التالي كانت بيعة العقبة الأولى .

بيعة العقبة الأولى :

حضر هذه البيعة (١٢) رجلاً (١٠) من الخزرج و(٢) من الأوس وكان ذلك بداية التفاهم والوئام والائتلاف بين القبيلتين تحت راية الإسلام .

وكانت هذه البيعة عند العقبة في منى، ولم يذكر فيها قتال لذا سميت (بيعة النساء) أي ليس فيها المعاهدة على القتال، وكانت شروطها هي :

قال عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه : (بايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن تفرض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فإن وفيتم فلكم الجنة " **فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه**")[1].

وعاد المسلمون إلى المدينة وأرسل معهم ﷺ مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه ليعلمهم القرآن الكريم ويفقههم في أمور دينهم، فمكث فيهم حتى لم يبق في المدينة بيت إلا وقد دخله الإسلام .

بيعة العقبة الثانية :

وفي السنة التالية وبعد عام من ذلك اللقاء، وفي موسم الحج قدم وفد من الأنصار وبايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والنصرة والحرب وكان عددهم (٧٢) رجلاً وامرأتان، وطلب منهم ﷺ أن يخرجوا منهم (١٢) نقيباً يكونوا رؤساء على قومهم فخرج منهم (٩) من الخزرج و (٣) من الأوس . واحتوت

[1] متفق عليه . وما بين التنصيص رواية أخرى .

هذه البيعة على شروط كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قوله : (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله قال : **إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان)** وفي رواية زيادة : **(وألا نخاف في الله لومة لائم)**[1].

أحداث هذه البيعة :

قال كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه وهو ممن حضروا البيعة الثانية : (خرجنا في حجاج قومنا المشركين وقد صلينا وفقهنا في المدينة وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة في أوسط أيام التشريق، وأصحابنا المشركون لا يعلمون بإسلامنا، فنمنا حتى منتصف الليل خرجنا للميعاد نتسلل في الليل حتى اجتمعنا عند العقبة وجاء الرسول وعمه العباس وهو يومئذ كافر ولكنه أراد أن يحضر أمر ابن أخيه، فتكلم رسول الله ﷺ وتلا القرآن ودعا للإسلام ورغب فيه ثم قال : **أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم** . فأخذ البراء بن معرور رضي الله تعالى عنه بيد رسول الله ﷺ وقال : والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله، وهنا قال أبو الهيثم بن التيهان

[1] متفق عليه .

رضي الله تعالى عنه متســـائلاً : **يا رسول الله إن بيننا وبين القوم** (يقصد اليهود) **حبالاً وإنا لقاطعوها فهل إذا أظهرك الله، هل ترجع وتتركنا** فقال ﷺ : بل

الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني)[1]

ثم طلب ﷺ منهم أن يخرجوا (١٢) نقيباً يكونوا رؤساء على باق القوم ثم طلب منهم الانصراف، وفي الصباح جاء جمع قريش يسألون وفد المدينة عما جرى من أمر الليل فحلف لهم المشركون من الخزرج أنه لم يكن هناك شيء و لم يحدث شيء البارحة، وهم لا يعلمون فعلاً بما حدث وهكذا تمت البيعة بسلام وعاد الأنصار إلى المدينة ينتظرون الهجرة النبوية الشريفة .

الدروس والعبر المستفادة من السيرة بعد البعثة

١- الحكمة من جعل الدعوة سرية في بداية الأمر لبناء قاعـــدة أساسية قوية من الثلة المقربة للنبي الكريم ﷺ .

٢- معرفة أن النبوة منهج رباني قويم عام وشامل لكل البشـــر، وأنها ليست دعوة لغرض ما من أغراض الدنيا، فهـــي لا تخـــتص بالأقارب أو القبيلة والعصبية فقط بكل حال .

---

[1] رواه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في دلائل النبوة .

٣- معرفة موقف الأقارب وذي الرحم من القبيلة تجاه الدعوة، لتحديد نصرة النبي الكريم ﷺ أم لا .

٤- إسلام البعض من خارج مكة، مما جعل له الأثر الأكبر في نصرة النبي ﷺ بعد ذلك من خارج مكة ومن ثم نشر الإسلام .

٥- البدء بإعلان الدعوة الجهرية كي تصل إلى كل أرجاء الكون، ومكة آنذاك مهوى الأفئدة ومقصد الناس والقبائل ومسعاهم للحج .

٦- انتشار خبر دين الإسلام بين القبائل، وما تبعه من فرقة صفوف المشركين بمن أسلم، حتى أن كل بيت كان قد دخله الإسلام .

٧- عناد المشركين للرسول ﷺ وأذاهم له، رغم تصديقهم له ﷺ ومعرفتهم بحسن أخلاقه وكريم شمائله وحميد خصاله .

٨- تعذيب المستضعفين من المسلمين ممن ليس له منعة من قومه، فيه دليل على أن أهل الضعف هم أول من يصطلي بنار العداوة ويقع عليهم ظلم المستبدين والمتنفذين .

٩- استغلال الرسول الكريم ﷺ مناصرة عمه أبي طالب وزوجته خديجة رضي الله تعالى عنها في نشر الإسلام، وأن وفاتهما كان لها أثر كبير في إلحاق الضرر والأذى به ﷺ من قِبَل كفار قريش .

١٠- صبره ﷺ الكبير في مجال الدعوة إلى الله تعالى، وقد تجلى ذلك في مواقف كثيرة من سيرته ﷺ، كان أكبرها صبره على قومه ﷺ عندما عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين بمكة المكرمة .

١١- ذهابه ﷺ إلى الطائف طلباً لمناصرة أهله، ومع ذلك رجوعه ﷺ دون تحقيق هدفه المراد، وفي ذلك إقامة للحجة على المشركين .

١٢- إسراؤه ﷺ إلى بيت المقدس ثم عروجه إلى السماء في ليلة واحدة بروحه وجسده ورؤيته الأنبياء عليهم السلام وبعض الأمور الغيبية، وفرض الصلاة المكتوبة عليه ﷺ وعلى أمته من بعده في تلك الليلة من فوق سبع سماوات .

١٣- بيان فضل الصحابة المهاجرين الأول رضوان الله تعالى عنهم إلى الحبشة فراراً بدينهم من الكفر وأهله، وهم الذين كتبت لهم هجرتان إلى الحبشة ثم إلى المدينة .

١٤- حكمة إلهية في توطيد مركز السلطة في المدينة بعيداً عن مركز السلطة المعادي وأعين الأعداء، كي لا يتزعزع أمر الدعوة لاحقاً، ويكون الإنطلاق صحيحاً وعلى أسس .

١٥- طوافه ﷺ على القبائل طلباً للنصرة مما جعل الناس في شغلٍ شاغل بأمر النبوة وهذا الدين الجديد الذي شاعت أخباره،

وفي ذلك دلالة على أن أمر الدعوة أمر شاق وعسر، وأن على الداعية الصبر على كل ما يواجهه من أمور الدعوة .

١٦- معرفة أنه ربما كانت الحيلة في بعض المواقف أفضل من الوسيلة في قضاء الحوائج والتصرف فيها .

١٧- قدرة الله تعالى وتوفيقه للبيعتين في الوقت المناسب وبناء أولى الجبهات القوية من خارج مكة، وكذلك قوة استخبارات قريش وقد ظهر ذلك عندما علموا ببعض أحداث البيعة الثانية .

١٨- وجوب كتمان الأمور المهمة لقضاء الحوائج، وأن كل أمر ذي أهمية يجب قضاؤه بسرية وتكتم ولا سيما أمور الحكم والسياسة والقيام بأمور الدولة والقيادة .

١٩- فضل الأنصار رضوان الله تعالى عنهم ومكانتهم العالية عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ ولا سيما وأنهم أول أنصار الإسلام بعد المهاجرين، وأن بهم كان منطلق الدعوة قوياً، وكذا موقفهم الجميل وهو الإيثار على أنفسهم في كل شيء لإخوانهم المهاجرين وما ذلك إلا لله تعالى .

٢٠- إرادة الله تعالى بأن أسرى بنبيه ﷺ من بيت المقدس مع أنه كان في مكة المكرمة وهي أفضل من بيت المقدس ولا ريب حتى يعلم العالم أجمع أن دين الله عز وجل واحد، وحتى تدخل أرض بيت المقدس ضمن مقدسات المسلمين .

٢١- كانت حادثة الإسراء والمعراج بمثابة الإحتفاء به ﷺ وقد جاءت بعد رحلة الطائف الأليمة فكانت تسلية لـــه ﷺ وكـــأن صوت الحال يقول : إن كان أهل الأرض قد جافوك فأهل السماء يحتفون بك .

٢٢- لا مكان للعصبية في الإسلام إذ لم يسلم في العهد المكـــي من أقربائه ﷺ سوى نفر قليل جداً وهذا يثبت أن الإسلام هـــو الذي جاء بالعصبية لمحمد ﷺ فكانت أخـــوة الـــدين، وليســـت العصبية لمحمد ﷺ هي التي جاءت بالإسلام .

٢٣- كمّ المآسي في حياته ﷺ في العهد المكي تسلية لكـــل ذي مصيبة .

الفصل الثالث : بداية الدعوة .

بداية الهجرة إلى المدينة .

الهجرة النبوية إلى المدينه .

المجتمع الإسلامي وتنظيماته .

الزواج بعائشة .

تشريع الجهاد .

الزواج بحفصة .

أهل الصفة وتحويل القبلة .

سرايا وغزوات الدعوه لنشر الإسلام .

بداية الهجرة إلى المدينة المنورة

بعد بيعة العقبة الثانية أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالهجرة إلى المدينة بعدما رأى أن وضع مكة لا يصلح لاستكمال الدعوة بما أقامته قريش ونصبته من عراقيل وعقبات في طريقه ﷺ والدعوة إلى الله تعالى، وفي نفس الوقت لما رأى ﷺ معالم النصرة والتأييد من أهل المدينة وهم أنصاره ﷺ وأحس فيهم الصدق والفداء له ولدين الله تعالى .

وبدأ المسلمون بالهجرة إلى المدينة فراراً بدينهم من بطش قريش ونكالها، يخرجون مستخفين جماعات وأفراداً خوفاً من كيد قومهم وبطشهم، بينما كانت قريش وأشرافها تحاول منع المسلمين من تلك الهجرة، وتسعى لعرقلة حركتها، ولا سيما رسول الله ﷺ، لأنها تعلم أن ذلك ليس في مصلحتها مستقبلاً، وأنه ﷺ متى ابتعد عنها فلن يكون تحت أبصارها بحيث تكون قادرة على رصده وصده وهو بينهم في مكة .

خبر دار الندوة :

كانت قريش تعقد كل اجتماعاتها في دار الندوة قرب الكعبة المشرفة في الحرم المكي للمشورة ولمداولة الرأي والتخطيط، وعندما رأت خطر الهجرة إلى المدينة، إذ يعني ذلك بداية تكوين

جبهة جديدة وخط دفاع بعيداً عنها لن تستطيع السيطرة عليه، قررت عندها منع الرسول الكريم ﷺ من الهجرة إلى المدينة، فاجتمعت في دار الندوة لتقرر كيفية ذلك .

وأخذ القوم بالاقتراحات والآراء حتى استقر الرأي على أن يجتمع فتية من قريش من كل قبيلة شاباً جدعاً فتضرب محمداً ضربة رجلٍ واحد وبذلك يتفرق دمه بين القبائل ويرغم بني هاشم على قبول الدية، وكان صاحب هذا الرأي هو (أبو جهل عمرو بن هشام) فأيده الجميع وأخذوا يكيدون لذلك، وكان إبليس لعنه الله تعالى جالساً بين القوم على صورة شيخ نجدي كبير أعور، استأذن عليهم في الدخول وقال لهم : (رجل كبير جئت لأعينكم لتخلص من محمد لما علمت مقصدكم) . فكلما قال أحد القوم رأياً لم يصوبه حتى قال أبو جهل ما قال، فأيده إبليس لعنه الله تعالى وقال : هذا والله الرأي، الرأي ما قال الرجل، ومن ثم صاروا يترقبون وقت فعل ذلك والسعي لتنفيذه .

النبي الكريم ﷺ :

أوحى الله تعالى إلى نبيه الكريم ﷺ بالهجرة في تلك الليلة، فأتى بيت أبي بكر رضي الله تعالى عنه ظهراً وأعلمه أن الله تعالى قد أمره بالهجرة إلى المدينة وأنه سيكون صاحبه فيها، ففرح أبو

بكر رضي الله تعالى عنه بذلك وأخذ يتهيأ للسفر ويعد للهجـــرة، وكانت ابنتاه (أسماء وعائشة) رضي الله تعالى عنهمـــا تجهـــزان الراحلتان للمسير .

وبينما ابنته أسماء رضي الله تعالى عنهـــا تجهـــز الراحلـــة إذ اضطرت إلى شق نطاقها نصفين نصف لغطائها ونصف غطت به فم جراب الطعام الذي على الراحلة، فمن ذلـــك سميـــت (ذات النطاقين) .

وعند الفجر خرج رسول ﷺ من بين أظهر المشركين ووضع على رؤوسهم التراب وهم لا يشعرون به ثم توجه إلى بيـــت أبي بكر رضي الله تعالى عنه وخرجوا مباشرة وتوجهوا إلى غار ثـــور أسفل مكة، بينما ظل المشركون ينتظرون وقـــت خروجـــه ﷺ لينفذوا ما قرروه بينهم وأخذوا يخططون له بعد مراقبة اســـتمرت طوال الليل حتى جاءهم الخبر أن النبي ﷺ قد خرج من بين أيديهم وأنه قد حصبهم بالتراب وهم لا يشعرون، فوضعوا أيديهم علـــى رؤوسهم وأخذوا يمسحونه عنها، وفي الحال داهموا البيت فلمـــا دخلوه لم يجدو رسول الله ﷺ بل وجدوا علياً بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه نائماً مكانه ﷺ متغطياً ببردته، فبهروا مـــن ذلـــك وتعجبوا لما رأوه ثم تركوه وانصرفوا .

أما جانب الهجرة فقد كان (عامر بن فهيرة) مولى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما يرعى الغنم ويسوقه خلف رسول الله ﷺ وصاحبه ليطمس الأثر، بينما كان عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما يأتيهما ليلاً بالأخبار وبما قررته قريش .

ومكث رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله تعالى عنه في الغار (٣) أيام على تلك الحال حتى حضر دليلهما (عبد الله بن أريقط) والذي كان قد وعده رسول الله ﷺ بالحضور بعد (٣) أيام .

وهنا اقتفى المشركون أثره ﷺ حتى وصلوا إلى فم الغار، **قيل** : وجدوا حمامة على فم الغار ووجدوا خيوط العنكبوت منسوجة عليه، المهم لما وقف المشركون على فم الغار قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : (والله يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدماه لرآنا) فقال رسول الله ﷺ : (**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**)[1]. ونزل قوله تعالى : ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾﴾)[2].

ثم انصرف المشركون عن الغار دون أن يشعروا بمن فيه، ثم إن قريشاً لما أحست أن النبي الكريم ﷺ قد أفلت من قبضتها أعلنت مكافأة لمن يحضره حياً أو ميتاً هو وصاحبه أبو بكر

---

[1] متفق عليه .

[2] سورة التوبة .

الصديق رضي الله تعالى عنه وكانت المكافأة مقابل ذلك مائة بعير من الإبل .

خبر سراقة :

سلك رسول الله ﷺ طريقاً غير المألوف من ناحية البحر لئلا يتبعه أحد فيدركه، ومع ذلك فقد جاء الخبر لسراقة بن مالك بأن ركباً بجانب البحر كأنه محمد وصاحباه، فقال على الفور (طمعاً في المكافأة) : بل هم بنو فلان يريدون ضالةً لهم، ثم تجهز هو بسلاحه وتبعهما ليظفر بهما ومن ثم يفوز بالمكافأة .

وسار سراقة حتى أدركهما بأرض مستوية وهم أمامه على بُعد، فدعا عليه رسول الله ﷺ فسقط سراقة عن فرسه عدة مرات وساخت ساقا فرسه في الأرض و لم يستطع القيام، فصاح سراقة : يا محمد لن تروا مني ما تكرهون، فدعا له ﷺ فنهض سراقة بفرسه، ثم إنه طلب من رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاباً يبين فيه أنه قد أدركهما فكتب له أبو بكر رضي الله تعالى عنه كتاباً بذلك، ولهذا الكتاب شأن يخص سراقة رضي الله تعالى عنه[1].

---

[1] روى البيهقي في سننه الكبرى وفي دلائل النبوة وابن عساكر في تاريخه وغيرهما قولهم : قال رسول الله ﷺ لسراقة بن مالك : (**كيف بك إذا لبست سواري كسرى ومنطقته وتاجه** ؟ قال : فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه،

خيمة أم معبد :

وفي طريق الهجرة إلى المدينة مر رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد وطلبوا القرى والضيافة فاعتذرت منهم قائلةً لهم أنه لا يوجد عندنا إلا شاة مريضة، فأخذ رسول الله ﷺ الشاة ومسح ضرعها بيده ودعا الله تعالى لها بالبركة، ثم حلب منها في الإناء حتى علت رغوته وشرب منه الجميع فأسلم أبو معبد وزوجته لما رأيا ذلك، ثم قال أبو معبد رضي الله تعالى عنه لرسول الله ﷺ : أنلحق بك، فقال له ﷺ : لا حتى تسمع أني قد ظهرت، ففعل .

دخول المدينة :

وفي ضحى يوم الإثنين (١٢) من شهر ربيع الأول كان دخول رسول الله ﷺ المدينة من جهة قباء والذي بني فيه أول مسجد في الإسلام محل بروك ناقة رسول الله ﷺ القصواء .

ومن ذلك اليوم سميت المدينة بالمنورة، بعد أن كانت تسمى في الجاهلية بـ (يثرب) . وانطلاقاً منه كانت بداية التأريخ الهجري لاحقاً من بداية تلك السنة .

دعا سراقة بن مالك وألبسه إياهما . وكان سراقة رجلًا أزب كثير شعر الساعدين، وقال له : ارفع يديك، وقل : اللَّه أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، الذي كان يقول : أنا رب الناس، وألبسهما سراقة رجلًا أعرابيًا، من بني مدلج، ورفع عمر صوته) . والمِنطقة ما يلف حول الخصر من قماش يقوم مقام الحزام .

قال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه : (قال لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ولما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا)[1].

أهل المدينة المنورة :

ولما بركت الناقة القصواء حيث أمرها الله تعالى، أخذ الأنصار رضوان الله تعالى عنهم يستضيفون رسول الله ﷺ كلٌّ يعرض عليه الإقامة عنده ضيفاً كريماً، بينما عمد أبو أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه دون الناس إلى أخذ متاع رسول الله ﷺ إلى بيته، فنزل فيه رسول الله لما رأى ذلك .

وكان بيت أبي أيوب رضي الله تعالى عنه مكوناً من طابقين فسكن أبو أيوب في الطابق العلوي وجعل النبي الكريم ﷺ في الطابق السفلي ثم إنه ندم على فعلته تلك وذهب إلى رسول الله ﷺ يستسمحه ويطلب منه أن يصعد إلى الطابق العلوي، فقال له ﷺ : يا أبا أيوب إن ذلك أرفق بنا ولمن يغشانا أن نكون في سفل الدار أي أن (وجودنا في الطابق السفلي أيسر لنا لكثرة الداخلين علينا للزيارة فلا مشقة عليك في ذلك) .

---

[1] رواه الترمذي وابن ماجة وابن أبي شيبة والبزار وأبو يعلى .

توقيت :

وكان وصول الرسول الكريم ﷺ إلى حيث مكان المسجد النبوي يوم (الجمعة) المؤرخ (١٦) من شهر ربيع الأول الموافق (٢٠) سبتمبر عام (٦٢٢) من الميلاد .

بعد ذلك :

أمر النبي ﷺ ببناء مسجدٍ في المدينة المنورة فاشترى أرضاً من أخواله بني النجار وبني عليها المسجد النبوي من الجريد وبعد (٤) سنين أعيد بناء المسجد من اللبن، وهو الآن مكان الروضة الشريفة من المسجد النبوي، وكانت طول المسجد من مقدمته إلى مؤخرته (١٠٠) ذراعاً فقط ما يعادل حالياً (٦٥) متراً، وهو ما يستوعب قرابة (٥٠) صفاً فقط .

السنة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة

على أرض المدينة المنورة :

بعد وصول المهاجرين رضوان الله تعالى عنهم إلى المدينة وبداية استقرارهم على أرضها، كان المجتمع المدني غير مألوفٍ عليهم في البدء لتغير الأرض والجو والمناخ والمجتمع ككل، قبل أن يعتادوا العيش على أرضها، لعدة أمور :

١- مفارقة مكة المكرمة وأرضها الطيبة المباركة .

٢- ترك المال والديار وكل ما يملكون خلفهم في مكة المكرمة بالهجرة إلى المدينة .

٣- تغير الأرض ومناخها الطبيعي والصحي على المهاجرين الذين لم يكونوا يألفون العيش في الأراضي الزراعية وأجواءها الحارة .

٤- واقع الحزن الشديد والألم الذي يعتصرهم جراء مفارقتهم أراضيهم وأقاربهم .

٥- جهل الكثير من المهاجرين بأمور الزراعة ولا سيما أن أرض مكة غير زراعية وأن كل مهارة أهلها كانت في التجارة .

٦- الحالة الاقتصادية التي كان عليها الكثير من المهاجرين في بداية الأمر حيث لم يكن لهم أو لأكثرهم عمل أو حرفة .

٧- الإحساس بالغربة في البلد الجديدة في بداية الأمر حتى اندمجوا في موطنهم الجديد .

٨- الهدوء الذي ساد عليهم وعمّ بعد ملاحقات وفوضى مشركي قريش، والتي كانت ولا زالت تلاحقهم وتتتبع المسلمين منهم لترده عن دينه .

٩- موقف اليهود والمنافقين الزاخم بالمكائد والأحقاد والمؤامرات والدسائس على المسلمين ما ظهر منها وما بطن .

إلى غير ذلك من الأمور التي كانت في بداية وصولهم المدينة المنورة وقبل التأقلم على أرضها وجوها والانسجام فيها، كحمّى المدينة التي أصابت الكثير من الصحابة الكرام كأبي بكر الصديق ومولييه بلال وعامر بن فهيرة رضي الله تعالى عن الجميع .

المجتمع الإسلامي وتنظيم الدولة

أخذ رسول الله ﷺ بعد وصوله إلى المدينة المنورة بتنظيم المجتمع الإسلامي المدني الجديد تنظيماً متكاملاً دينياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً، والذي كان يعيش وضعاً مزرياً حيث حياة الفوضى والشتات والعادات الجاهلية والتنازل على السلطة وأحقاد الثأر والحروب والعصبيات المقيتة التي تعصف به .

زاد الأمر سوءاً اختلاف أطياف وأنساب وأعراق المجتمع المدني، الذي كان يسكنه العرب من قبيلتي الأوس والخزرج وأحلافهم من القبائل التي حول المدينة، بالإضافة إلى اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة، وكان لهم أيضاً أحلاف مختلفة من قبائل العرب ليضمنوا رعاية مصالحهم تحت كل الظروف، فلما جاء الرسول الكريم ﷺ أخذ ينظم ذلك المجتمع المفكك المنحل فكان تنظيمه تنظيماً محكماً متماسكاً يضرب به المثل اعتمد على ثلاثة أمور :

أولاً– أخذ رسول الله ﷺ بتنظيم علاقة المسلمين فيما بينهم من (المهاجرين والأنصار) حين آخى بين كل اثنين منهم، بحيث صار لكل أنصاري أخٌ في الله تعالى من المهاجرين يؤاكله ويشاربه ويساكنه ويقاسمه كل شي مما يملك .

ومن هذه النقطة نشأ الترابط بين القلوب لما قويت عرى الإيمان في الصدور فربت فيها القيم العظمى من مؤاخاة وتضحيات وإيثار بين النفوس طمس معه كل القيم السابقة التي كان منشأها العادات القبلية والتقاليد الهمجية .

فتولد بذلك التماسك بينهم كالصف الواحد، فكانوا قوةً موحدة في وجه أعدائهم، ولا سيما حين اختلطت خبرة المهاجر مع حذاقة الأنصاري .

وقد بلغت درجة تلك التضحيات مبلغاً لم يسبق له مثيل و لم يسجل التأريخ مثلها أبداً وهي بحال لن يتكرر أبداً، حين وصل الأمر ببعض الأنصار أن عرض زوجاته على أخيه المهاجر ليختار منهن أيهن شاء فيطلقها ليتزوجها أخاه في الله تعالى .

وبذلك التنظيم من المؤاخاة فرصة كبيرة ليستطيع المهاجر التأقلم مع العالم والمجتمع الجديد المحيط به ومن ثم ليتمكن من النهوض بنفسه والوقوف على رجليه .

لذا كان فضل الأنصار رضوان الله تعالى عنهم عظيماً ولا ينسى، حين قال ﷺ في فضلهم : (**أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم**)[1].

ثانياً– بعد فراغ النبي الكريم ﷺ من وضع حجر الأساس للعلاقة الوطيدة فيما بين المسلمين من مهاجرين وأنصار أخذ ينظم علاقة المسلمين مع غيرهم، فوضع حدوداً لحركة اليهود في المدينة المنورة، فكانت المعاهدات مع كل طائفةٍ منهم ببنود معينة تحدد كيفية التعامل معهم، وتبين كل الحقوق التي لهم والتي عليهم، معاهدات أبرمت في كلا حالتي (السلم والحرب) حتى لا يكن هناك أمر من غير معرفة جوانبه وأبعاده .

وبهذه المعاهدات كان المسلمون يحيون في المدينة المنورة ويعيشون بسلام وأمان في مجتمع منظم داخلياً، مع العلم أن كلاً من اليهود والمنافقين لم يكونوا ليتركوا المسلمين ليهنئوا بعيش دون زرع المكائد ومحاولات التفريق والتحريش فيما بينهم كلما سنحت لهم فرصة لذلك .

ثالثاً– عقد ﷺ الموادعات والمعاهدات مع القبائل المجاورة للمدينة المنورة لتحدد موقفها من الإسلام، فكان لكل قبيلة شأن يتعلق بها وبكيفية المعاملة حسب الموادعة والمعاهدة المتفق عليها .

---

[1] رواه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في دلائل النبوة .

وبهذه التنظيمات النبوية الثلاث الرئيسية صار المجتمع المـــدني مجتمعاً متكاملاً داخلياً وخارجياً ومنظماً تنظيماً حكيماً، فأضحى منظماً وآمناً يعرف كل الحق الذي له والحق الذي عليه .

موقف المنافقين واليهود :

كان موقف المنافقين واليهود موقف العدو اللدود المتـــربص بالمسلمين، قد جعلوا العداوة نصب أعينهم، حـــين رأو الـــدين الجديد يسيطر على كل ما يملكون وأول ذلك القلوب والولاءات، وبما في ذلك الأموال والأراضي .

مما جعلهم يضمرون العداوة القصوى للمســـلمين محـــاولين بشتى الطرق وكافة الأساليب زعزعة وحدة الصف المسلم، مـــن خلال :

١- تثبيط من أسلم من قومهم وبث روح التخاذل والنفور فيما بينهم .

٢- الاستهزاء بالمخلصين من المتصدقين أو القراء أو العبّاد الذين آمنوا حقاً .

٣- انتهاز الفرص السانحة للوقيعة بين المسلمين كالفتنة بين الأوس والخزرج أو بين المهاجرين والأنصار بإذكاء نار الخصومات وبث روح النزاع والفرقة .

٤- محاولاتهم قتل النبي الكريم ﷺ بأكثر من طريقة وأكثر من مرة كإلقاء حجر عليه من علو والسم وغيرها .

٥- خيانتهم وعدم وفائهم بالعهود والمواثيق أحياناً كثيرة طيلة حياة النبي ﷺ مما تسبب لاحقاً في استئصالهم من المدينة المنورة بالقتل والسبي والإجلاء .

٦- تأليبهم المشركين وقبائل العرب على المسلمين، ومساعدتهم لكل من حارب المسلمين وعاداهم والوقوف معهم .

٧- الغارات على المسلمين سراً وعلى أراضي المدينة المنورة وعلى أنعامهم .

٨- رميهم رسول الله ﷺ والمسلمين من بعده بالتهم والأباطيل .

٩- إذاعة الأخبار الكاذبة وترويج الشائعات والأراجيف .

كانت هذه أهم الطرق والأساليب التي اعتمدها معشر اليهود ومن تبعهم من المنافقين العرب في عداوتهم للمسلمين ولرسول الله ﷺ .

الزواج بعائشة رضي الله تعالى عنها :

تزوج رسول الله ﷺ بعائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما وهي بنت (٦) سنين في مكة قبل الهجرة بسنتين وبنى بها في المدينة المنورة في السنة الأولى من الهجرة وهي بنت (٩)

سنين وهي الوحيدة من نسائه جميعاً التي تزوجها ﷺ بكراً والتي نزل الوحي على فراشها[1]، وتوفيت رضي الله تعالى عنها سنة (٥٧) للهجرة وعمرها (٦٣) سنة . وقد روت من الأحاديث (٢٢١٠) أحاديث . قال في فضلها ﷺ : (**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**)[2].

التشريع الإسلامي للجهاد

في بداية الدعوة النبوية لم يكن هناك أمر من الله تعالى بالجهاد حتى كانت الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة المنورة والتي بها صار للمسلمين أرضاً معينة ودولةً متمكنة ذات كيان وسياسة مستقلة موطدة الدعائم متماسكة القوى والأركان، عندها شرع الله سبحانه وتعالى الجهاد وأنزل قوله جل جلاله : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[3].

---

[1] وفي الحديث قوله ﷺ : (**يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها**)[رواه البخاري] .

[2] متفق عليه .

[3] سورة الحج .

ولما شُرع الجهاد كان في البداية مجرد دفاع عن الضروريات الخمس وهي : العقل والنفس والدين والعرض والمال حتى أمن المسلمون على دينهم وأنفسهم وأموالهم، ثم أصبح لردع المشركين وتمكين الغلبة لدين الله تعالى وإعلاء كلمته سبحانه ثم صار بعد ذلك لفتوح البلدان وتبليغ دين الله تعالى وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية .

وبنزول آيات تشرع الجهاد أخذ رسول الله ﷺ يعقد الألوية والرايات وتعبئة السرايا والبعوث للغزو وللغارات وللاستطلاع .

فكان مجموع سنين الجهاد النبوي (٨) سنين فقط لإقامة دين الله تعالى وتمكينه في الأرض، كان الجيش يجاهد لتلك الغاية فقط ومتى تحقق له ذلك سواءً بالسلم أم الجزية أم القتال تبعه نشر الدين الإسلامي . ولم يكن الجهاد في الإسلام قتالاً همجياً لتمكين الغلبة للحمية أو القبلية كما كان ذلك في الجاهلية، وهذا يعني أن الدماء لا تنزف ولا تهراق إلا بحساب، وذلك لتحقيق قيم عظمى متى تمت تلك القيم بإقامة الدين كان معها حفظ تلك النفوس والدماء لتبقى ببقاء دينها .

لذا كان الجهاد الإسلامي بعد موت النبي ﷺ لغرض نشر الدين الحنيف في كل أصقاع الأرض بفتوح البلدان وما يتبع ذلك من تحرر العقول من ظلام الجهل والكفر الذي خيم فيها .

وبالتالي فهذا الفتح يعتبر بمثابة الحياة الجديدة تحت ظل قيم العدل الرباني المطبق من قِبَل الإنسان المسلم المقيم لتلك القيم العظمى العليا والتي تحفظ له أفضل حياة سعيدة إذا فعلاً طبق تعاليم الدين الحق على الوجه المطلوب وبالطريقة الصحيحة دون ابتداع .

وكان عدد السرايا[1]، التي عقدت في حياته ﷺ وقادها أحد الصحب الكرام رضوان الله تعالى عنهم (٤٨) سرية، بينما كان عدد الغزوات التي قادها بنفسه ﷺ (٢٧) غزوة، حصل في (٩) منها فقط قتال .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه وعلى مر سنين الجهاد النبوي الثمانية تلك وخلال خمسة وسبعين لقاءاً بين جيشي الحق والباطل من بين (٢٧) غزوة و(٤٨) سرية كان عدد قتلى الفريقين الكلي هو (١٠١٨) فقط، كان مجموع شهداء المسلمين فيها (٢٥٩) شهيداً، في حين كان عدد قتلى أعدائهم من مشركين ويهود وكفار هو (٧٥٩) فقط .

وكل من قتل كان منيته على أرض المعركة غالباً لا يتجاوز الأمر ذلك .

---

[1] هناك خلاف بين المؤرخين في العدد الدقيق للسرايا والبعوث النبوية . هذه هي الأشهر تدويناً .

وفي ذلك بيان واضح وكبير وهو أن الإسلام من أولوياته المحافظة على النفوس البشرية من القتل والإزهاق والإتلاف متى أقيم شرعه القويم وطبقت حدوده وأحكامه .

لكن متى تعذر ذلك بخروج الإنسان عن معاني الإنسانية ومقتضى الشريعة الإسلامية ومضمونها ومنهجها يكون قد أباح إراقة دمه بنفسه وتنازل عن ماله وعرضه وما يملك بكونه كافراً بالله تعالى، ومعارضاً لمنهج الشريعة الإسلامية التي كانت سترعى مصالحه وستكفل له كل حقوقه ولن تضيع منها شيء أبداً .

لكنه بكفره فرط في كونه إنساناً يعقل ويفهم وأخطأ في كيفية تقديره للحياة السليمة الصحيحة فيحرم عندها من أن يظلم نفسه أو غيره ممن هم متعلقون به كأسرته وذويه .

حينها فقط يكون الجهاد لرفع التوصيات على الغير والتي تحرم الفرد من ممارسة أدنى حقوقه .

لذا كان الهدف الأسمى من الجهاد إنما هو إخراج العباد من طاعة العباد إلى طاعة رب العباد .

وفي ذلك كله رد كبير وبيّن على كلام المستشرقين والمستغربين وأشباههم ممن غره كلامهم وكتاباتهم وزعم أن دين الإسلام جاء بالقتل والترويع وإزهاق للنفوس ومصادرة الممتلكات وحكر الحريات و لم ينتشر إلا بالقوة وبحد السيف .

فكيف يكون ذلك وهو الذي جاء بما يحفظ للإنسان كل القيم من معنويات وماديات وحفظ له كل صغير وكبير في حياته ومماته سواء .

لذا كانت وصيته ﷺ لكل قادة بعوثه وسراياه قوله ﷺ : (**انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**)[1].

وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (**اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا ولا شيخا كبيرا، وإذا أتيتم أهل حصن أو قرية، فلا تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله، ولكن أعطوهم ذممكم وذمم آبائكم، فإنكم إن تخفروا ذمتكم وذمة آبائكم خير لكم من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرتم أهل حصن أو قرية فلا تنزلوهم على حكم الله عز وجل وحكم رسوله، فإنكم لا تدرون أتصيبون فيهم حكم الله أم لا، ولكن أنزلوهم على حكمكم**)[2].

---

[1] رواه أبو داود والبيهقي في السنن الكبرى .

[2] رواه أبو داود والنسائي في الكبرى والطبراني في معجميه الأوسط والصغير واللفظ له والبيهقي في الكبرى وأبو يعلى .

وعلى هذا النحو كانت عموم توجيهاته ووصاياه ﷺ لكل قادة جيوشه ومبعوثيه، اتسمت بغاية الحرص والحفاظ على الدماء والنفوس والأموال والممتلكلات وسائر المقدرات وعلى رأسها المقدسات الدينية، بحيث لا يستعمل السيف بحده إلا في محلة المناسب زماناً ومكاناً .

هذه هي الغايات الحقيقية من الجهاد الإسلامي وأهدافه السامية، سواء في العهد النبوي الشريف أم فيما بعد ذلك في كافة العصور التي تلت عصره ﷺ والتأريخ والوقائع والأحداث خير شاهد على ذلك .

كبرى الغزوات والمعارك في العهد النبوي

تسلسل الغزوات والمعارك الكبرى :

غزوة بدر الكبرى .

غزوة بني قينقاع .

غزوة أحد .

غزوة بني النضير .

غزوة بني المصطلق (المريسيع) .

غزوة الأحزاب (الخندق) .

غزوة بني قريظة .

صلح الحديبية .

غزوة خيبر .

فتح مكة .

غزوة مؤتة .

غزوتي حنين والطائف .

غزوة تبوك .

ومع بداية التشريع الإسلامي للجهاد

بدأت السرايا والبعوث

السرية الأولى – وكانت بقيادة حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه في رمضان الشهر السابع من الهجرة النبوية الشريفة وكان عدد السرية (٣٠) رجلاً للقاء أبي جهل ومعه (٣٠٠) راكب في قافلةٍ آتية من الشام فحجز بينهم مجدي بن عمرو الذي كان موادعاً للطرفين فلم يكن هناك قتال بل عادت السرية إلى المدينة المنورة .

السرية الثانية – بقيادة عبيدة بن الحارث رضي الله تعالى عنه في شوال الشهر الثامن من الهجرة وكان معه (٦٠) راكباً متوجهاً بهم إلى (ثنية المُرة) في رابغ للقاء أبي سفيان ومعه (١٠٠) راكب فحاول إدراكهم على ماء يسمى (أحياء) ولكن أبا سفيان أسرع وسبقهم فلم يكن هناك لقاء بينهم .

السرية الثالثة – بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه في شهر ذي القعدة وكان معه (٢٠) ماشياً إلى الجحفة للقاء عير لقريش ولكنهم لم يدركوا العير فقد تجاوزت الخرار وقد أمرهم الرسول الكريم ﷺ ألا يتجاوزوه .

الدروس والعبر المستفادة من السيرة بعد الهجرة في السنة الأولى

١- وجوب الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام وبالأخص إذا تحقق خوف الإنسان على دينه ونفسه وعرضه وماله وولده أو خاف أن يفتن في أحدها، وبالتالي الانتقال من مركز السلطة المعادي إلى مركز السلطة المناصر، لأن ذلك يعطي الإنسان فرصة كاملة ليعبد ربه عز وجل كما يحب ربنا سبحانه .

٢- بيع النفس والمال وإرخاصهما في سبيل الله عز وجل، لأن نصرة الدين من أولويات الحياة السعيدة والأمور المهمة المتعلقة بكل مسلم، بما استطاع وحسب جهده وطاقته .

٣- ظهور بعض الأمور الإعجازية في طريق هجرته ﷺ كنجاته وصاحبه أبي بكر رضي الله تعالى عنه في الغار وخبر سقوط سراقة عن فرسه، وخبر خيمة أم معبد وزوجها رضي الله تعالى عنهما .

٤- عناية الله تعالى برسوله الكريم ﷺ حال الهجرة إلى المدينة المنورة رغم كثرة الأخطار المحيطة به، وحذاقة قائف قريش الذي أوصلهم بل وأوقفهم على فم الغار الذي كان فيه ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله تعالى عنه .

٥- قيام كيان دولة الإسلام وسياسته المستقلة عن غيره، التي أرسى قواعدها ووضع أسسها محمد ﷺ والتي ستبقى إلى قيام

الساعة، وبالتالي بداية التنظيم الإسلامي لبناء الدولة الإسلامية ووحدة الصف المسلم على أرض النصرة والتأييد، وتشكيل مجتمع إسلامي متكامل مبني على قيم الصدق والإخلاص والمحبة والتفاني والتضحية والإيثار وعموم الفضائل .

٦- بناء القاعدة الأساسية والقوية للدولة الجديدة، من خلال معرفة موقف الكل منها وممن يحيط بها من القبائل والمجتمعات الأخرى، مما زاد المسلمون تمسكاً بدينهم واعتزازهم به، رغم الظروف الصعبة المحيطة بهم والمعادية لهم .

٧- تهيئة القلوب المحبة بالاستعداد لتلقي نور الإسلام وتطبيق شرائعه وتعاليمه، وشحذ الهمم والطاقات برفع الروح والمعنويات الإسلامية للتصدي لأعداء الإسلام بكل طريقة متاحة ووسيلة ممكنة، والبداية كانت آنذاك، وسيبقى الصراع بين الحق والباطل لذا يجب بقاء روح التصدي قائمة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

٨- خوف القلوب المبغضة للدين الحق من المستقبل الذي سيقضي على استبدادهم وسيادتهم من خلال زعزعة قواهم ببناء الدولة الإسلامية، ومحاولاتهم الحثيثة لإيقاف هذه القوة التي تتحرك وبسرعة لاكتساحهم وللقضاء على كياناتهم ولإفشال مخططاتهم تماماً .

٩- فضل الأنصار رضوان الله تعالى عنهم وصدق مواقفهم الثابتة قبل الهجرة وبعدها، ظهر ذلك جلياً حين انصهرت كل قيم الأنانية وحب الذات أمام قيم الإسلام التي جددت للنفوس نظرتها، ضمن قيم الأخوة في الله تعالى بين أفراد المسلمين وترك كل رباط غيرها . وما قابل ذلك من وقوع الفُرقة والخلاف بين قبائل الأعداء وعدم تلاحمها نتيجة اختلاف المواقف .

١٠- إرادة الله تعالى في هجرة رسوله الكريم ﷺ إلى المدينة المنورة كي يبدأ بالانطلاق بالدعوة إليه سبحانه بعيداً عن أعدائها، وتوفيقه جل في علاه لذلك بإفشال كل محاولات قريش في عرقلة الهجرة النبوية .

١١- من حكمة الله تعالى أن جعل نصرة هذا الدين في المدينة المنورة وليس في مكة المكرمة، فلو قُدِّر أن نصرة الدين جاءت في مكة لقال العرب أَلِفت قريش السيادة والزعامة علينا ولربما ظنوا أن العصبية لمحمد ﷺ هي التي جاءت بهذا الدين فكانت الصرخة في آذان السادة، فعُلم بذلك أن الدين الحق هو الذي جاء بالعصبية وحقق الأخوة في الله تعالى حتى بين الأباعد وذوي الأحقاد والعداوات القديمة، وبالتالي فليست العصبية لمحمد ﷺ هي التي جاءت بهذا الدين بل العكس من ذلك تماماً .

١٢- كان دخول المدينة المنورة من جهة الجنوب طريق قباء يوم الإثنين (١٢) ربيع الأول وفيه بني أول مسجد في الإسلام، أما الوصول إلى حيث بني المسجد النبوي الشريف فكان يوم الجمعة (١٦) ربيع الأول .

٢١- زواجه ﷺ من أم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله تعالى عنها أول نزوله المدينة المنورة ودخوله بها ﷺ وهي بنت تسع سنين، وهي الوحيدة من نسائه التي تزوجها بكراً ﷺ .

٢٢- كمال السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وفضلها في نشر العلم، حيث روت (٢٢١٠) حديثاً عن رسول الله ﷺ . أي ما يقدر بربع العلم .

٢٣- بداية تشريع الجهاد في سبيل الله تعالى صيانة للدين الحق، وذلك لما صار للمسلمين دولة مستقلة قائمة بذاتها .

٢٤- تشريع الجهاد كان الغرض الرئيس منه نشر الدين الحق وإعلاء كلمة الله تعالى لتبقى عليا، لذا كان ﷺ يوصي قادته بكل ما يضمن به تحقيق ذلك .

٢٥- حقق الجهاد الإسلامي حقن الدماء وإعمار الديار بكل معاني الكلمة لذا كان مجموع من قتل من عموم الطرفين طوال العهد النبوي عدد قليل جداً مقارنة بالحروب والمعارك الأخرى

التي كان يذهب ضحيتها أعداداً تفوق الحصر والتصور، بالإضافة لما يلحق بذلك من دمار وفساد عظيم .

٢٦- كان عدد المعارك الفاصلة في حياة النبي ﷺ تسعاً فقط .

٢٧- إرساله ﷺ السرايا والبعوث ولا سيما حول المدينة المنورة لأغراض عدة طوال مدة العهد النبوي المدني .

السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة

غزوة الأبواء (ودَّان) – وكانت بقيادته ﷺ بنفسه وهي أولى غزواته وكانت في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة ولكنه لم يلق أحداً، وقد وادع في هذه الغزوة ضمرة بن مناف من بني كنانة .

غزوة بواط – وهي أيضاً بقيادته ﷺ ناحية ينبع في شهر ربيع الأول وكان معه (٢٠٠) مقاتل لملاقاة أمية بن خلف في عير ومعه (٢٥٠٠) بعير بحراسة (١٠٠) رجل ولكنه لم يلق أحداً فعاد إلى المدينة المنورة .

غزوة بدرة الأولى (سَفَوان) – وهي أيضاً بقيادته ﷺ في شهر ربيع الأول من السنة الثانية من الهجرة لملاقاة كرز بن جابر الفهري لأنه أغار على سرح للمدينة فلم يلق ﷺ أحداً فعاد بالجيش .

غزوة ذي العشيرة – وكانت بقيادته ﷺ أيضاً في شهر جمـــاد الآخرة من السنة الثانية للهجرة وكان معه (٢٠٠) رجل معترضاً قافلة لقريش ذاهبة إلى الشام، ولكن القافلة أفلتت فلم يكن هناك لقاء .

السرية الرابعة – وكانت بقيادة عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه في شهر رجب ناحية وادي نخلة مهمتهـــا الاســـتطلاع فقط وكان معه (٩) رجال فاستولو في طريقهم على قافلة ابـــن الحضرمي وعادوا إلى المدينة المنورة .

تحويل القبلة

وفي شهر رجب من السنة الثانية للهجرة النبوية الشـــريفة تم تحويل القبلة من المسجد الأقصى الشريف إلى الكعبة المشـــرفة في مكة الكرمة، وكان ذلك بعد سنة ونصف من الصلاة إلى المسجد الأقصى .

وكانت أول صلاة إلى الكعبة المشرفة في المسجد النبوي هي صلاة العصر، في حين كانت أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ هي صلاة الظهر في بني سلمة، وبينما كانت أول صلاة لأهل قباء هي صلاة الفجر من اليوم التالي، قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما : (بينا الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جـــاءهم آت، فقـــال : إن

رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشأم، فاستداروا إلى الكعبة)[1].

أهل الصُفَّة :

بعدما تمت الهجرة النبوية الشريفة واستقر المهاجرين رضوان الله تعالى عنهم على أرض المدينة المنورة لم يكن للبعض منهم في البداية مأوى، بالإضافة لما واجهه كثير منهم لبعض المشاكل من الناحيتين الصحية لتغير الجو عليهم والاقتصادية لعدم معرفة الكثير منهم بشؤون الزراعة أو الصناعة . فكان المسجد مأواهم ومستقرهم .

ولا سيما بعدما تم تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة، أصبح آخر المسجد مكاناً فارغاً، وهنا أمر النبي الكريم ﷺ بتسقيفه، فصار مأوى مظللاً دون أن يكون له حوائط سكنه بعد ذلك كل من ليس له مأوى، فأطلق عليهم مسمى (أهل الصُفّة) بلغ عددهم في البداية (٧٠) صحابياً، وكانوا يزيدون . وكان عامة أصحاب الصفة أولئك من المهاجرين رضوان الله تعالى عنهم بالإضافة لبعض أخلاط القبائل ممن أسلم بعد الهجرة النبوية الشريفة .

---

[1] متفق عليه .

أولى الغزوات الكبرى

غزوة بدر الكبرى – وكانت بقيادته ﷺ في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة في يوم (١٧) .

سبب الغزوة :

بعد هجرة الرسول الكريم ﷺ والمهاجرين معه إلى المدينة صادرت قريش كل ما تركه المسلمون خلفهم، مما جعل رسول الله ﷺ يقطع الطريق على قوافلهم المتجهة إلى الشام .

تفاصيل الغزوة :

كان سبب خروج المسلمين هو إدراك عير لقريش قادمةً من الشام بقيادة أبي سفيان وكان يحرسها (٧٠) رجلاً، ومن مصادر استخبارات أبو سفيان علم أن رسول الله ﷺ قد خرج قاصداً القافلة فأرسل ضمضم الغفاري إلى قريش يخبرهم أن محمداً قد خرج يريد القافلة فانفروا لمواجهته بينما تحول هو بالقافلة عن ذلك الطريق . ولما وصل ضمضم إلى قريش وأخبرهم الخبر أخذت بالنفير وبالتجهيز والاستعداد للحرب حتى هب منهم ما يقارب (١٠٠٠) مقاتل .

بعد ذلك أرسل أبو سفيان إلى قريش يأمرهم بالعودة لأن القافلة قد نجت، ولكن زعماء قريش وعلى رأسهم أبو جهل رفضوا العودة وقرروا القتال وصمموا على ذلك، بينما عاد (بنو عدي وبنو زهرة) فلم يشهد بدراً منهم أحد .

واستوثق رسول الله ﷺ من موقف الأنصار رضوان الله تعالى عنهم قبل لقاء العدو فكان ردهم أن قال سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه : (**والله يا رسول الله لو استعرضت بنا البحر لخضناه معك**)[1]. فسُرَّ رسول الله ﷺ بذلك وبموقفهم الصادق رضوان الله تعالى عنهم . وسار الجيش وكان عدده (٣١٤) مقاتلاً (٨٣) من المهاجرين و(١٧٠) من الخزرج و(٦١) من الأوس .

فعقد لهم رسول الله ﷺ (٣) ألوية، لواء مع علي بن أبي طالب ولواء مع مصعب بن عمير ولواء مع سعد بن معاذ رضي الله تعالى عن الجميع .

وسار الجيش حتى وصل أدنى وادي ياليل بعد مسيرة عدة أيام طلباً العير (القافلة) ولكن ولما علم رسول الله ﷺ إفلات القافلة ونجاتها قصد النفير وهو (الجيش) . وكان شعار المسلمين في هذه الغزوة (أحد . أحد) .

---

[1] رواه ابن حبان والحاكم والبيهقي في دلائل النبوة .

وسلك أبو سفيان خط الساحل جاعلاً بدراً عن يساره بعدما أيقن وتأكد من جواسيسه أن أعين رسول الله ﷺ قريبة منه فنجا بالقافلة بينما مضت قريش بجيشها لما أرادت حتى وصلت إلى الجانب الأقصى من الوادي .

وعسكر المسلمون بالجانب الأدنى من الوادي بالقرب من بئر القليب قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] .

وكان عتبة بن ربيعة في كل استراحة للجيش يحث القوم على العودة والرجوع ما دامت القافلة قد نجت، بينما كان أبو جهل لعنه الله تعالى على العكس من ذلك إذ كان يحرض القوم على القتال ويحثهم عليه حتى وافقوه الرأي وقرروا الحرب . ولما تقابل الجيشان ، كان جيش المسلمين على هيئة صفوف منظمة بينما كان جيش المشركين على شكل كتيبة غير مرتبة .

وطلبت قريش المبارزة الفردية وخرج منها عتبة ابن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة فخرج لهم (٣) من الأنصار فأبوا عليهم ذلك وقالوا إنما نريد مبارزة قومنا وطلبوا (٣) من

[1] سورة الأنفال . والعدوة الدنيا أي : حافة الوادي وهي الجهة الأقرب من المدينة المنورة والعدوة القصوى الجهة الأبعد قِبل مكة المكرمة .

المهاجرين، فأخرج لهم رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه للقاء عتبة وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه للقاء الوليد وعبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وكان أسن القوم للقاء شيبة .

وكانت نتيجة المبارزة أن قتل حمزة وعلي صاحبيهما وأصاب شيبة وعبيدة كلاً صاحبه بضربة فأجهز حمزة وعلي على شيبة فقتلاه .

وهنا بدأت قريش الهجوم بأمر أبي جهل لعنه الله تعالى وأشتبك الجيشان وتقاتلوا قتالاً عنيفاً، ثم انفضوا بعد ذلك القتال العنيف الرهيب وانكشفت أرض المعركة عن هزيمة قريش وأهل الشرك والكفر، وانتصار حزب الله تعالى وإحراز الغلبة للمسلمين، وكانت تلك الغزوة أول معركة إسلامية قوية بين أهل الحق والباطل، نصر الله تعالى فيها الحق وحزبه فكانوا هم الغالبين .

نتيجة الغزوة :

١- عدد قتلى المشركين (٧٠) من زعمائهم، على رأسهم السبعة الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ .

٢- عدد أسرى المشركين (٧٠) رجلاً، على رأسهم النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط الذين قتلا في الأسر قبل وصولهما

المدينة، وكذلك منهم العباس بن عبد المطلب وسهيل بن عمرو وعقيل بن أبي طالب .

٣- عدد شهداء المسلمين (١٤) شهيداً،كان منهم عمير بن أبي وقاص أخو سعد رضي الله تعالى عنهما .

٤- غاب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه عن الغزوة لدفن زوجته رقية رضي الله تعالى عنها بنت رسول الله ﷺ .

وكانت الغنائم التي خلفها المشركين كثيرة وكان الظفر لحزب الله تعالى ولرسوله وللمؤمنين، وقد اشتركت الملائكة في هذه الغزوة مع المسلمين فقد أنزل الله تعالى (١٠٠٠) مَلَك لنصرة حزبه المسلمين اشتركوا في المعركة، قال تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾[1].

الدروس والعبر المستفادة من غزوة بدر

١- إن العبرة بالنهاية الحسنة، وإن النصر هو من عند الله تعالى وليس بالكثرة ولا العدد والعدة والعتاد .

٢- نصر الله تعالى لعباده الناصرين له المتمسكين بشرعه دوماً وأبداً وفي كل زمان ومكان .

[1] سورة الأنفال صدر السورة .

٣- قوة المسلمين الناتجة عن الصدق والإخلاص مع الله تعالى، والذي بها تحقق دحض الكفر وأهله بالاعتصام بالله تعالى والتوكل عليه .

٤- دافع المسلمين للحرب هو نصرة دين الله تعالى وإحقاق الحق وإبطال الباطل، بينما كان دافع الكفار للحرب هو الجاهلية العمياء والصد عن سبيل الله تعالى .

٥- إن المسلم المجاهد في بداية أمر الجهاد كان يقابل (١٠) من الكافرين، ثم نسخ وخفف الحكم بعد ذلك إلى (٢) فقط .

٦- تقدير الله تعالى لوقوع القتال ومقابلة الجيشين دون موعد بينهما وإلا لتخاذل بعضهم، ليتم ما أراده الله عز وجل .

٧- كسر شوكة المشركين المعاندين وإظهار قوة المسلمين الحقيقية رغم كثرتهم واستعدادهم للمعركة أكثر من المسلمين من حيث العدة والعتاد .

٨- مفاجأة القبائل بالقوة وبالتمركز الإسلامي القوي .

٩- تقريره ﷺ مبدأ الشورى بين المسلمين لما سأل صحابته الكرام عن القتال فأجابوا بما أجابوه به .

١٠- اشتراك الملائكة مع عباد الله تعالى الصالحين في المعارك التي تفصل بين الحق والباطل، وقد أنزل الله تعالى (١٠٠٠) من الملائكة فاشتركوا مع المسلمين في هذه الغزوة .

١١- وجوب مراعاة مبدأ حفظ العهود والمواثيق في حالة السلم، وجواز المكر والخديعة في حالة الحرب .

١٢- لكل غزوة شعاراً وشعار غزوة بدر كان (أحد أحد) والشعار هي الكلمة التي قد يحتاجها الجند للتأكد من هوية بعضهم أثناء المعركة حتى يعرف بعضهم بعضاً .

١٣- بداية النفاق كانت في المدينة وخصوصاً بعد غزوة بدر وذلك لما أصبح أعداء الإسلام في المدينة المنورة يخافون على أنفسهم من المسلمين والذين صارت لهم الصولة والجولة، فكانت تلك بداية النفاق .

١٤- فضل أهل بدر على غيرهم من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم لما لهم من سابقة وثباتاً عندما كان الإسلام في بداية أمره، لذا قال فيهم ﷺ : (**لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**)[1].

الغنيمة :

بعد غزوة بدر اختلف الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم في شأن تقسيم الغنيمة فحرمهم الله جل جلاله إياها أول الأمر تأديباً لهم حين نزل قوله سبحانه : ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ**

[1] متفق عليه .

ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴿١﴾ ﴾[1]. فكانت لله ولرسوله ﷺ فقط ومنعوا من الأخذ منها، ثم نزل قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٤١﴾ ﴾[2]. رحمة منه سبحانه فقسمت حينها الغنيمة خمسة أقسام كما في الآية الكريمة .

الزواج بحفصة رضي الله تعالى عنها :

تزوج رسول الله ﷺ بحفصة إكراماً لأبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بعدما توفي عنها زوجها خنيس بن حذافة السهمي، وكان موته بين غزوتي بدر وأحد، ودخل عليها ﷺ وعمرها (٢٠) سنة، وتوفيت رضي الله تعالى عنها سنة (٤٥) للهجرة . وقد روت (٦٠) حديثاً . قال أنس رضي الله تعالى عنه في فضلها : (إن النبي ﷺ طلق حفصة، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فقال : يا محمد، طلقت حفصة وهي صوامة قوامة، وهي زوجتك في الجنة، فراجعها)[3].

---

[1] سورة الأنفال صدر السورة .

[2] سورة الأنفال .

[3] رواه الحاكم وابن حبان والبزار والطبراني في الأوسط والكبير والبيهقي في شعب الإيمان .

السرية الخامسة ــ بقيادة عمير بن عدي رضي الله تعالى عنه وكانت في شهر رمضان عقب غزوة بدر لقتل (عصماء بنت مروان) والتي كانت ألدّ أعداء الإسلام إذ كانت تسب الإسلام والمسلمين وتعيبهم وتحرض عليهم القبائل .

الزواج بزينب بنت خزيمة رضي الله تعالى عنها :

تزوج رسول الله ﷺ بزينب بنت خزيمة رضي الله تعالى عنها عقب غزوة بدر، وقد كانت زوجة ابن عمه عبيدة بن الحارث رضي الله تعالى عنه الذي استشهد يوم بدر، وكان زواجه ﷺ منها تأليفاً لقلبها، ومكثت عنده ﷺ شهرين أو تزيد قليلاً فقط ثم توفيت رضي الله تعالى عنها في أول سنة (٤) للهجرة، وهي التي كانت تسمى بأم المساكين لكثرة إطعامهم وصدقتها عليهم .

السرية السادسة ــ وكانت بقيادة سالم بن عمير رضي الله تعالى عنه في شهر شوال لقتل (أبي عفك) الذي كان يحرض على المسلمين، ويهجو رسول الله ﷺ بالأشعار والقصائد .

غزوة بني قينقاع ــ وكانت بقيادته ﷺ في شهر شوال، وكان سبب الغزوة أن بني قينقاع قاموا بنقض معاهدتهم التي عاهدوها .

تفاصيل الغزوة :

وكان سبب نقضهم العهد، أن امرأة من المسلمين ذهبت لتشتري حليًّاً لها من صائغٍ يهودي وكان يجلس خارج الدكان رجل يهودي آخر فربط طرف ثوب المرأة المسلمة وهي جالسة على رجليها تشتري فلما قامت انكشفت، فصاحت بالمسلمين تستنجد، فسمعها رجلٌ مسلم فأقبل نحو اليهودي وقتله، فثار عليه اليهود وتواثبوا عليه وقتلوه، فصاح أهل القتيل بالمسلمين، فلما علم رسول الله ﷺ بذلك أمر بحصارهم، واستمرت مدته (١٥) ليلةً حتى نزلوا على أمره ﷺ فأخذ أموالهم ثم أجلاهم عن ديارهم فلحقوا بأذرعات بالشام، وقد تولى أمر إجلائهم من المدينة المنورة عبادة بن الصامت وتولى أخذ أموالهم محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنهما .

غزوة بني سليم (قرقرة الكُدر) ــ وكانت بقيادته ﷺ لغزو بني سليم وغطفان فلما سار إليهم هرب القوم و لم يجد رسول الله ﷺ إلا الإبل والأنعام، فساقها المسلمون وعادوا بها إلى المدينة المنورة .

غزوة السويق ــ وكانت أيضاً بقيادته ﷺ بقصد اللحاق بأبي سفيان والذي كان قد حلف أن يثأر لقتلى بدر فأراد أن يبر

بقسمه فلجأ إلى بعض (يهود بني النضير) في أطراف المدينة وكان معه (٢٠٠) فارس فقام بإحراق النخل وقتل رجلين من المسلمين ولما علم أن رسول الله ﷺ توجه إليه هرب بمن معه إلى مكة وتركوا السويق الذي كان معهم ليتخففوا منه، وقد كانت تلك الغزوة في شهر ذي الحجة آخر أشهر السنة الثانية .

الدروس والعبر المستفادة من أحداث السنة الثانية الهجرية

١- غزوه ﷺ عدة غزوات وبعثه عدة بعوث حول المدينة المنورة لتأمين دعائم الدولة الجديدة وحماية حدودها من المرجفين .

٢- تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وفي ذلك نزل قول الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[1] .

٣- إيواء أهل الصُّفة في مؤخرة المسجد النبوي ممن أسلم و لم يكن له مأوى، وفي ذلك مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي، على ولي الأمر وضعه في حسبانه .

---

[1] سورة البقرة .

٤- حصول غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان المبارك، فهو شهر الصوم وشهر الصبر وشهر الجهاد وشهر الفرقان .

٥- تقسيم الغنائم فيما بين المسلمين بعد كل غزوة ومعركة، أو رد ذلك إلى بيت مال المسلمين، والذي لكل مسلم نصيب منه بحسب احتياجه، وولي الأمر هو القائم على ذلك بحسب الأولى وبقدر المستطاع .

٦- زواجه ﷺ من أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنهما، جبراً لخاطر أبيها الفاروق رضي الله تعالى عنهما .

٧- ثم زواجه ﷺ من أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله تعالى عنها، جبراً لخاطرها بعد وفاة زوجها عبيدة ابن الحارث ابن عم رسول الله ﷺ .

٨- حصول غزوة يهود بني قينقاع قوم الغدر، بعد نقضهم العهود، والتي على إثرها ثم إجلاؤهم من المدينة المنورة إلى الشام .

٩- قتل أهل الفتن والتآمر والدسائس، ولو كان في الأشهر الحرم، ولولي الأمر تأمين حدود الدولة بما يراه مناسباً، من قتل أو حصار أو ما سوى ذلك .

١٠- وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق المبرمة في كل الظروف ومهما كان الأمر ما لم ينقض الطرف الآخر عهده وميثاقه الذي واثق به .

السنة الثالثة للهجرة النبوية الشريفة

غزوتي ذي أَمَر وبُحران ــ وكانت بقيادته ﷺ في شهر محـــرم ومعه (٤٥٠) مقاتل لغزو غطفان على ماء يسمى (ذي أمر) ولكن القوم فروا و لم يجد رسول الله ﷺ أحداً فأقام في أرضـــهم مـــدة (شهر صفر) .

ثم غزا ﷺ ناحية بُحران ومعه (٣٠٠) مقاتل علـــى الطريـــق التجارية بين مكة والشام، ولكنه أيضاً لم يجد ﷺ أحـــداً، فعـــاد بالجيش إلى المدينة المنورة .

السرية السابعة ــ بقيادة محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه في شهر ربيع الأول لقتل (كعب بن الأشرف) اليهودي الذي أخذ يهجو المسلمين ويحرض عليهم قائلاً لا خير بعد قتـــل ســـادات العرب يوم بدر فقتلوه ليلاً .

السرية الثامنة ــ بقيادة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنـــه وكان معه (١٠٠) راكب في شهر جمادى الآخرة لملاقاة قافلـــة قادمة من الشام بقيادة أبي سفيان فتلاقو على ماء يسمى (القَرَدة) ناحية نجد فاستولت السرية على القافلة وفر الرجـــال تـــاركين الحمولة خلفهم للمسلمين، وقد سميت بسرية القردة .

قبل أحد :

لما فشلت قريش في تأمين قوافلها من المسلمين بإيجاد طريق آمنٍ لها بعيداً عن متناول أيدي المسلمين قررت إنهاء هذا الوضع بكل حسم لإضعاف بل وكسر شوكة المسلمين إن أمكن، وذلك بتوجيه ضربة قوية لهم تُحِد من خطرهم المتزايد فأخذت تعد لذلك، والذي كانت نتيجته غزوة أحد .

غزوة أحد ــ وكانت في يوم السبت (١٥) شوال من السنة الثالثة للهجرة، وسببها، أن قريشاً قررت رد هزيمتها التي كانت يوم بدر، وفي نفس الوقت كي تحد من خطر المسلمين على قوافلها المهددة المتهجة من وإلى الشام .

تفاصيل الغزوة :

بعد غزوة بدر وهزيمة المشركين فيها، أخذ أبو سفيان يُعد العدة والعتاد ويستنفر القبائل لحرب المسلمين لرد تلك الهزيمة التي تلقوها فكانت غزوةً بالقرب من جبل أحد الواقع شمال المدينة، والذي كان طوله آنذاك (١٢٨) متراً وهو اليوم (١٢١) متراً، وقد أعدت قريش العدة والعتاد والرجال وكل أحلافها لقتال المسلمين فكان قوام جيشهم (٣٠٠٠) مقاتل منهم (٢٠٠) فارس بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل .

أما المسلمون فقد كان عددهم ما يقارب (١٠٠٠) مقاتل منهم فارسان فقط، ثم انخذل من الجيش وانسحب (٣٠٠) مقاتل كانوا بقيادة عبد الله بن أُبي ابن سلول لأنه لم يكن موافقاً على رأي الخروج من المدينة بحجة أنه لن يكون هناك قتال، فأصبح قوام الجيش (٧٠٠) مقاتل فقط .

وقد شاور رسول الله ﷺ أصحابه رضوان الله تعالى عنهم في أفضلية التصدي للمشركين فيما إذا كان ذلك داخل المدينة أم خارجها فكان الرأي النهائي على مقابلتهم والتصدي لهم خارج المدينة .

وعقد ﷺ (٣) ألوية، لواء المهاجرين يحمله مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه ولواء الأنصار من الخزرج يحمله الحباب بن المنذر رضي الله تعالى عنه ولواء الأوس يحمله أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه .

وكان شعار المسلمين في هذه الغزوة (أمِت . أمِت) وخرج ﷺ بأصحابه للقاء المشركين بعدما انسحب عبد الله ابن سلول بمن معه .

عسكر المشركون في الجانب الجنوبي الغربي لجبل أحد يرفع لوائهم طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني (عبد الدار) وخيموا هنالك، بينما عسكر المسلمون في الوادي فكان خلفهم جبل أحد

وأمامهم المدينة المنورة وعن يمينهم تل عينين المسمى (تل الرماة) الذي أمر رسول الله ﷺ (٥٠) رامٍ بقيادة عبد الله بن جبير رضي الله تعالى عنه ألا يبرحوه ليحموا ظهور المسلمين من فرسان المشركين وخيالتهم .

وأصبح الوادي فسيحاً لجيش المشركين الذي كان أمامه جيش المسلمين وكان عن يمينه خيالة خالد بن الوليد وعن يساره خيالة عكرمة بن أبي جهل .

أرض المعركة :

ولما بدأ القتال واشتبك الجيشان قاتل المسلمون بقوة وبسالة حتى كانت الغلبة لهم، مما جعل المشركون يتراجعون أدراجهم رغم اصطحابهم النساء والغواني كي يثبتوا، ومع ذلك تراجعوا إلى معسكرهم .

وفي ساحة المعركة قال رسول الله ﷺ للصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم أثناء القتال محفزاً لهم : من يأخذ مني هذا السيف، فصاح الجميع أنا يا رسول الله فقال ﷺ : من يأخذه بحقه، فأحجم القوم عن ذلك، بينما قال أبو دجانة رضي الله تعالى عنه واسمه (سِماك بن خرشة) : أنا آخذه بحقه يا رسول الله فأخذه وقاتل به وفلق هام المشركين .

وكان جبير ابن المطعم بن عدي قد هيأ عبداً له اسمه (وحشي) بإيعاز من هند بنت عتبة لقتل حمزة رضي الله تعالى عنه انتقاماً لأبيها وعمها وأخيها، لمهارة وحشي الرماية، فكمن لحمزة رضي الله تعالى عنه وهو عنه غافل ورماه بالحربة حتى أنفذ بها أحشاءه فسقط شهيداً، واستشهد مصعب بن عمير حامل اللواء فحمله بعده علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، وهنا شد المسلمون على المشركين حتى كانت الغلبة لهم، ولما رأى الرماة تراجع المشركين وانهزامهم تحمسوا وحسبوا أن الحرب قد انتهت ونزلوا لجمع الغنائم، مما هيأ فرصة سانحة لخالد وخيالته بالالتفاف حول جبل الرماة فباغت المسلمين من خلفهم، فلما رأى المشركون ذلك عادوا كارين مندفعين فانحصر جيش المسلمين بينهم وأخذوا يقاتلون دون تركيز أو تمييز حتى أنهم قتلوا والد حذيفة (اليمان) وهو مسلم رضي الله تعالى عنهما .

وأخذ المسلمون بالتقهقر نحو جبل أحد وسقط منهم شهداء حتى شاع أن رسول الله قد مات مما أنقص روح الجهاد لدى بعضهم لبعض الوقت ثم علم القوم أن رسول الله ﷺ لم يمت، وكان أول من علم ذلك كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه فصاح بالقوم فأمره ﷺ بالسكوت حتى لا تتنبه قريش لذلك .

وتحت زعزعة الموقف واحتدام الأمر صمدت فئة قليلة حول رسول الله ﷺ في موقف استشهادي صعب استبسل فيه واستشهد (٧) من الأنصار وصمد طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعلي وعبد الله بن جحش وعمرو بن الجموح وحنظلة بن أبي عامر (غسيل الملائكة) ومخيريق (أحد علماء يهود بني النضير الذين أسلموا) وغيرهم رضي الله تعالى عنهم .

وكن النساء حاضرات في المعركة يسعفن الجرحى ويسقين العطشى ويحرضن على الصمود ومواصلة القتال على رأسهن أم عمارة رضي الله تعالى عنها .

ورغم ذلك الاستبسال إلا أن رسول الله ﷺ أصيب عدة إصابات حيث ضربه أحد المشركين وهو ابن قميئة الخبيث بالسيف على رأسه فغاص المغفر فيه وكسرت رباعيته وشج وجهه وسال الدم منه وسقط في حفرة ﷺ .

وعندما رأى ﷺ شدة اندفاع المشركين وأن الموقف يزداد توتراً أخذ بالانسحاب والتراجع نحو جبل أحد، فلحقه المسلمون يذودون عنه حتى أرسل الله تعالى جبريل وميكائيل يقاتلان دفاعاً عنه، وأنزل الله تعالى النعاس على المسلمين مما أعاد لهم نشاطهم وطمأنهم وجدد حماسهم وشحذ هممهم، وتبع المسلمون بعض المشركين نحو شعب أحد وكان منهم أبي بن خلف أخو أمية وهو

الذي كان يتوعد رسول الله ﷺ بالقتل فلما رآه ﷺ رماه بحربة أصابته فمات منها وهو في طريق عودته قبل وصوله مكة .

وعلى الرغم من كثرة هجوم المشركين واندفاعهم المتواصل ومحاولتهم إنهاء ذلك الوضع بكسر شوكة المسلمين إلا إنهم ومع ذلك أخفقوا في إنهاء المعركة بوجه حاسم نهائي، وذلك يعود لقوة الاستبسال والصمود حول رسول الله ﷺ، فقرروا الانسحاب وانسحبوا بالفعل مكتفين بما حققوه من نصر أرضى شرة نفوسهم وثأر لهم بيوم بدر كما يرون .

وبعد أن انفض الجيشان ذهب أبو سفيان يصيح بالمسلمين : أفيكم محمد فلم يجبه أحد، فقال : أفيكم ابن أبي قحافة (يقصد أبا بكر) فلم يجبه أحد، فقال : أفيكم ابن الخطاب فلم يجبه أحد، ثم إنه رد على نفسه قائلاً : لو كان هؤلاء أحياء لأجابوا فلم يتمالك عمر نفسه وقال : كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك ما يخزيك .

فقال أبو سفيان : علُ هُبل، فقال النبي ﷺ : أجيبوه فقالوا : بم يا رسول الله ؟ قال قولوا : **الله مولانا ولا مولى لكم** وفي رواية **الله أعلى وأجل**، فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي ﷺ : أجيبوه فقالوا : بم يا رسول الله ؟ قال قولوا : **الله مولانا ولا مولى لكم**، فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر الحرب سجال وستجدون مُثله (التمثيل بالميت قطع بعض أعضائه) لم آمر

بها فقال عمر : لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، فوعدهم أبو سفيان الحرب بعد عام من ذلك اليوم، فوافقوا .

ولما رحلت قريش عن أحد أمر رسول الله ﷺ بدفن الشهداء، وهكذا انتهت المعركة .

نتيجة الغزوة :

١- عدد قتلى المشركين (٢٤) رجلاً .

٢- عدد شهداء المسلمين (٧٠) على رأسهم حمزة ومصعب بن عمير وحنظلة بن أبي عامر (غسيل الملائكة) رضي الله تعالى عنهم دون أن يكون منهم أسرى .

٣- عدد أسرى المشركين واحد فقط هو الشاعر (أبو عزة) فقتل لأنه عاهد على عدم مقاتلة المسلمين، فنكث عهده فقتل .

بعد أحد :

لا شك أن غزوة أحد كانت من أهم الغزوات التي تعلم المسلمون فيها الكثير من الدروس العملية والقاسية والعميقة الأثر في النفوس والمترسخة في العقول، وهذه الغزوة هي الوحيدة التي هزم فيها جيش الإسلام في حياة رسول الله ﷺ وذلك بسبب مخالفتهم لأمره ﷺ .

الدروس والعبر المستفادة من غزوة أحد

١- عدم مقاتلة الملائكة مع المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله ﷺ بنزولهم عن الجبل لجمع الغنائم .

٢- تشتيت أمر المسلمين بعد مخالفة أمر رسولهم ﷺ ووقوع القرح بهم وهو الهزيمة .

٣- درس قاسي عملي لئلا يخالف أحد رئيسه الأفضل منه في النظر للأمور وقياس عواقبها، وقد أراد سبحانه وتعالى من الهزيمة بيان سنته في الأرض وهو أن مخالفة أمره تُعقب ذلك، ولو قُدِّر أن المؤمنين انتصروا مع مخالفتهم أمر رسول الله لهان عليهم أمره ﷺ بعد ذلك، ولقالوا خالفناه وانتصرنا . ولكنها سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

٤- كلمة الكفر مهما كانت فهي مشتتة ومنهزمة أمام كلمة الإسلام العليا والتي هي كلمة الله تعالى فمن تمسك بها فله الصولة والجولة مهما كان الاستعداد والثبات من جانب العدو مادياً فهو متفكك داخلياً متماسك خارجياً، والمسلمون متماسكون داخلياً بقوة إيمانهم وتوحيد كلمتهم وإن كان ظاهرهم يبدو مفككاً .

٥- إن أساس النصر هو التمسك بأمر الله تعالى وليس بالقوة أو العدة .

٦- الحرب سجال ولكن التمسك بشرع الله جل شأنه هو أساس النصر والغلبة والتمكين .

٧- استبسال الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم حول رسول الله ﷺ دفاعاً عنه .

٨- كل مؤمن مبتلى حتى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فهم من جملة عباد لله تعالى .

٩- أهل الكفر يعتمدون في قتالهم على النواحي المادية من عدة وعتاد ومهارات فقط، بينما المسلمون يقاتلون عدوهم بالاعتماد على الله تعالى أولاً ثم بالعدة والعتاد، ونصر الله عز وجل حاصل لحزبه وجنده لا محالة .

١٠- إن الحرب لا تنتهي من أول صولة وجولة كما حصل يوم أحد لما فر المشركون فنزل الرماة لجمع الغنائم فدارت عليهم الدائرة .

١١- اشتراك النساء في الجهاد مع الرجال في غزوة أحد ودفاعهن عن رسول الله ﷺ وبيان فضلهن .

١٢- إن المسلم الحق يستفيد مما يحصل له نصراً كان أو هزيمة فكل من عندا الله عز وجل وبإرادته وتقديره وقضائه .

١٣- كان شعار المسلمين في غزوة أحد هو (أمِت أمِت) .

غزوة حمراء الأسد ــ وكانت أيضاً بقيادته ﷺ بعد أحد بيوم واحد فقط وهو يوم (١٦) شوال .

وسببها أن قريشاً لما غادرت أرض المعركة ندمت لأنها لم تكن قد أحرزت نصراً حاسماً على المسلمين في أحد فقرر زعماؤها وأشرافها وعلى رأسهم عكرمة بن أبي جهل العودة لاستئصال المسلمين وتحقيق النصر التام عليهم .

في حين قرر رسول الله ﷺ أن يظهر قوة المسلمين فأمر بلالاً أن ينادي للجهاد لإدراك قريش وألا يشهد المعركة إلا من شهد أحداً، وأرسل معبداً الخزاعي رضي الله تعالى عنه في مهمة .

ففي طريق عودة قريش للقتال لقيهم معبد الخزاعي الذي أرسله ﷺ وقريش لا تعلم بأمر إسلامه، فأخذ يخذلهم وقال لهم إن الأوس والخزرج قد جمعوا لكم جموعاً مع محمد غضبةً لمن قتل من قومهم في أحد مما جعل أبو سفيان يأمر الجيش بالتحرك من حمراء الأسد والرجوع إلى مكة سريعاً .

ومكث ﷺ ومن معه من الصحابة الكرام (٣) أيام وكان قد أمر أن توقد النار على رؤوس الجبال حتى يظن المشركين أن الألوف من الرجال قد لحقوا بمعسكر المسلمين فيخاف الأعداء منهم فكان ذلك بالفعل .

الدروس والعبر المستفادة من أحداث السنة الثالثة الهجرية

١- غزوه ﷺ عدة غزوات لتوطيد أمن المدينة المنورة وتقوية أمر المسلمين فيها .

٢- حصول غزوة أحد، التي حوت أحداث مهمة كثيرة كان أهمها حدث انقلاب نصر المسلمين إلى هزيمة نتيجة مخالفة بعضهم أمر رسول الله ﷺ .

٣- حصول غزوة حمراء الأسد، التي أظهر من خلالها رسول الله ﷺ للعدو مدى استعداد المسلمين، فيه دليل على وجوب اتخاذ ولي الأمر كافة الاحتياطات والتحسبات اللازمة لحماية دولته، بما يرى المصلحة متحققة فيه .

٤- على ولي الأمر في كل الأحوال وجوب توفير القوت لرعيته وحماية مصادره بما يراه مناسباً من إجراءات واحترازات وعلاقات، هذا أمر مهم جداً فيما يخص شأن الدولة وأمن الشعب على أرضها .

٥- وجوب قطع دابر كل فتنة قبل أن تستفحل، ولا سيما ممن أرجف وبلبل، ليوقع فتنة في مجتمع المسلمين الآمن، قد تأتي عواقبها على الجميع .

السرية التاسعة ــ وكانت بقيادة أبي سلمة رضي الله تعالى عنه إلى قَطَن في شهر محرم وكان عددهم (١٥٠) رجلاً لغزو بني أسد بن خزيمة .

السرية العاشرة ــ وكانت بقيادة المنذر بن عمرو الساعدي رضي الله تعالى عنه في شهر صفر وكان عددهم (٧٠) رجلاً مهمتها دعوة بني عامر في نجد إلى دين الله تعالى ولكن عامر بن الطفيل استنفر بني عامر على قتل السرية فلم يجيبوه لذلك فاستنفر عليهم بني سليم فاعتدوا على السرية وقتلوا جميع أفرادها بالقرب من بئرهم (معونة) والتي كانت السرية قد سميت به .

السرية الحادية عشر ــ بقيادة عاصم بن ثابت الأقلح أو مرثد الغنوي رضي الله تعالى عنهما في شهر صفر وكانت مهمتها تعليم دين الإسلام لقبيلتي القارة وعَضَل وكان عددهم (٧) رجال، ولكن وعند ماء (الرجيع) قرب عسفان غدر القوم بالسرية فقتلوا نصف رجالها وأسروا الباقي وباعوهم لقريش .

الزواج بأم سلمة رضي الله تعالى عنها :

تزوج رسول الله ﷺ من أم سلمة (هند بنت أبي أمية) رضي الله تعالى عنها بعدما مات عنها زوجها أبو سلمة بعد غزوة أحد متأثراً بجراحه وأنجبت من أولاد . وتوفيت رضي الله تعالى عنها سنة (٥٩) للهجرة وعمرها (٩٠) سنة . وقد روت (٣٧٨) حديثاً . ومن فضائلها أنها نالت أجر الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة . قال ﷺ : (**ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله : {إنا لله وإنا إليه راجعون}، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيرا منها** "، قالت : فلما مات أبو سلمة، قلت : أي المسلمين خير من أبي سلمة ؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ قالت : أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت : إن لي بنتا وأنا غيور، فقال : **أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة**)[1].

غزوة بني النضير ــ وكانت بقيادته ﷺ في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة بسبب نقض بني النضير المعاهدة لمرتين :

---

[1] رواه مسلم .

المرة الأولى : أرسل بنو النضير إلى رسول الله ﷺ طالبين منه مناظرتهم فإن حاجهم أسلموا لله تعالى، وحددوا مكان وزمان المقابلة واستعدوا بخناجرهم لقتله ﷺ، ولكن أفشت سرهم امرأةً منهم كان لها أخٌ مسلم فأخبر النبي ﷺ بما عزموا فعله .

المرة الثانية : ذهب رسول الله ﷺ إليهم ليستعين بهم في دفع دية رجلين من المشركين قتلا خطأ من عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه، فجلس رسول الله ﷺ إلى جدار لهم فأمر زعيمهم حيي بن أخطب بإلقاء حجر عليه ﷺ فأوحى الله تعالى إلى نبيه الكريم بقصدهم ذلك وسوء مكرهم، فانصرف ﷺ عنهم مسرعاً إلى المدينة .

حكم الرسول عليهم :

أمر رسول الله ﷺ بحصارهم حتى نزلوا للصلح بعد (٦) ليال، ثم أمر بإجلائهم إلى خيبر وأن ليس لهم من متاعهم إلا ما حملت إبلهم غير السلاح، فكان متاعهم ما حملت الإبل فقط، وأخذوا يخربون بيوتهم بأيديهم ويقطعون ويحرقون النخل حتى تم إجلاؤهم عن المدينة المنورة .

غزوة بدر الموعد ــ وكانت أيضاً بقيادته ﷺ في شـــهر ذي القعدة من السنة الرابعة وكان عدد المسلمين فيها (١٥٠٠) مقاتل وكان حامل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه .

وكان سبب الغزوة أن أبا سفيان كان قد واعـــد المســـلمين عقب غزوة أحد بحرب أخرى بعد عام وقد غاب رسول الله ﷺ في هذه الغزوة (٨) أيام، وخرج أبو سفيان ومعه (٢٠٠٠) مقاتل ولكنهم عادوا قبل وصولهم إلى بدر بحجة أنه عام جدب وقحط، فلم يكن هناك لقاء، وعاد النبي ﷺ بالجيش إلى المدينة المنورة .

السرية الثانية عشر ــ وكانت بقيادة عبد الله بن عتيك رضي الله تعالى عنه في شهر ذي الحجة وكان عددها (٥) رجـــال إلى خيبر لقتل (أبي رافع سلام بن أبي الحقيق) أحد زعماء يهود بـــني النضير والذي كان يحرض القبائل كغطفان على قتال المسلمين .

الدروس والعبر المستفادة من أحداث السنة الرابعة الهجرية

١- بعثه ﷺ عدة سرايا حول المدينة المنورة لعدة أغراض بـــدافع التيقظ والحذر، في ذلك دليل على وجوب تيقظ ولي الأمر لحماية دولته من أدنى ضرر محتمل .

٢- زواجه ﷺ من أم المؤمنين أم سلمة رضي الله تعالى عنها بعد وفاة زوجها .

٣- حصول غزوة يهود بني النضير قوم الغدر والمكر بعد نقضهم العهد مرتين، على إثره تم إجلاؤهم إلى خيبر بدون سلاح ولا متاع سوى ما حملت دوابهم .

٤- حصول غزوة بدر الموعد التي لم يلتق فيها الجيشان بسبب الجدب، وكان سببها أن أبا سفيان واعد المسلمين بها عقب غزوة أحد، فيه دليل على مدى احترام الكلمة سابقاً، فأبو سفيان واعدهم بها عقيب الغزوة مباشرة ولعل دافعه كان حميّة واستعلاء على المسلمين بعد هزيمتهم، ومع أن الأمر لم يؤكد من قِبل الفريقين أية بمراسلات، فرغم ذلك جرى اللقاء وسار الجيشان للحرب .

٥- على ولي الأمر توفير كل ما يضمن به استتباب الأمن لرعيته، وقتل كل من حاول زعزعة الأمن ونشر الفوضى .

٦- الحذر من اليهود قوم المكر والخبث والخديعة والتآمر، وحقدهم الدفين فلما رأو الهزيمة حاقت بهم أخذوا يخربون بيتوهم ويحرقون النخل بأيديهم حتى لا يستفيد منها المسلمون من بعد .

٧- حماية الله سبحانه لرسوله الكريم ﷺ في كل لحظات حياته، تجلى ذلك حين فضحت المرأة اليهودية أمره قتله ﷺ لأخيها فحذر

رسول الله ﷺ وأعلمه بذلك، فيه دليل على فساد ديانة اليهودية وأن الأخوة في النسب أهم منها، مما حمل اليهودية على فعلها ذاك، وفيه دليل على أن الله جل في علاه لم يجعل كل أمر نبيه ﷺ معجزات، فهذا الصحابي حذر رسول الله ﷺ من غدر اليهود .

السنة الخامسة للهجرة النبوية الشريفة

غزوة ذات الرقاع[1] ــ وكانت بقيادته ﷺ في شهر محرم من السنة الخامسة وكان عدد المسلمين (٤٠٠) مقاتل للقاء قبيلتي أنمار وثعلبة قرب نجد عند شجرة اسمها (ذات الرقاع) فباغتهم رسول الله ﷺ قبل أن يستعدوا للقتال ففرّ القوم ولحقوا برؤوس الجبال واستولى المسلمون على الغنائم وساقوها إلى المدينة المنورة .

غزوة دومة الجندل ــ وكانت بقيادته ﷺ في شهر ربيع الأول من السنة الخامسة وكان عدد المسلمين (١٠٠٠) مقاتل وسببها إغارة بعض المشركين على تجارة المسلمين، فسار إليهم رسول الله ﷺ بالجيش ولكن القوم فروا لما علموا أنه ﷺ بالقرب منهم فاستولى المسلمون على الغنائم وساقوها إلى المدينة المنورة .

[1] **قيل** : في هذه الغزوة أنها وقعت في السنة السابعة من الهجرة بعد غزوة خيبر .

غزوة المريسيع (بني المصطلق) ــ وكانت بقيادته ﷺ في شهر شعبان من السنة الخامسة .

تفاصيل الغزوة :

كان سبب الغزوة أن النبي الكريم ﷺ علم أن بني المصطلق (بطن من بطون خزاعة) بزعامة الحارث بن أبي ضرار، الذين يسكنون قديداً قرب البحر الأحمر على ماء لهم يسمى (المريسيع) كانوا يتجهزون لغزو المدينة مع من أطاعهم من القبائل فأرسل النبي ﷺ عيناً له هو بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله تعالى عنه يستطلع الأمر حتى لقيه القوم وقبضوا عليه .

فقال لهم إنما جئت إليكم لما بلغني أنكم تريدون غزو محمدٍ وقومه وسآتي بمن أطاعني من قومي لأنضم إليكم فحمده القوم وأطلقوه، فعاد وأخبر النبي ﷺ الخبر فانطلق عليه الصلاة والسلام ومعه (٧٠٠) مقاتل حتى وصل إلى ديارهم فأغار عليهم بغتة وقتل المقاتلين وأسر الباقي جمعهم وسبى الذرية وساق الأنعام والغنائم إلى المدينة المنورة .

خلال غزوة المريسيع

وخلال غزوة المريسيع حصلت حادثتان مهمتان هما :

الأولى ــ حادثة الشجار : وهي أن الجهجاه الغفاري رجل من المهاجرين ازدحم مع سنان الجهني رجل من الأنصار رضي الله تعالى عنهما على الماء فاقتتلا فصاح كلٌ منهما في قومه وكادوا يقتتلون لذلك فسمع رسول الله ﷺ ذلك فقال : (**ما بال دعوى الجاهلية**) فأخبره القوم بما حدث فقال : (**دعوها فإنها منتنة**) أي عادات الجاهلية، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول : أَوَ فعلوها (**أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**)[1]. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال عمر رضي الله تعالى عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال له ﷺ : (**دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**) وحلف عبدالله بن أبي بعد ذلك عند رسول الله ﷺ أنه لم يقل ذلك فعفا عنه ﷺ .

الثانية ــ حادثة الإفك : وهي رمي السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها زوجة النبي ﷺ بتهمة الزنا وهو (الإفك المبين) مع الصحابي الجليل صفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنه .

القصة :

كان النبي ﷺ إذا أراد الخروج لأي غزوة أقرع بين زوجاته، وكانت القرعة يوم المريسيع لعائشة رضي الله تعالى عنها فخرجت

[1] متفق عليه .

معه، وفي طريق العودة إلى المدينة فقدت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عقدها فتأخرت عن الجيش تبحث عنه حتى ابتعد عنها الركب وهي تبحث حتى وجدته وكان قد غلبها النوم فنامت، ولم تستيقظ إلا من صوت ترجيع الصحابي صفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنه أي قول : (**إنا لله وإنا إليه راجعون**) فأخذها معه إلى المدينة المنورة بعد أن أناخ لها الراحلة وحملها عليها .

بعد ذلك سعى في الفتنة وتلك الفرية عبد الله بن أبي بن سلول مشهراً بهما وأغرى بعض الصحابة بذلك القول فتبعه (حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثه وحمنة بنت جحش) رضي الله تعالى عنهم .

وعلم النبي ﷺ بذلك فضاق بالمنافقين ذرعاً وقام خطيباً بالناس في المسجد مبيناً لهم براءة أهله وكذا فضل الصحابي بن المعطل، وكاد الأوس والخزرج أن يقتتلا بسبب أن سد بن معاذ سيد الأوس رضي الله تعالى عنه توعّد القائل إن كان من الأوس أو من الخزرج فاعترض على قوله سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه سيد الخزرج وتبادلوا الكلام وكاد القوم يقتتلون، ولكن رسول الله ﷺ حجز بينهم وأسكت الجميع فسكتوا رضوان الله تعالى عن الجميع .

ومرضت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها فخرجت إلى بيت أبيها أبي بكر رضي الله تعالى عنه عدة أيام مستأذنة الرسول ﷺ بذلك فأذن لها، ومكث الوحي شهراً لا يأتي رسول الله ﷺ حتى ضاق ﷺ بتلك الفرية، ثم نزل الوحي بفواتح سورة النور معلناً براءة السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، فأقام ﷺ حد القذف على الثلاثة الذين سعوا في الإفك وإذاعته بين الناس بدون بيِّنه منهم عليه، و لم يرض عبد الله بن أبي أن يُحد كغيره فتركه رسول الله ﷺ وهو الذي تولى كبره في الآية : ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[1]. **قيل** : إنه لم يحد لأنه كان كافراً ولذلك فلم يكن الحد ليطهره من كفره .

الزواج بجويرية رضي الله تعالى عنها :

وهي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق تزوجها رسول الله ﷺ بعدما قضى عنها ﷺ مكاتبتها لمن وقعت في سهمه وهو الصحابي ثابت بن قيس رضي الله تعالى عنه، ودخل عليها ﷺ وعمرها (٢٠) سنة، ولما رأى المسلمون زواج رسول الله ﷺ من بنت سيد القوم، أطلقوا جميع الأسرى قائلين أصهار رسول الله ﷺ، ولما رأى أبوها الحارث وقومه موقف

[1] سورة النور .

المسلمين ذلك أسلموا جميعهم فوراً، وتوفيت رضي الله عنها سنة (٥٦) للهجرة . وقد روت (٧) أحاديث . قالت عائشة رضي الله تعالى عنها في فضلها : (لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها، وقلت : يرى منها ما قد رأيت ! فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، وقد كاتبت على نفسي، فأعني على كتابتي، فقال رسول الله ﷺ : **أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابك وأتزوجك** ؟ فقالت : نعم، ففعل رسول الله ﷺ فبلغ الناس أنه قد تزوجها، فقالوا : أصهار رسول الله ﷺ ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة، أعظم بركة منها على قومها، ولما تزوجها رسول الله ﷺ حجبها، وقسم لها، وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ جويرية)[1].

[1] رواه أبو داود وأحمد وابن حبان والحاكم .

الدروس والعبر المستفادة من غزوة المريسيع

١- إخماد رسول الله ﷺ كل فتنة قبل تفشيها وتطورها إلى درجة كبيرة خطيرة ومستفحلة يتأتي ضررها على الجميع .

٢- مباغتة العدو في الحرب قبل استعداده، لأن الحرب خدعة .

٣- تأليف النبي ﷺ قلوب بني المصطلق بزواجه من بنت سيد القوم وهي (جويرية بن الحارث رضي الله عنها) مما كان له الأثر في إسلام قومها من بعد .

٤- حب المؤمنين الصادق لرسول الله ﷺ ومسارعتهم إلى إطلاق الأسرى لمصاهرته بني المصطلق .

٥- التأكد في أمور الجنايات قبل نشرها ولا سيما القذف بدون بينة وخصوصاً إذا كانت في حق المسؤولين، لئلا تشوه سمعتهم .

٦- الرجوع إلى الله تعالى بالإنابة والتوبة يورث مغفرته، والتولي والتكبر على الحق يورث غضب الله تعالى وسخطه .

٧- انقياد المسلمين لطاعة رسول الله ﷺ في إنهاء الخصومات وذلك بدافع الإيمان الصادق .

٨- جواز ذهاب المرأة إلى بيت أبيها حال الخصومة مع الزوج إن كان في ذلك مصلحة متحققة .

٩- البعد عن عادات الجاهلية وتركها والتخلق بأخلاق الإسلام والحذر من الانزلاق في هفوات وخطوات الشيطان ونزغاته .

١٠- عفة الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم وحرصهم البالغ في المحافظة على الأعراض غاية الحرص .

١١- عدل رسول الله ﷺ بإخراجه إحدى زوجاته في الحروب أو في أي سفر كان بعد إجراء القرعة بينهن .

١٢- نزول القرآن الكريم ببراءة السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها بآيات تتلى إلى قيام الساعة .

١٣- الحذر من نقل الأخبار غير المتثبت منها وخصوصاً الخاصة بالمسئولين لئلا تشوه سمعتهم بين العامة، ففي ذلك فتنة كبرى .

١٤- فضل السيدة جويرية رضي الله تعالى عنها على قومها حتى **قيل** : إنها أكثر النساء بركة على قومها فبسبب زوج النبي ﷺ منها أسلم قومها كلهم وأطلقوا من الأسر جميعاً . فيه دليل على أن قدوم المرأة على زوجها قد يكون خيراً وبركة عليه وعليهما جميعاً .

١٥- الحذر من أهل الفتن والنفاق الذي يتصيدون لكل سانحة لهم ليلحقوا السوء بالمسلمين ويشهروا بهم .

غزوة الخندق (الأحزاب) ــ وكانت بقيادته ﷺ في شهر شوال من السنة الخامسة، وقد سميت الغزوة بالخندق لحفره فيها، وسميت بالأحزاب لأن القبائل تحزبت على قتال المسلمين .

تفاصيل الغزوة :

لما أحست قريش بالخطر على تجارتها وعانت من ذلك غاية المعاناة سعت إلى وضع حدٍ للمسلمين، فتحزّبت وتحالفت مع من أطاعها من القبائل ضد المسلمين للقضاء عليهم .

فتحالفت مع قبائل بني سليم وكنانة وغطفان وبني أسد بن خزيمة وبعض أهل تهامة وبني مرة وفزارة وبني أشجع والأحابيش ويهود بني النضير فكوّنوا قوة موحدة اتجهت إلى المدينة المنورة للقضاء على المسلمين وكان عددهم (١٠٠٠٠) عشرة آلاف مقاتل .

ولما وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ أخذ يستشير صحابته الكرام في كيفية التصدي لهذا الجيش الكبير فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه بحفر الخندق لسد الجهة المكشوفة من المدينة المنورة، والتي كانت محاطة من (٣) جهات بالبيوت والأشجار والحرات (الطرق الجبلية الوعرة) فكان حفر الخندق يربط شطري المدينة من حرة (واقم) إلى حرة (الوبرة) .

وقد كان طول الجندق (٥٠٠٠) ذراع وعرضه (٩) أذرع وارتفاعه (من ٧ إلى ١٠) أذرع وكان ممتداً من أم الشيخين إلى المذاد، كل صحابي يحفر (٤) أذرع، ومع ذلك فقد تم حفره في غضون ستة أيام فقط .

وقد أمر رسول الله ﷺ المسلمين بحفره وكان عليه الصلاة والسلام يحفر معهم، وقد حصلت أثناء الحفر بعض المعجزات له ﷺ منها :

١- واجهت المسلمين وهم يحفرون صخرة كبيرة عجزوا عن كسرها وإخراجها فتصدى لها رسول الله ﷺ فضربها (٣) ضربات قال في الأولى : (**الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام إني لأبصر قصورها الحمر الساعة**) ثم ضربها الثانية وقال : (**الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس إني لأبصر قصر المدائن أبيض**) ثم ضربها الثالثة وقال : (**الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة**)[١].

٢- أصاب المسلمين وهم يحفرون الخندق مجاعة شديدة، حيث لم يكن لدى أكثرهم طعام سوى التمر أو الشعير، وفي يومٍ والصحابة يحفرون إذ دعا الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما رسول الله ﷺ إلى طعامٍ عنده، فذبح له ما عنده وخبز له بعض الشعير، ولما حضر رسول الله ﷺ صاح بالمسلمين أجمعين ليأكلوا معه فاجتمعوا كلهم وكان الطعام لا يكفيهم، فما زال رسول الله ﷺ يدعو بالبركة في الطعام حتى أكل منه الجميع وزاد الطعام فأهدى جابراً رضي الله تعالى عنه منه الكثير .

---

[١] رواه النسائي في الكبرى وأحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى .

٣- إبلاغه ﷺ بأن عمار بن ياسر رضي الله عنه ستقتله الفئة الباغية وقد قتل رضي الله عنه يوم صفين وهو يحارب مع علي رضي الله عنهما، قال ﷺ لعمار رضي الله تعالى عنه : (**تقتلك الفئة الباغية**)[1]. هذه بعض معجزاته ﷺ أثناء حفر الخندق .

عودة للأحزاب :

عندما وصل الأحزاب إلى المدينة المنورة ووجدوا الخندق أمامهم حجزهم عن دخولها، فاصطف جيش المسلمين مواجهين لهم فكانت ظهور المسلمين مواجهة لجبل (سلع) وكان عددهم (٣٠٠٠) مقاتل .

ولما رأى يهود بني قريظة قوة جيش الأحزاب وكثرته قاموا بنقض عهودهم ونكثها إلا بني (سِعنة) منهم، فأمر ﷺ بدوريات حراسة في المدينة المنورة ليأمن مكر يهود بين قريظة على النساء والصبيان فكانت دوريتان دورية لزيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه بـ (٣٠٠) مقاتل، ودورية لسلمة بن أسلم الأوسي رضي الله تعالى عنه بـ (٢٠٠) مقاتل .

واستمر حصار المدينة (٢٤) ليلة لم يكن بين الجيشين إلا النبل فقط حتى تضعضعت همم الأحزاب وتشتت أملهم مع طول

[1] رواه مسلم .

الحصار ومما جعل قواهم تنهار فأخذوا بالتقهقر، وأرسل الله تعالى عليهم (الصبا) ريحاً وعواصف شديدة اقتلعت خيامهم وأكفأت قدورهم وأطفأت نيرانهم ودفنت رحالهم، فأمر أبو سفيان حينها بفك الحصار وبالرحيل عن المدينة فتفرق الأحزاب وتشتتوا فمنهم عائدٌ إلى مكة وإلى الطائف وإلى نجد وإلى البادية وغيرها، وعادت القبائل كلها بالخيبة والفشل الذريع .

نتيجة الغزوة :

١- عدد شهداء المسلمين (٨) شهداء، منهم سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه الذي أصيب بسهم في كاحله فمات منه بعد ذلك متأثراً به .

٢- عدد قتلى المشركين (٤) على رأسهم عمرو بن عبد ود ومرحب اليهودي الذَين بارزا علياً كرم الله تعالى وجهه فقتلهما، ونوفل المخزومي الذي سقط في الخندق أثناء محاولته عبوره .

الدروس والعبر المستفادة من غزوة الأحزاب

١- الفكر السليم بتقرير مبدأ المشورة عند الحوادث .

٢- تواضع رسول الله ﷺ بعمله مع المسلمين في حفر الخندق .

٣- عجز الأحزاب عن تخطي الخندق دليل إتقان الحفر والرأي السليم .

٤- كشف الله تعالى البلاء عن عباده الصادقين معه، بصرف الأحزاب .

٥- تعدد طرق الحرب فليس فقط بالقتال بل وبكل وسائل الخدعة والكمائن والمكيدة بالعدو .

٦- نصرة رسول الله ﷺ بريح النصر المسماة (الصبا) التي سُلطت على الأحزاب فاقتلعت خيامهم وأكفأت قدرورهم . قال ﷺ : **(نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور)**[1].

٧- وجوب تحسب ولي أمر المسملين من توافق الكفار عليهم، وتحزبهم في العداوة والمكر بهم .

٧- مكر اليهود وخداعهم، لما رأوا الفرصة سانحةً لهم نكثوا عهودهم ومواثيقهم مما ينبغي الحذر منهم كيف وقد خانوا رسول الله ﷺ .

٩- مهارة علي رضي الله تعالى عنه القتالية وقتله لعمرو بن عبد ود وهو أحد أكبر فرسان جزيرة العرب كلها ومرحب اليهودي وهو من أقوى المحاربين .

١٠- إن الروح القتالية تضمحل مع الوقت وتبرد الهمم، ولذا فالمبادرة بالقتال أثناء الجهاد في سبيل الله تعالى مطلوبة .

---

[1] متفق عليه . الصبا ريح تهب من مشرق الشمس، والدبور ريح تهب من مغرب الشمس .

١١- حصول بعض المعجزات للنبي ﷺ أثناء حفر الخندق تأتي كالبشارات لمن بعده، وقد تحقق قوله بالفعل في عهد الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم .

الزواج بزينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها :

أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ أن يتزوج بابنة عمته (أميمة بنت عبدالمطلب) زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها بعدما طلقها زوجها زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه والذي كان النبي ﷺ قد تبناه في الجاهلية، ليبطل عادة التبني التي كانت تحرم أن يتزوج الرجل من زوجة متبنيه، ودخل بها ﷺ وعمرها (٢٥) سنة، وكان اسمها (بُرَّة أو بَرَّ) فغيره ﷺ زينب، وتوفيت رضي الله عنها سنة (٢٠) للهجرة . وقد روت (١١) حديثاً . قالت عائشة رضي الله تعالى عنها في فضلها : (لم يكن أحد من نساء النبي ﷺ تساميني في حسن المنزلة عنده إلا زينب بنت جحش)[١]. وقالت رضي الله تعالى عنها : (وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول : إن آباءكن أنكحوكن وإن الله أنكحني في السماء)[٢].

---

[١] متفق عليه .

[٢] رواه البخاري .

غزوة بني قريظة ــ وكانت أيضاً بقيادته ﷺ عقب غزوة الخندق مباشرةً في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة رداً عليهم لما نقضوه من العهود والمواثيق خلال غزوة الخندق .

تفاصيل الغزوة :

في غضون غزوة الخندق، أرسل حيي بن أخطب النضري (سيد بني النضير) إلى كعب بن أسد القرظي (سيد بني قريظة) يحثه على نقض العهد والتحزب مع الأحزاب ليكونوا قوة داخلية من داخل المدينة المنورة تزعزع الأمن فيها، بينما كان المسلمون مشغولين بأمر الأحزاب خارج المدينة، فقاموا بنقض عهودهم .

وبعد تفرق الأحزاب وانسحاب جيشهم عن المدينة المنورة ولّى رسول الله ﷺ عليها عبد الله بن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه وخرج بالجيش إليهم وكان قد أمر الجيش ألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة وكان عدده (٣٠٠٠) مقاتل فلما وصلوا إلى ديار القوم حاصروهم (٢٥) ليلة .

ولما اشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله ﷺ مستسلمين له خاضعين لأمره، واستشاروا أبا لبابة رضي الله تعالى عنه في ذلك لأنه كان حليفهم في الجاهلية فأشار لهم بيده نحو عنقه أن ذلك يعني الذبح .

ثم إنه ندم على مشورته تلك فذهب وربط نفسه في إحدى سواري (أعمدة) المسجد حتى قبلت توبته وتاب الله تعالى عليه وحل وثاقه رسول الله ﷺ بيده الشريفة .

أما اليهود فقد قبلوا بالنزول على أمر سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه لأنه أيضاً كان حليفاً سابقاً لهم في الجاهلية فحكم فيهم أن تقتل الرجال وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم، فأقره على ذلك رسول الله ﷺ وقال له : (**لقد حكمت فيهم يا سعد بحكم الله من فوق سبع سماوات**)[1].

ثم فعل بهم ما حكم عليهم، وأمر رسول الله ﷺ بقتل امرأة منهم لأنها ألقت رحى على الصحابي خلاد بن سويد رضي الله تعالى عنه من علو فقتلته .

وبعد غزوة يهود بني قريظة ونهاية أمرهم في المدينة المنورة قال رسول الله ﷺ لصحابته الكرام رضوان الله تعالى عنهم : (**لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم**) . وفي رواية أخرى : (**الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم**)[2]. فكانت بشارة لهم .

---

[1] متفق عليه .

[2] متفق عليه .

ريحانه بنت خناقه رضي الله تعالى عنها :

اصطفى رسول الله ﷺ لنفسه من سبايا نساء يهود بني قريظة (ريحانة) رضي الله تعالى عنها فكانت (جاريةً) له . **قيل** : إنه ﷺ أعتقها وتزوجها، وقد توفيت رضي الله تعالى عنها بعد حجة الوداع .

الدروس والعبر المستفادة من أحداث السنة الخامسة الهجرية

١- غزوه ﷺ عدة عزوات لعدة أغراض منها تأديب كل من حاول غزو المدينة المنورة وكسر شوكته، ولولي الأمر البدء بالقتال والمبادرة به متى رأى المصلحة في ذلك، ولا سيما لمن تآمر على الدولة وأمنها واستقرارها .

٢- حصول غزوة المريسيع، التي انتهت بمصاهرة رسول الله ﷺ لبني المصطلق .

٣- زواجه ﷺ من أم المؤمنين جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق رضي الله تعالى عنها، تطييباً لخاطرها وتأليفاً لقلوب قومها على الإسلام، فحصل ذلك بالفعل وإسلم جميع قومها بفضل الله تعالى .

٤- الحذر من أهل النفاق والإرجاف الذين يخوضون في الأعراض للإيقاع بين المسلمين، كما فعل المنافقون حين حاولوا الإيقاع بين

المهاجرين والأنصار رضوان الله تعالى عنهم . ورمو أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها بالإفك العظيم وهو الزنا، فنزل القرآن الكريم ببراءتها .

٥- لا أحد يسلم من الكلام والرمي بالتهم حتى ولاة الأمر وسادة القوم، فهذا رسول الله ﷺ رميت زوجته الطاهرة في عفتها فتولى الله سبحانه تبرأتها .

٦- حصول غزوة الأحزاب، التي انتهت بانسحابهم جميعاً عن المدينة المنورة . وظهور علامات ومعجزات نبوية كبرى خلال حفر الخندق .

٧- زواجه ﷺ من أم المؤمنين زينبت بنت جحش رضي الله تعالى عنها بأمر الله تعالى ليبطل عادة التبني التي كانت في الجاهلية، وفي ذلك قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ .

٨- حصول غزوة يهود بني قريظة قوم الغدر والمكيدة والخيانة، والتي انتهت بقتلهم وسبي نسائهم وذراريهم ومصادرة أموالهم .

٩- فقه الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم في الحكم وصدقهم في المشورة، تجلى ذلك في فقه سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه حين حكم على القوم .

١٠- وجوب الصدق في المشورة، ولولي الأمر أن يتخذ الأمنـــاء لذلك، ليكونوا نصحاء له وبطانة خير وصدق وحق .

١١- كانت هذه السنة الهجرية من أهم سنين العهـــد النبـــوي المدني، حيث :

أ- حصل فيها غزوة المريسيع أو بني المصطلق .

ب- حصل فيها غزوة الأحزاب أو الخندق .

ج- حصل فيها غزوة يهود بني قريظة .

د- حصل فيها حديث الإفك المشؤم والبهتان العظيم .

هـــ- تزوج فيها ﷺ أم المؤمنين جويرية بنت الحارث وأم المؤمنين زينب بنت جحش رضوان الله تعالى عنهما .

السنة السادسة للهجرة النبوية الشريفة

السرية الثالثة عشر ــ بقيادة عبد الله بن أنيس رضي الله تعالى عنه وكانت في شهر محرم لقتل (سفيان بن خالد بن نبيح) الـــذي كان يحرض على قتال المسلمين، فقتلته السرية ليلاً .

السرية الرابعة عشر ــ بقيادة محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه وكان معه (٣٠) مقاتلاً ناحية (القرطاء) في نجد لغزو بني بكر فقتلوا منهم (١٠) وساقوا الغنائم أمامهم .

غزوة بني لحيان ــ وكانت بقيادته ﷺ في شهر ربيع الأول من السنة السادسة وكان عدد المسلمين (٢٠٠) مقاتل، وكانت جهة عسفان لغزو بني لحيان ولكنهم فروا فلم يكن هناك لقاء .

السرية الخامسة عشر ــ بقيادة عكاشة بن محصن رضي الله تعالى عنه في شهر ربيع الآخر وكان معه (٤٠) مقاتلاً لغزو بني أسد، وعندما وصلت السرية إلى ماء يسمى (الغَمَر) وجدت (٢٠٠) بعير بعدما هرب القوم وتركوها فساقها المسلمون وعادوا بها إلى المدينة المنورة .

السرية السادسة عشر ــ بقيادة محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه وكانت في شهر جمادى الأولى إلى أرض (ذي القَصَّة) لغزو بني ثعلبة وكان معه (١٠) مقاتلين، وفي الليل أحاط الأعراب وعددهم (١٠٠) بالسرية وقتلوا كل أفرادها إلا محمد بن مسلمة جرحاً بليغاً فظنوه قد مات، فلما تفرق القوم أخذه أعرابي وحمله معه إلى المدينة المنورة .

السرية السابعة عشر ــ بقيادة أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه كانت أيضاً إلى (ذي القصة) في نفس الشهر تعقباً لمقتل أفراد سرية محمد بن مسلمة وكان عدد السرية (٤٠) مقاتلاً، كما أن بني ثعلبة تجهزوا مع قبيلة أنمار للإغارة على المدينة المنورة فكانت السرية تسير ليلاً، وفي الصباح أغاروا على بني ثعلبة فهرب القوم

إلى رؤوس الجبال فأصابت السرية أنعاماً وخيراً كثيراً ساقوها إلى المدينة المنورة .

أربع سرايا لزيد بن حارثة ــ أرسل النبي ﷺ زيداً رضي الله تعالى عنه إلى (الجموم) لغزو بني سليم في شهر جمادى الآخرة فأصابوا نعماً وعادوا .

ثم أرسله ﷺ في شهر رجب إلى (العيص) ومعه (١٧٠) راكباً لمقابلة قافلة قرشية قادمة من الشام فاستولت السرية على القافلة وأسرت كل رجالها وكان فيمن وقع في الأسر أبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب رضي الله تعالى عنها بنت رسول الله ﷺ فهرب إلى بيتها واستجار بها فأجارته وطلبت من أبيها رسول الله ﷺ أن يرد عليه أموال العير فردها ﷺ عليه، فلما رأى القوم ذلك قاموا برد كل ما أخذوه مما جعل أبو العاص يتأثر بما حصل فذهب مسرعاً إلى مكة وأدى كل ما عليه من ودائع وحمائل ثم عاد إلى المدينة المنورة مسلماً رضي الله تعالى عنه، فأثبت رسول الله ﷺ نكاحه الأول من ابنته رضي الله تعالى عنهما .

ثم أُرسِل إلى (الطَرَّف) وهي مضارب بني ثعلبة وكان معه (١٥) مقاتلاً فلم يجدوا إلا الأنعام فساقوها إلى المدينة المنورة .

ثم أرسل إلى (وادي القرى) وكان معه (٣٠٠) مقاتل لدعوة القبائل للإسلام وكانت في شهر شعبان .

السرية الثانية والعشرون ــ بقيادة عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه إلى (دومة الجندل) في شهر شعبان وكان عـــددها (٧٠٠) مقاتل لدعوة بني كلب للإسلام، فأسلموا وتزوج ابنـــة سيدهم لوصية رسول الله ﷺ له بذلك .

السرية الثالثة والعشرون ــ بقيادة علي بن أبي طالب رضـــي الله تعالى عنه إلى (فدك) في شهر شعبان ومعه (٢٠٠) مقاتل لقتال بني سعد بن بكر فلما وصلت السرية إلى معسكرهم وجدته خالياً فاستولو على الأنعام وعادوا بها .

السرية الرابعة والعشرون ــ بقيادة زيد بن حارثة رضـــي الله تعالى عنه إلى بني فزارة في شهر رمضان ولما وصلت الســـرية إلى ديارهم أغاروا عليهم فقتلوا منهم وأسروا وساقوا الأنعام أمامهم، وكان ممن وقع في الأسر (أم قرفة) التي كانت تحاول اغتيال رسول الله ﷺ .

السرية الخامسة والعشرون ــ بقيادة عبد الله ابـــن رواحـــة رضي الله تعالى عنه وكانت في شهر شوال وعددها (٣٠) مقاتلاً لقتل (أسير بن رازم) من زعماء اليهود فأدركوه وقتلوه هو وبعض رجاله .

السرية السادسة والعشرون ــ بقيادة كرز الفهري رضي الله تعالى عنه في شهر شوال وكان عددها (٢٠) فارساً لملاحقة بعض

الأعراب لأنهم أغاروا على سرح للمدينة المنورة ونهبوا بعض الأنعام منه، فأدركهم كرز وأسرهم وأحضرهم إلى النبي ﷺ .

عمرة وصلح الحديبية ــ وكانت في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة النبوية الشريفة، وكان قد خرج رسول الله ﷺ بصحبه الكرام رضوان الله تعالى عنهم إلى مكة المكرمة معتمراً . فكان الصلح .

تفاصيل الصلح :

خرج رسول الله ﷺ إلى مكة المكرمة هو وأصحابه يريد العمرة وكان عددهم (١٤٠٠) رجل، فلما علمت بالأمر قريش عزمت على صده عن ذلك تماماً، فأرسلت خالد بن الوليد وخيالته لصدهم في حين اختلف رسول الله ﷺ من طريق آخر من جهة الحديبية فلم يجدهم خالد فعاد بمن معه إلى قريش .

بعد ذلك حدثت عدة مراسلات بين رسول الله ﷺ وقريش بشأن دخول مكة المكرمة للعمرة كان آخرها أن أرسل ﷺ عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه إلى قريش مفاوضاً ولكن عثمان تأخر في العودة فظن المسلمون وشاع فيما بينهم أن قريشاً قد قتلت عثمان رضي الله تعالى عنه، فكانت بيعة الرضوان .

بيعة الرضوان :

لما تأخر عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وشاع خبر مقتله بايع النبي ﷺ المسلمين تحت سَمُرة (شجرة طلح) فسموا بأصحاب السَمُرَة، وكانت بيعة على الموت وعلى ألا يفروا، وضرب رسول الله ﷺ بيده اليمنى على يده اليسرى تحت الشجرة وقال هذه يد عثمان (أي أنه ممن بايع تحت الشجرة رغم غيابه) ولكن وبعد بيعة الرضوان ببرهة عاد عثمان رضي الله تعالى عنه .

بعد ذلك أرسلت قريش سهيل بن عمرو ومكرز بن حفص إلى النبي الكريم ﷺ للمفاوضة، فكانت نتيجة المفاوضات أن عقد صلح سمي بصلح الحديبية، لأنه تم في مكان يدعى الحديبية والذي يعرف الآن بالشميسي أحد حدود منطقة الحرم من مكة المكرمة للقادم من جدة .

كتابة الصلح :

وعند كتابة الصلح قال ﷺ لعلي رضي الله تعالى عنه اكتب : **(بسم الله الرحمن الرحيم)** فاعترض سهيل بن عمرو وقال : من هذا ؟ أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو بل اكتب باسمك اللهم، فأبى علي أن يكتبها فمحاها رسول الله ﷺ بنفسه وأمر علياً أن يكتب كما قال سهيل فكتبها .

ثم قال ﷺ لعلي اكتب : (**من محمد رسـول الله**) فـاعترض سهيل وقال : أما لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيـت وما قاتلناك بل اكتب من محمد بن عبد الله فأبى علي أيضاً ذلـك فأمره رسول الله ﷺ بأن يكتب كما قال سهيل فكتبها علي رضي الله تعالى عنه ثم استكمل كتابة شروط الصلح .

حال الصحابة :

كان الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم في حالة غضب شديد من هذه الاتفاقية ومما كتب فيها من شروط، لأنهم يرون أن كل شروطها جائرة عليهم وهاضمة لحقوقهم، ومن ذلك :

أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه راجع رسول الله ﷺ فيها بقوله : ألست رسول الله فقال ﷺ : **بلى** فقال : عمر : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل فقال ﷺ : **بلى** قال عمـر : فلـم نعطي الدنية في ديننا فقال ﷺ : **إني رسول الله ولست أعصـي أمره وهو ناصري** فقال عمر : أو ليس كنت تحدثنا أنا سـنأتي البيت فنطوف به فقال ﷺ : **بلى أفأخبرتك أنك تأتيه العـام**، ثم جاء إلى أبي بكر وقال له نحواً مما قال لرسول الله ﷺ فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنهما : (الزم غرزك يا عمر إنـه النـبي)[1].

[1] متفق عليه .

فكان عمر رضي الله تعالى عنه يخشى على نفسه من ذلك الموقف كلما ذكره ويستغفر الله تعالى منه .

شروط الصلح :

تضمّن صلح الحديبية عدة شروط، في مجملها :

١- رد محمدٍ هذا العام عن دخول مكة ويدخلها عامه المقبل لمدة (٣) أيام دون حمل السلاح معه .

٢- وضع الحرب (١٠) سنين يأمن الناس فيهن بعضهم بعضاً .

٣- يرد إلى قريش كل من جاء إلى محمد مسلماً، ولا يرد إلى المدينة كل من جاء إلى قريش مرتداً .

٤- من أحب الدخول في عهد محمد دخل ومن أحب الدخول في عهد قريش دخل، فدخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ ودخلت بنو بكر في عهد قريش .

٥- لا غدر بيننا ولا خيانة بعبارة (لا إسلال ولا إغلال) .

٦- صفاء صدورنا بالوفاء بالعهد وعدم إبداء العداوة والغل والخداع بعبارة (بيننا عيبة مكفوفة) . هذه فحوى أهم الشروط .

بعد صلح الحديبية :

أطلقت قريش سراح كل الأسرى الذين ذهبوا لزيارة أهلهم وكذا أطلق رسول الله ﷺ سراح عدد من المشركين من الذين

كانوا قد قاموا بعدة هجمات متفرقة على المدينة المنورة، ثم نحر رسول الله ﷺ هديه وقصر شعره وعاد بعد ذلك بأصحابه الكرام إلى المدينة المنورة دون أداء العمرة .

الدروس والعبر المستفادة من صلح الحديبية

١- ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، أمر متحقق حتى عند إرادة فعل الخير وابتغائه، فيجب على المسلم الصبر حتى يأذن الله تعالى له ويوفقه سبحانه لما قسم به .

٢- بُعد نظر رسول الله ﷺ وحنكته في المواقف، وتأييد الله تعالى له بتدبير الأمور وقلب المصالح للمسلمين .

٣- قدرة الله تعالى على تصريف الأمور لعباده المخلصين وإن كان ظاهرها عكس ذلك فـ (خير الأمور أحمدها مغبة) .

٤- حصول صلح الحديبية ووضع الحرب مدة مهّدت للدخول في الإسلام ولمراسلة الملوك والقبائل لدعوتهم للدين الحق .

٥- كل شروط صلح الحديبية كانت في مصلحة المسلمين وكلها ضد المشركين وإن كان ظاهرها في بادئ الأمر عكس ذلك .

٦- صلح الحديبية مهّد الطريق لدخول القبائل في حلف المسلمين مما هيأ الطريق لفتح مكة بعد ذلك، إذ أن لكل شيء وقت وأجل معلوم .

٧- أتاحت هدنة الحديبية والتي كانت فرصة كبيرة ومهدت للمسلمين إعادة تنظيم مجتمعهم الإسلامي، والقيام بالكثير من الأعمال .

٧- نزول سورة الفتح بعد الإنصراف من صلح الحديبية مباشرة مبينة حقيقة الموقف بأن الفتح الحقيقي لمكة بدأ بصلح الحديبية ومهد له . فعن البراء رضي الله تعالى عنه قال : (تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها، فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا)[1].

٨- وجوب ضبط النفس والحذر من الحماس غير المتزن وبالتالي عدم الإفتئات على من هو أدرى وأعلم وأولى بالمصالح والمنافع .

بعد العودة إلى المدينة المنورة :

وأثناء كتابة الصلح جاء أبو بصير رضي الله تعالى عنه مسلماً فقال سهيل بن عمر : هذا أول من يُرد فرده رسول الله ﷺ عنها حسبما تقتضيه شروط الصلح، فتنحى أبو بصير جانب (سيف

[1] رواه البخاري .

البحر) وصار هذا المكان مأوى لكل من أسلم بعد ذلك و لم يستطع دخول المدينة المنورة حسب بنود الصلح، مما شكّل قوةً هددت قريش وتجارتها وقوافلها لأن تلك القوة لم تكن قد دخلت في الصلح مما أرغم قريش بعد ذلك للتنازل عن هذا الشرط، فدخل أبو بصير ومن معه إلى المدينة المنورة وشملهم صلح الحديبية فيما بعد .

وأسلم بعد الصلح بعضاً من المشركين منهم خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص وغيرهم وهاجروا إلى المدينة المنورة بعدما سقط الشرط، وقد استمرت الهدنة (١٧) شهراً حتى نقض الصلح مما مهد لفتاح مكة .

إرسال الرسل إلى الملوك

بعد عودة رسول الله ﷺ من صلح الحديبية هيأ له ذلك فرصة التوسع في الدعوة ونشر الإسلام بنطاق أوسع، فأخذ يرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام، وهم :

١- دحية الكلبي إلى هرقل ملك الروم وكان يتكلم لغتهم .

٢- عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة وكان يتكلم لغتهم .

٣- عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس .

٤- الحارث بن عمير الأزدي إلى حاكم بصرى من قبل الروم .

٥- حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر (القبط) .

٦- العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين .

٧- سليط بن عمرو العمري إلى هوذة بن على صاحب اليمامة .

٨- شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث الغساني ملك غسان .

٩- عمرو بن العاص إلى جيفر الجلندي ملك عمان .

وكان كل كتاب أُرسل إلى ملك مختوم عليه بختم رسول ﷺ ومنقوش عليه (**محمد رسول الله**) . وكانت النتائج مختلفة بالنسبة لتقبل رسالة رسول الله ﷺ فمنهم من أكرم رسول رسول الله ﷺ وأحسن الرد وأرسل معه الهدايا كهرقل ملك الروم، ومنهم من رفضها ومزق الصحيفة ككسرى الفرس، ومنهم من أهدى رسول الله ﷺ الهدايا كالمقوقس ملك القبط، ومنهم من قتل رسول رسول الله ﷺ كحاكم بصرى الذي قتل الحارث الأزدي .

مضمون كتب النبي ﷺ :

جاء في كتاب رسول الله ﷺ الموجه إلى هرقل عظيم الروم ما نصه : (**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن**

توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾)[1].

وجاء في كتاب رسول الله ﷺ الموجه إلى كسرى عظيم الفرس ما نصه : (**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبي الأمي إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك**)[2].

ومما جاء في كتاب رسول الله ﷺ الموجه إلى النجاشي في الحبشة ما نصه : (**بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام، أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن،**

---

[1] رواه مسلم . والأريسيون أي : اتباع الملوك على كفرهم من العامة والخاصة . سورة آل عمران .

[2] ذكره أبو نعيم في دلائل النبوة .

وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق ادم بيده، وإني أدعوك إلى الله واحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عزّ وجلّ، وقد بلّغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتّبع الهدى)[1].

وهكذا اختلفت محتويات كتب رسول الله ﷺ الموجهة للملوك والحكّام التي دعاهم فيها إلى الإسلام بحسب وضع كلٍ منهم، وإن كانت من حيث المضمون قد حوت ما يلي :

١- بداية الكتب مصدرةً (بسم الله الرحمن الرحيم) .

٢- تضمنت توحيد الخالق العظيم جل ربنا في علاه .

٣- إثبات نبوة رسول الله ﷺ .

٤- مخاطبة الآخرين بما يليق بهم وبمقاماتهم الدنيوية من باب الترغيب، بتأليف القلوب واستمالتها لترى الحق المبين واضحاً جلياً .

٥- الدعوة الصريحة إلى الإسلام دين الله تعالى الحق .

---

[1] ذكره البيهقي في دلائل النبوة وابن سيد الناس في عيون الأثر وغيرهم . واختلفوا في النجاشي هذا فقيل : ليس هو الذي أسلم وصلى عليه رسول الله ﷺ صلاة الغائب على الأرجح وأصح الأقوال .

٦- إلقاء السلام على المخاطبين من باب أن فحوى الكتاب المقصد منه غاية الرحمة بهم والنفع لهم ولمن بعدهم .

٧- بيانه ﷺ أنه بشير ونذير للناس كافة من عند الله تعالى .

٨- التحذير والتنبيه من الإعراض عن دين الله سبحانه وتكذيب رسوله الكريم ﷺ والترهيب من تحمل إثم التابعين للحاكم على الكفر متى أعرض وكفر .

٩- حوى كل كتاب جانباً خاصاً بحسب ديانة كل مخاطب بما يناسبه .

هذه هي أهم المضامين المشتركة التي تضمنتها كتب رسول الله ﷺ المرسلة إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام .

وبعد تلك الرسائل والبعوث أخذ رسول الله ﷺ يستكمل إرسال السرايا والبعوث للدعوة ولتوطيد الإسلام وللغارات وللاستطلاع ولغيرها من المقاصد .

ماريه القبطية رضي الله تعالى عنه :

رغم موقف المقوقس من رسول رسول الله ﷺ وما أبداه له من جفاء وغلظة إلا إنه أهدى للنبي ﷺ كسوةً وجاريتين رداً لكتابه الذي دعاه فيه للإسلام فكانت مارية إحدى (جواريه) ﷺ، وهي أم ولده إبراهيم، وقد توفيت رضي الله عنها سنة (١٦) للهجرة .

السرية السابعة والعشرون ــ بقيادة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه إلى (حسمى) لتخليص أموال استولى عليها بنو جدام من دحية الكلبي وهو عائدٌ من عند قيصر بالشام وكان عدد السرية (٥٠٠) مقاتلاً فخلصها منهم .

غزوة ذي قَرَد (الغابة) ــ وكانت بقيادته ﷺ في شهر ربيع الآخر من السنة السادسة لمطاردة عبد الرحمن بن عيينة بن حصن لأنه أغار على سرح في أطراف المدينة المنورة مع (٤٠) فارساً واستاق أغنام وإبل المسلمين فتعقبه سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه وأدركه واستنقذ الأنعام منه، ولحق رسول الله ﷺ بسلمة فوجده قد أعاد الأنعام وقد قتل من فرسان عبد الرحمن بن عيينة (٤) في حين كان عبد الرحمن قد فرّ .

الدروس والعبر المستفادة من أحداث السنة السادسة الهجرية

١- غزوه ﷺ عدة عزوات وبعثه عدة بعوث لعدة أغراض أهمها توطيد أمر الإسلام وأهله وتأديب كل من حاول غزو المدينة المنورة .

٢- حصول صلح الحديبية، والذي انتهى بمصالحة قريش على بنود أتت ثمارها لصالح المسلمين مستقبلاً .

٣- حدوث بيعة الرضوان خلال صلح الحديبية، وفضل كل من حضرها .

٤- إرساله ﷺ الرسل إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام، وفي ذلك دليل على وجوب إرسال ولي الأمر دعاة عن الإسلام إلى كل بقاع الأرض، ينشرون دين الحق وشرع الصدق .

٥- اصطفاءه ﷺ مارية القبطية رضي الله تعالى عنها .

٦- وجوب اتخاذ سفراء ممثلين عن دولة الإسلام في كل دولة، وحسن اختيارهم بما يضمن قدرتهم على إدارة الأمور والقيام بالمهام على أتم وجه وأحسنه .

٧- مخاطبة الملوك وأهل الشأن والحكم والسلطان بما يليق بمقامهم على قومهم، استمالة لهم ولمن بعدهم للخير والبر والحق .

٨- قبول الهدية بين الملوك وأهل الشأن بما يحقق التوازن بين الدول ويضمن سلامة العلاقات واستقرارها، وهي بكل حال ليست هدايا شخصية .

٩- صدق غيرة الصحابة الكرام، كما كان حالهم حال كتابة الصلح ولا سيما عمر بن الخطاب حين اعترض بدافع الغيرة والحمية على الإسلام رضوان الله تعالى عنهم أجمعين .

١٠- النزول على رأي الخصم متى تحقق من ذلك مصلحة، ولولي الأمر كتابة ما يراه مناسباً من شروط ومعاهدات ومواثيق بحسبما

يرى من مصلحة، ولو كانت مصالح مؤجلة تغيب على أكثر عقول البطانة ورجال الدولة في حينه .

١١- لولي الأمر اتخاذ المراسيم التي يراها مناسبة لدولته في تعامله مع الدول والقيادات والحكومات الأخرى .

١٢- الحذر من نفاق الأعراب وغدرهم وجهلهم، لأن أهل البداوة أشد جفاءاً وعناداً وصلفاً وكبراً، وقد حكى القرآن الكريم عن خلقهم ذلك بقوله سبحانه : ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

السنة السابعة للهجرة النبوية

الزواج برملة رضي الله تعالى عنها :

تزوج رسول الله ﷺ (أم حبيبة) رضي الله تعالى عنها وهي رملة بنت أبي سفيان، وكانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش ثم إنه تنصّر وبقيت هي على إسلامها، فأرسل النبي ﷺ إليها يخطبها فأصدقها عنه أي (دفع مهرها) النجاشي، ودخل بها ﷺ وعمرها بضع وثلاثون سنة، وتوفيت رضي الله عنها سنة (٤٢) للهجرة . وقد روت (٦٥) حديثاً .

غزوة خيبر ــ وكانت بقيادته ﷺ في شهر ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة لأن يهود خيبر نقضوا عهودهم، ويهود خيبر هم خليط من يهود بني قريظة وبني قينقاع لما تم إجلائهم عن المدينة المنورة منهم من لحق بالشام ومنهم من سكن خيبراً وكوّنوا هناك مجتمعاً لهم .

تفاصيل الغزوة :

عندما عاد رسول الله ﷺ من صلح الحديبية وصلت إليه أخبار تفيد بأن يهود خيبر تفاوضوا مع غطفان على أن لهم (غطفان) نصف ثمار المدينة إن هم ساعدوهم على إمدادهم بالسلاح والرجال لمساعدتهم في قتال المسلمين .

فسار إليهم رسول الله ﷺ بالجيش ليباغتهم حتى وصل أحد حصونهم فحاصرهم فيه وهو حصن (ناعم) وكانت الراية عند أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في اليومين الأولين فقال رسول الله ﷺ : (**لأعطين الراية غداً رجلٌ يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله له**)[1]. وفي اليوم التالي بعد صلاة الفجر نادى ﷺ علياً رضي الله تعالى عنه وأعطاه الراية[2].

---

[1] متفق عليه .

[2] قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (ما أحببت الإمارة قط إلا يوم إذ) يقصد بذلك يوم خيبر .

وفتح الله تعالى على يد علي رضي الله تعالى عنه حصن (ناعم)، وقد استشهد في هذا الحصن محمود بن مسلمة الأنصاري رضي الله تعالى عنه برحى ألقاها عليه مرحب اليهودي والذي بارز علياً بعد ذلك وهزِم وقتل، واستغرق فتح هذا الحصن (١٠) أيام، ثم بعد ذلك تم فتح حصن (الصعب) وكان حامل اللواء الحباب بن المنذر رضي الله تعالى عنه واستغرق فتحه (٣) أيام .

ثم تم فتح حصن (قلعة الزبير) ودام فتحه (٣) أيام، ثم تم فتح حصن (أُبي) وحدثت فيه عدة مبارزات خفيفة، ثم تم فتح حصن (نزار) بعد رضخ المسلمين منه بالنبل والحجارة .

ثم تم فتح حصون (القموص والوطيح والسلالم) دون قتال، لأن اليهود كانوا قد طلبوا المصالحة، ثم سقطت سائر الحصون والذي كان عددها (٩) .

نتيجة الغزوة :

١- عدد قتلى اليهود (٩٣) قتيلاً .

٢- عدد شهداء المسلمين (٢٠) صحابياً .

٣- سبي نساء وذراري اليهود، وأخذ أموالهم .

٤- الحكم عليهم بعد استسلام البقاء في أراضيهم يزرعونها وينفقوا عليها من أموالهم، على أن للمسلمين نصف ثمارها .

الزواج بصفية رضي الله تعالى عنها :

كانت صفية بنت حيي بن أخطب من سبي غـــزوة خيـــبر وكانت من صفي رسول الله ﷺ فأعتقها وتزوجها وكان مهرهـــا عتقها ودخل بها ﷺ وعمرها (١٧) سنة، وتوفيت رضي الله تعالى عنها سنة (٥٠) للهجرة . وقد روت (١٠) أحاديث .

الشاة المسمومة :

وفي هذه الغزوة أهدت امرأة يهودية هي زينب بنت الحارث للنبي ﷺ لحمة الذراع من شاةٍ مسمومة ليأكل منها وهي أفضل ما يحبه ﷺ من لحم الشاة فلما أكلها أخبرته اللقمة أنهـــا مســـمومة فلفظها ﷺ، واعترفت اليهودية بعد ذلك بما صنعته من السم الذي وضعته في اللحم فأطلق النبي ﷺ سراحها، ولكنه عاد فقتلها لأن الصحابي بشر بن البراء بن معرور رضي الله تعالى عنهما كان قد أكل منها فمات من أثر السم، فكان جزاؤها ذلك .

عودة مهاجري الحبشة :

بعد غزوة خيبر مباشرة عاد الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم الذين كانوا قد هاجروا إلى الحبشة فراراً بدينهم، وعاشـــوا هناك في ظل الملك النجاشي أصحه رضي الله تعالى عنه، ففـــرح

بذلك رسول الله ﷺ وقال : (**ما أدري بأيهما أنا أفرح بقـــدوم جعفر أم بفتح خيبر** ثم تلقاه والتزمه وقبل ما بين عينيه)[1].

غزوة وادي القرى ــ وكانت بقيادته ﷺ في شـــهر جمـــادى الآخرة من السنة السابعة، وكانت لغزو تيمـــاء وفـــدك ووادي القرى، فتم حصارهم حتى استسلموا وتمت المصالحة .

السرية الثامنة والعشرون ــ بقيادة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في شهر شعبان وكان معه (٣٠) رجلاً لدعوة بني نصر بن معاوية وبني جشم للإسلام ولكنهم لم يلقو أحداً فعـــادوا إلى المدينة المنورة .

السرية التاسعة والعشرون ــ بقيادة أبي بكر الصديق رضـــي الله تعالى عنه إلى نجد لدعوة بعض القبائل للإسلام وكانت أيضـــاً في شهر شعبان .

السرية الثلاثون ــ بقيادة بشير بن سعد رضي الله تعالى عنـــه إلى بني مرة وفدك وكانت أيضاً في شهر شعبان وكان معه (٣٠) رجلاً ولما وصل ديارهم وجد أنعاماً فساقها إلى المدينة، وفي طريق عودته عرض له بنو مرة فحصل قتال قُتل فيه بعض أفراد الســـرية

[1] رواه الحاكم وابن أبي شيبة والبزار والطبراني في الثلاثة والبيهقي في الشعب .

وفر الباقون وجرح بشر واختبأ عند رجلٍ يهودي في فدك حتى طاب وتحسن ثم عاد إلى المدينة المنورة .

السرية الواحد والثلاثون ــ بقيادة غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه وكانت في شهر رمضان وكان معه (٣٠) رجلاً لغزو بني عبد بن ثعلبة، ولما وصلت السرية إلى ماء (الميفعة) هجمت على القوم وقتلوا منهم ثم ساقوا الأنعام أمامهم إلى المدينة المنورة .

السرية الثانية والثلاثون ــ بقيادة بشر بن سعد رضي الله تعالى عنه وكانت أيضاً في شهر رمضان وكان معه (٣٠٠) مقاتل لغزو غطفان بنجد فالتقت السرية بعيينة بن حصن وكان قد أغار على أطراف المدينة فاشتبكا، ثم عادت السرية بأسيرين معها وأنعاماً إلى المدينة المنورة .

عمرة القضاء ــ وكانت في شهر ذي القعدة من السنة السابعة، بعد صلح الحديبية بعام واحد، وكان عدد المسلمين (٢٠٠٠) معتمر .

وسميت بعمرة القضاء أو القضية أو القصاص، لأنها كانت حسب المقاضاة (المصالحة) .

تفاصيل العمرة :

خرج رسول الله ﷺ مع المسلمين في العام التالي لصلح الحديبية حسب بنود الاتفاق مع قريش وخلف على المدينة المنورة أبا رهم كلثوم الغفاري رضي الله تعالى عنه وأخذ رسول الله ﷺ معه السلاح خشية غدر قريش، فلما اقترب المسلمون من مكة جعل ﷺ السلاح مع أوس بن خولي الأنصاري رضي الله تعالى عنه ودخل هو والمسلمون معه بالسيوف في أغمادها، فلم تعرض لهم قريش بشيء حتى أدَو العمرة بسلام .

وجهر المسلمون بالتلبية وهم داخلون مكة حتى وصلوا الكعبة فطافوا بالبيت، وكان المشركون ينظرون إليهم وهم يقولون لبعضهم انظروا قد أعياهم التعب أنهكتهم حمّى يثرب، فأمر رسول الله ﷺ أن يظهر المسلمون قوتهم للمشركين وذلك بالرمل وهو الهرولة في الأشواط الثلاثة الأولى من الطواف وكذلك بالخبب وهو الهرولة في السعي بين الخطين الأخضرين وكما أمرهم بالاضطباع وهو كشف الكتف الأيمن وستر الأيسر فكانت قريش تنظر إليهم وهم متعجبون من قوتهم .

ولما انتهت أيام الأجل الثلاثة خرج رسول الله ﷺ بأصحابه رضوان الله تعالى عنهم إلى المدينة المنورة .

الزواج بميمونة رضي الله تعالى عنه :

تزوج رسول الله ﷺ بميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله تعالى عنها بعد إتمام عمرة القضاء وقبل خروجه من مكة وقد خلف أبا رافع رضي الله تعالى عنه ليحملها إلى المدينة المنورة، وقد كان اسمها (بَرَّة) فغير اسماها ﷺ إلى ميمونة، وتوفيت رضي الله تعالى عنها سنة (٦١) للهجرة وقد بلغت من العمر (٨٠) سنة . وقد روت (٧) أحاديث .

السرية الثالثة والثلاثون ــ بقيادة أبي العوجاء السلمي رضي الله تعالى عنه وكانت في شهر ذي الحجة وكان معه (٥٠) مقاتلاً لدعوة بني سليم للإسلام، فلم يسلموا ولم يقبلوا الدعوة بل كان القتل بين الفريقين فقتل عدداً من السرية وجرح أميرها، وتم أسر اثنين من العدو ثم عادوا إلى المدينة المنورة .

الدروس والعبر المستفادة من أحداث السنة السابعة الهجرية

١- زواجه ﷺ من أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان رضي الله تعالى عنها تطييباً لخاطرها لما توفي عنها زوجها بعدما تنصر، وتأليفاً لقلب أبيها على الإسلام وهو سيد قومه .

٢- حصول غزوة يهود خيبر قوم المكر والخديعة، والتي انتهت بمصالحتهم على زراعة أرضها بنصف المحصول .

٣- زواجه ﷺ من أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله تعالى عنها، تطييباً لخاطرها وتأليفاً لقلبها على الإسلام .

٤- أكله ﷺ من الشاة المسمومة الذي كانت سبباً في موته بعد ذلك، وفي ذلك دلالة على عدم عصمة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في القدر الكوني فهم بشر كسائر الناس يجري عليهم ما قدر الله سبحانه .

٥- حصول عمرة القضية أو القصاص أو القضاء .

٦- زواجه ﷺ من أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله تعالى عنها تطييباً لخاطرها وتأليفاً لقلوب قومها على الإسلام وقد حصل ذلك بفضل الله تعالى .

٧- وجوب اتخاذ وسائل استخبارات لازمة بما يراه ولي الأمر مناسباً لدولته، بما يضمن تأمين حدود الدولة واستتباب الأمن فيها واستقرار وضعها .

٨- العفو عند المقدرة خلق يورث التسامح والخضوع للحق .

٩- تفاوت القادة في المهارات والقدرات القتالية .

١٠- جبن اليهود وخورهم في المواجهات القتالية، لذا يعمدون إلى القتال من وراء الجدر أو من بعد الوسائط، وقد حكى الله

تعالى عن خلقهم ذاك بقوله جل في علاه : ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1] .

١١- وجوب أخذ الحيطة والحذر مع كل من عرف عنه الغدر والمكر والخديعة والخيانة والدسيسة .

١٢- استحباب اجراء المصاهرات بين الدول بما يحقق تقوية العلاقات فيما بين قادتها وحكوماتها، من باب المصالح المشتركة توطيداً للعلاقات .

١٣- استحباب الاضطباع والرمل والخبب في طواف القدوم خاصة .

السنة الثامنة للهجرة النبوية الشريفة

السرية الرابعة والثلاثون ــ بقيادة غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه في شهر صفر وكان معه (٢٠) مقاتلاً للإغارة على بني الملوح بـ (قديد) فلم يجدوا أحداً إلا الأنعام فساقوها إلى المدينة المنورة .

---

[1] سورة الحشر .

السرية الخامسة والثلاثون ــ بقيادة كعب الغفاري رضي الله تعالى عنه وكانت في شهر ربيع الأول وكان معه (١٥) رجلاً، إلى (ذات أطلاح) بقصد دعوة بعض القبائل للإسلام منهم (بنو قضاعة) فلم يقبلوا ذلك بل اشتبك الفريقان فيما بينهم بالنبل فقتل كل أفراد السرية إلا رجل جريح منهم أفلت ومن ثم عاد إلى المدينة المنورة .

السرية السادسة والثلاثون ــ بقيادة شجاع بن وهب رضي الله تعالى عنه في شهر ربيع الآخر وكان معه (٢٤) رجلاً إلى (ذات عرق) بقصد الإغارة على هوازن ولكنهم لم يجدوا سوى الأنعام فساقوها إلى المدينة المنورة .

غزوة مؤتة ــ و(مؤتة) هي قرية ببلقاء الشام، وكانت هذه الغزوة في شهر جمادى الأولى، بقيادة عدة أمراء على الجيش توالو على القيادة وكانت في شهر جمادى الأولى .

ولم تكن هذه المعركة بقيادة رسول الله ﷺ وإنما سميت غزوة لأنها تعتبر من أهم المعارك الإسلامية، وهي أكبر معركة إسلامية خاضها المسلمون في حياة النبي الكريم ﷺ .

سبب الغزوة :

كان سببها هو أن شرحبيل بن عمرو الغساني حاكم البلقـــاء التابع لقيصر الروم قتل رســـول رسول الله ﷺ وهو الحارث بـــن عمير الأزدي وهو متوجهٌ إلى حاكم بصرى بكتاب رسول الله ﷺ فكانت الغزوة .

تفاصيل الغزوة :

عقد رسول الله ﷺ لواءً أبيضاً وأعطاه للقائد وكان قد عين زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه قائداً للجيش فـــإن أصـــيب فجعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فإن أصيب فعبد الله ابن رواحة رضي الله تعالى عنه، وكان قوام الجيش (٣٠٠٠) ثلاثـــة آلاف مقاتل للقاء جيش قوامه (٢٠٠,٠٠٠) مئتا ألـــف مقاتـــل مؤلف من مائة ألف من الروم ومائة ألف من بعض قبائل العرب .

وسار جيش المسلمين حتى عسكر في (معان) من أرض الشام ولما سمع بكثرة جيش العدو حار المسلمون في أمـــرهم وأخـــذوا يفكرون ليلتين في أمرهم، وقالوا نكتب لرســـول الله ﷺ ونخـــبره وننظر ما يأمرنا به، فقام عبد الله ابن رواحة وقال : يا قوم والله ما نقاتل الناس بعدد ولا عدة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فأجمع القوم على القتال .

ثم كان لقاء الجيشين في مؤتة وبدأت المعركة قوية حامية الوطيس بروح جهادية عالية من قِبَل المسلمين، حتى استشهد قائدها زيد رضي الله تعالى عنه، فأخذ الراية جعفر وقاتل باستبسال حتى قطعت يمينه فأخذ الراية بشماله فقطعت فأخذها بعضديه حتى قتل واستشهد رضي الله تعالى عنه وأثابه الله تعالى بجناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء ولذلك سمي (بذي الجناحين وبجعفر الطيار) ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فتردد ثم تقدم وقاتل بقوة وبسالة حتى استشهد رضي الله تعالى عنه .

ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم رضي الله تعالى عنه ونادى في القوم ليتخذوا قائداً فقالوا له : أنت قائدنا فأبى عليهم ذلك ثم إنهم اجتمعوا على خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنهم جميعاً .

الوحي ورسول الله ﷺ :

ونزل الوحي من السماء على رسول الله ﷺ ينبؤه بما حصل أن زيداً أخذ الراية فاستشهد فأخذها جعفر فاستشهد فأخذها عبد الله فاستشهد ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله تعالى، وسيفتح الله تعالى عليهم .

وقاتل القوم ببسالة وشجاعة تحت إمرة خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، والذي فكر في خطة ومكيدة حربية لتخليص الجيش من الهلاك، وهي :

أنه رضي الله تعالى عنه قام بتبديل مواقع الجنـــود، مقدمـــة الجيش بمؤخرته، وكذا بدل بين ميمنته بميسرته، كما أمر مـــؤخرة الجيش أن يثيروا الغبار من الخلف ليعتقد العدو أن المدد قد جاء .

وفي اليوم التالي التحم الجيشان وصمد المسلمون أمام العـــدو وكان خالد يأمر الجيش بالتراجع قليلاً قليلاً للإفلات بينما ظـــن العدو أن تلك خدعة ومصيدة لاستدراج فلـــم يلحـــق بجـــيش المسلمين، وبهذه الخطة الحربية استطاع خالد سحب كل الجـــيش بنظام حربي محكم .

ولما عاد الجيش إلى المدينة المنورة سماهم القوم بالفرار وأخذوا يحثون التراب في وجوههم، فقال لهم رســـول الله ﷺ : (**ليســـوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى**)[1].

نتيجة الغزوة :

١- كان عدد شهداء الغزوة رغم كثرة جيش العدو (١٣) فقط .

٢- استشهاد القادة الثلاثة رضوان الله تعالى عنهم الذين أمّـــرهم رسول الله ﷺ على الجيش .

٣- لم يعرف عدد قتلى العدو من كثرته .

٤- الانسحاب التدريجي المحكم من أرض المعركة .

---

[1] رواه البيهقي في دلائل النبوة .

الدروس والعبر المستفادة من غزوة مؤتة

١- جواز الانسحاب من أرض المعركة، إذا اقتضت المصلحة ذلك لئلا يهلك الجيش كله في معركة غير متكافئة .

٢- قوة وبسالة المسلمين مستمدة من صدق عقيدتهم واعتمادهم على الله تعالى وليس على العدد والعدة .

٣- مواساة المسلمين للجند الإسلامي وتأييد رسول الله ﷺ على فعلة قائدهم تلك، لأن ذلك كان في مصلحة الجميع .

٤- الحيطة في اتخاذ القادة الأكفاء في حالة الخطر والتخوف .

٥- مهارة خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه القيادية والتخطيطية السريعة في أرض المعركة .

٦- قلة شهداء المسلمين رغم كثرة جيش الكفر دليل على معنويات المسلمين المرتفعة المرخصة في سبيل الله تعالى .

٧- من أرخص شيئاً في سبيل الله تعالى أبدله عز وجل خيراً منه من أمور الآخرة فقد أبدل جعفر رضي الله تعالى عنه بجناحين في الجنة لأنه دافع عن الراية بيديه حتى قطعت لتكون كلمة الله تعالى هي العليا .

٨- من المصلحة تولية وتنصيب أكثر من قائد يتلو بعضهم بعضاً إن اقتضت المصلحة ذلك .

٩- في كل معارك الجهاد على مرّ التأريخ كان ولا يـــزال عـــدد المسلمين هو الأقل وعدتهم وجانبهم هو الأضعف .
١٠- وجوب احترام السفراء والمبعوثين بين الدول لأنهم يمثلـــون من خلفهم فلا يجوز قتلهم أو التعدي عليهم كما حصـــل مـــن حاكم بُصرى حين قتل رسول رسول الله ﷺ .

السرية السابعة والثلاثون ــ بقيادة عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه إلى (ذات السلاسل) وكانت في شهر جمادى الآخـــرة وكان معه (٣٠٠) مقاتلاً ثم إنه استمد رسول الله ﷺ فأمده بـــــ (٢٠٠) مقاتلاً فلحقوا به بقيادة أبي عبيدة ومنهم أبو بكر وعمـــر رضي الله تعالى عنهم، مهمة السرية تأديب قضاعة التي شـــاركت الروم في غزوة مؤتة، فكانت الغلبة للسرية حتى فر العدو في كـــل مكان فأخذ المسلمون الغنائم وعادوا إلى المدينة المنورة .

السرية الثامنة والثلاثون ــ بقيادة أبي عبيدة رضي الله تعـــالى عنه وكانت في شهر رجب من السنة الثامنة إلى جانـــب البحـــر الأحمر وكان معه (٣٠٠) مقاتلاً ومهمتها رصد قافلـــة قرشـــية، فنفذت مؤونة السرية فاضطروا إلى أكل (الخَبَط) وهو نوع مـــن ورق الشجر، حتى ألقى البحر إليهم حوتاً عظيماً اسمه العنبر فأكل منها القوم وأخذوا معهم إلى المدينة المنورة .

السرية التاسعة والثلاثون ــ بقيادة أبي قتادة وكانت في شهر رمضان وكان معه (١٦) رجلاً إلى (بطن إضَم) للإغـــارة علـــى غطفان فكمنت السرية نهاراً وأغارت ليلاً فأصابت سبياً وغنـــائم عادوا بها إلى المدينة المنورة .

فتح مكة ــ وكان ذلك في شهر رمضان من السنة الثامنة من الهجرة وكان سبب ذلك أن قريشاً نقضت عهد صلح الحديبيـــة، وذلك لأنها ساعدت قبيلة بكر التي هي في عهدها وحلفها علـــى قبيلة خزاعة التي هي في عهد وحلف رسول الله ﷺ .

تفاصيل الفتح :

لما ساعدت قريش قبيلة بكر على قبيلة خزاعة التي في حلـــف المسلمين أرسل رسول الله ﷺ إلى قريش بأن تدفع الدية لمن قتـــل من خزاعة لأنها كانت في حلفه وعهده، ولكن قريشاً رفضت أن تدفع الدية، وهنا أمر رسول الله ﷺ بتجهيز جيش للغزو دون أن يعلم المسلمين وجهته لئلا تستعد قريش للقتال .

في حين أن قريشاً ندمت على رفضها الدية وأرســـلت أبـــا سفيان ليتدارك الأمر فقدم المدينة ودخل بيت ابنته أم حبيبة (رملة) رضي الله تعالى عنها فرفضت أن تقعده على فراش رسول الله ﷺ وطوته عنه لأنه كان لا يزال مشركاً فخرج للمســـجد ليقابـــل

رسول الله ﷺ ولكنه ﷺ رفض أن يكلمه أو أن يقابله حتى، مما جعل أبو سفيان يعود أدراجه خائباً إلى مكة دون أن يبلغ غايته .

كتاب حاطب :

وفي حين كان رسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، أرسل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه إلى قريش كتاباً يخبرهم فيه أن رسول الله ﷺ قد عزم على فتح مكة وهو يتجهز لغزوهم وبعث بكتابه مع جارية جعلته في عقاصها (ضفائر شعرها) بينما نزل الوحي على رسول الله ﷺ بشأن ذلك الكتاب فأرسل في أثر تلك الجارية علياً والزبير والمقداد رضي الله تعالى عنهم يتعقبونها حتى أدركوها عند روضة خاخ وأتوا بالكتاب معهم .

فلما أحضروا الكتاب قال ﷺ لحاطب : ما هذا يا حاطب، فقال رضي الله تعالى عنه معتذراً عن فعلته تلك : لا تعجل على يا رسول الله فإني كنت رجلاً ليس من قريش وإن لي فيها قرابة، فأحببت أن تكون لي عندهم يداً يدفع الله تعالى بهم عن قرابتي، وعلمت أن ذلك لن يغني عنهم من الله شيئاً، فقال عمر رضي الله تعالى عنه : دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال ﷺ : لا فإنه قد شهد بدراً والحديبية، وعفا عنه ﷺ . وخرج ﷺ بالجيش وكان قوامه (١٠,٠٠٠) عشرة آلاف مقاتل وخلف على المدينة المنورة

كلثوم الغفاري رضي الله تعالى عنه وسار هو بالجيش حتى وصل إلى مرّ الظهران (وادي فاطمة حالياً) دون أن تعلم بأمره قريش بينما خرج أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن الورقاء يتفقدون الأخبار فقابلهم العباس رضي الله تعالى عنه وكان قد أسلم واقترح عليهم أن يمضي أبو سفيان معه لمقابلة رسول الله ﷺ وهو في جوار (العباس) ليصالحه قبل دخول مكة عنوة وبالقوة .

فوافق أبو سفيان على ذلك وحضر عند رسول الله ﷺ وصالحه على دخول مكة دون قتال وعرض عليه ﷺ الإسلام ولكن أبا سفيان تردد، فأمر رسول الله ﷺ عمه العباس رضي الله تعالى عنه أن يأخذ أبا سفيان إلى بيته ثم يحضره في الصباح ليريه قوة المسلمين، ولما أصبحوا أتى العباس بأبي سفيان ليريه استعراض جيش المسلمين وهو يمر كتيبةً كتيبة .

فلما رأى أبو سفيان ذلك قال للعباس رضي الله تعالى عنه : والله لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فقال له العباس : ويحك يا أبا سفيان إنها النبوة، فقال أبو سفيان : نعم .

ثم ذهب أبو سفيان إلى قومه في مكة وأخبرهم عن قوة المسلمين وضخامتها ونهاهم عن المقاومة، وأنه قد تم الاتفاق مع رسول الله على دخول مكة سلماً دون حرب، وكان حامل راية المسلمين سعد بن عبادة فتعرض لأبي سفيان بكلام فنزع رسول

الله ﷺ الراية منه وأعطاها لابنه قيس، وقد قسم رسول الله ﷺ الجيش فكان خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه على الميمنة والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه على الميسرة وأبو عبيدة رضي الله تعالى عنه على المشاة وكانت راية رسول الله ﷺ سوداء بلواء أبيض .

وأمر النبي ﷺ كل فرقة أن تدخل مكة من جهةٍ معينة وألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، فدخلت (٣) فرق بسلام إلا فرقة خالد دخلت ببعض قتال واستشهد ممن معه (٣) مسلمين وقتل (١٣) مشركاً وفرّ الباقون، ودخل رسول الله ﷺ مكة وأذِن لخزاعة أن تثأر من قبيلة بني بكر حتى العصر لخيانتهم ونكثهم الصلح

وأهدر دم (٦) من الرجال هم عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن أبي السرح وعبد الله بن خطل ومقيس بن صبابة وهبار بن الأسود والحارث بن نفيل و (٣) من النساء هن قينتان لعبد الله بن خطل وسارة مولاة لبني عبد المطلب، ثم أعلن ﷺ الأمان في مكة ونادى منادٍ :

(من دخل دار أبي سفيان فهو آمن

ومن ألقى السلاح فهو آمن . ومن أغلق بابه فهو آمن)[١].

[١] رواه مسلم .

ثم أخذ رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ودخل الكعبة المشرفة وحطم الأصنام والأنصاب والأوثان التي كانت فيها، وقد كان عددها (٣٦٠) صنماً ونصباً فيها وفيما حولها، وطهر ﷺ البيت من الأوثان والأرجاس وطمس صور إبراهيم وإسماعيل وإسحاق (عليهم السلام) التي في الكعبة ثم أعاد المفتاح إلى عثمان بن طلحة من بني شيبة[1].

وأطلق ﷺ قريشاً وكل من عادى الإسلام بقوله لهم : (**ما تظنون أني فاعلٌ بكم**) فقالوا له : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال لهم ﷺ : (**اذهبوا فأنتم الطلقاء لا تثريب عليكم اليوم**) . فلم يكن هناك قتل أو سبي .

ثم خطب ﷺ الناس وأبطل كل أحلاف الجاهلية وعهودها وبين حُرمة مكة المكرمة البيت العتيق، كما بين بعض الشعائر الدينية وتعاليم الإسلام .

ثم أرسل رسول الله ﷺ بعد ذلك رسله إلى الأصنام المنصوبة في القبائل لتحطم والتي كانت تعبد من دون الله تعالى فأرسل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إلى وادي نخلة ليهدم (العزى)

---

[1] مفتاح الكعبة من حق بني شيبة من بني عبدالدار لا ينازعهم فيه أحد لذا قال ﷺ في شأنه : (**خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم**)[الطبراني في الأوسط والكبير وابن سيد الناس في عيون الأثر] . وتالدة أي قديمة فيكم .

صنم مضر وأرسل عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه إلى (سواع) صنم هذيل وأرسل سعد بن زيد الأشهلي رضي الله تعالى عنه إلى المشلل لهدم (مناة) صنم الأوس .

ومن ذلك اليوم طهرت مكة المكرمة من رجس الأوثان وأضحت تحت راية التوحيد

الدروس والعبر المستفادة من فتح مكة

١- تحقيق الله تعالى وعده لرسوله الكريم ﷺ وللمؤمنين بدخولهم مكة المكرمة، والنصر العظيم الموعود به من قبل سنين، وفي ذلك قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

٢- حرمة مكة المكرمة والقتال فيها حتى على الأنبياء عليهم السلام إلا للدفاع عنها وعن حرمتها وعن دين الله تعالى، وأنها إنما أحلت للنبي ﷺ قدر ساعة من نهار فقط قال ﷺ : (**إن الله حرم مكة ولم يحرمها الناس من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسفكن فيها دماً ولا يعضدن فيها شجراً فإن ترخص مترخص**

فقال : أُحلت لرسول الله ﷺ فإن الله أحلها لي ولم يحلها للناس وإنما أحلت لي ساعة من نهار ثم هي حرام إلى يوم القيامة...)[1].

٣- ضعف الكيان القرشي وتفككه مقابل قوة الإسلام الثابتة، وتهاوي كل القوى المعادية له، وإظهار المسلمين قوتهم وقيام دولتهم تحت راية التوحيد .

٤- حفظ نساء المسلمين أزواجهن وأمانتهن وعدم تأثرهن برباط غير الإسلام كما فعلت أم المؤمنين رملة رضي الله تعالى عنها بنت أبي سفيان لما جاء أباها .

٥- دخول مكة المكرمة من الميقات محرماً لمن نوى الحج أو العمرة في أي وقت كان .

٦- تطهير البيت الحرام من الأصنام والأوثان والأرجاس وأمور الجاهلية .

٧- وجوب الاحتياط ممن عرف بالغدر والخيانة تحسباً للظروف .

٨- علو شأن أقوام بالإسلام وذل آخرين بالكفر .

٩- أخذ النبي ﷺ مفاتيح الكعبة من بني طلحة بن شيبة ثم أعاده لهم، فلا ينازعهم فيها أحد .

١٠- سماحة رسول الله ﷺ وكريم عفوه عن قومه بقوله لهم ﷺ : (**اذهبوا أنتم الطلقاء**) فالعفو عند المقدرة والصفح مع القوة .

---

[1] متفق عليه .

١١- وجوب حفظ العهود والمواثيق والالتزام بها حتى مع الأعداء في الدين من عموم الكفار .

١٢- نهاية الهجرة في سبيل الله تعالى بذلك الفتح العظيم فلا هجرة بعد الفتح وإنما كما قال ﷺ : (**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا**)[١].

١٣- فضل من شهد بدراً والحديبية من الصحب الكرام رضي الله تعالى عنهم .

١٤- وجوب الوقوف إلى جانب الحليف والمعاهد وفاءً بذلك، من باب إقامة العهود وصيانة المواثيق .

١٥- صدق إيمان وعقيدة المسلمين تجلى ذلك في قول حاطب رضي الله عنه (فأحببت أن تكون لي عندهم يداً **يدفع الله** تعالى بهم عن قرابتي) لم يقل : يدفعون بها، بل قالّ : يدفع الله بها، فنسب الفعل إلى الله تعالى، وهذا من فقه الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم .

غزوة حنين ــ وكانت بقيادته ﷺ في شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة، وحنين هو وادي يبعد عن مكة المكرمة قرابة (٢٥) كيلو من جهة الشرق .

---

[١] متفق عليه .

تفاصيل الغزوة :

لما خرج رسول الله ﷺ متوجهاً إلى مكة المكرمة فاتحاً لها كانت قبيلتا هوازن وثقيف قد استعدت للقتال ظناً منهما أن الجيش الإسلامي الآتي من المدينة يقصدها وأن وجهته نحوهم، لأن مسيرة الجيش لم تكن معروفة، فعزمت على المبادرة إلى القتال وتحركت بالفعل بقيادة مالك بن عوف لقتال المسلمين بغية مباغتتهم، فنزلت حشودهم بأوطاس وحشدوا النساء والأطفال حتى لا يفر الرجال وذلك بعد نصف شهر فقط من فتح مكة .

ولما علم رسول الله ﷺ بذلك أمر الجيش وكان عدده (١٢٠٠٠) اثنا عشر ألف مقاتل بالتحرك للقاء ثقيف وهوازن فتحرك الجيش ونزل وادي حنين، وخلف ﷺ أميراً على مكة عتّاب بن أسيد رضي الله تعالى عنه .

وفي وادي حنين سبق جيش العدو الوصول إلى المكان فاحتل أفضل مواقع الوادي ومنعطفاته ورتب للحرب، فلما وصل جيش المسلمين وتقدم إلى وسط الوادي تراجع جيش العدو بسرعة مما جعل جيش المسلمين يندفع خلفهم ليدركوهم ففاجئهم العدو بوابل من النبل والسهام مما أرغمهم على الفرار في كل جانب . وثبت النبي ﷺ هنا وبعض الصحابة الكرام حوله وكان عددهم (١٢) فقط ثم صاح ﷺ بصوته قائلاً (**أنا النبي لا كذب أنا ابن**

عبد المطلب)[1]. ثم أمر العباس رضي الله تعالى عنه أن ينادي القوم لقوة صوته فصار ينادي يا : أصحاب السمرة (الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان) ثم الأنصار ثم بني حارث من الخزرج ثم باقي المسلمين فعاد الجيش تلواً تلواً حتى حميت المعركة .

وفرّت هوازن بعدما كثُر فيهم القتل والسبي، وسقط النساء والصبيان في أيدي المسلمين فقتلوا بعضهم فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك، فقالوا يا رسول الله : وهل هم إلا أبناء المشركين، فقال ﷺ : **(وهل خياركم إلا أولاد المشركين)**[2].

وفرّ القوم إلى نخلة وإلى أوطاس وإلى الطائف فأرسل ﷺ من يتعقب من فرّ إلى نخلة وأوطاس ولحق هو بنفسه ﷺ من فر إلى الطائف بعدما جمع الغنائم وجعلها في الجعرانة .

نتيجة الغزوة :

١- عدد القتلى أثناء المعركة (٧٢) من هوازن، في حين عدد قتلى ثقيف (٢) فقط لأنهم تركوا أرض المعركة قبل أن تشتد، بينما عدد القتلى من هوازن خلال مطاردتهم (٣٠٠) مقاتل .

٢- استشهد (٤) من المسلمين فقط .

---

[1] متفق عليه .

[2] رواه الحاكم والبيهقي في الكبرى .

٣- كثرة السبي في النساء والذرية وكثرة الغنائم .
٤- أسر الكثير من الأعداء، كان من بينهم (الشيماء بنت الحارث السعدية) رضي الله تعالى عنها، وهي أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة .

السرية الأربعون ــ بقيادة الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله تعالى عنه وكانت في شهر شوال وكان معه (٤٠٠) مقاتل إلى (ذي الكفّين) لهدم صنم عمرو بن حممة الدوسي فهدمه ولحقت السرية برسول الله ﷺ في الطائف .

غزوة الطائف ــ وكانت امتداداً لغزوة حنين، حين فرّ مالك بن عوف قائد الجيش ومن معه من ثقيف وهوازن تحصنوا في الطائف .

تفاصيل الغزوة :

لحق رسول الله ﷺ مالك ومن فرّ معه وحاصرهم بضعة عشر يوماً في حصون الطائف، فلما وصل جيش المسلمين إلى الحصن عسكر أمام العدو فرشقهم العدو بالنبل، مما جعلهم يحولوا وجهة المعسكر، ثم أمر رسول الله ﷺ بإحراق البساتين والنخل من حولهم فناشدته ثقيف بالرحم ألا يفعل، فلم يفعل ذلك ﷺ، بينما

استمرت ثقيف برشق المسلمين بالسهام حتى استشهد (١٢) منهم، ثم وجه رسول الله ﷺ نداءه للعبيد، فقال لهم من خرج منكم فهو حر فخرج منهم (٢٣) وأسلموا جميعاً كان أولهم الصحابي نفيع بن الحارث رضي الله تعالى عنه المعروف بأبي بكرة لأنه نزل من الحصن ببكرة .

عمرة الجعرانة :

ولما طال الحصار على ثقيف أمر رسول الله ﷺ برفعه عنهم ثم عاد بالمسلمين إلى مكة المكرمة من جهة الجعرانة (**فكانت عمرة الرسول ﷺ من الجعرانة**) .

ثم أخذ يقسم الغنائم فأعطى زعماء القبائل ورؤساءها من المؤلفة قلوبهم على الإسلام وحزن الأنصار لأنه لم يكن لهم في الغنائم حظ منها .

النبي ﷺ والأنصار رضوان الله تعالى عنهم :

لما فرغ رسول الله ﷺ من تقسيم الغنائم وأعطى المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار منها شيء حزنوا لذلك وقالوا : (يغفر الله لرسول الله أعطى قومه من قريش ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم) . فلما علم بذلك ﷺ دعاهم في قبة وحدهم وخطبهم خطبة لم يحضرها غيرهم بيّن فيها فضلهم ومكانتهم العالية عند الله

سبحانه وعنده ﷺ وأعلمهم برضاه عنهم ﷺ حتى رضوا وسكنت نفوسهم رضي الله تعالى عنهم جميعاً .

ومن جملة ما جاء في تلك الخطبة قوله ﷺ : (**ما حديث بلغني عنكم** فقال : فقهاءؤهم أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئاً وأن من قال أناس حديثة أسنانهم فقال ﷺ : **يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم** قالوا : بلى فقال ﷺ : **ألا تجيبون يا معشر الأنصار** قالوا : بم نجيبك يا رسول الله المنّ لله ولرسوله، فقال ﷺ : **والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدّقتم جئتنا طريداً فآويناك وعائلاً فآسيناك وخائفاً فأمناك ومخذولاً فنصرناك** فقالوا : لله ولرسوله المنّ فقال ﷺ : **أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا** "اللعاعة الشيء اليسير" **تألفت بها قوماً أسلموا ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ولولا الهجرة لكنت إمرءاً من الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار**، فبكى الأنصار حتى أخضلوا لحاهم ورضوا بما قسم

رسول الله ﷺ)[1]. فرضي الله تعالى عنهم جميعاً ورضي عنا معهم اللهم آمين .

بعد ذلك جاء وفد هوازن مسلمين بعد تقسيم الغنائم طالبين من رسول الله ﷺ أن يرد عليهم النساء والذرية فردهم عليهم، ثم جاء بعد عدة أشهر وفد ثقيف مسلماً فأرسل النبي ﷺ معهم أبو سفيان والمغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنهما لهدم صنم اللات فذهبا وهدماها .

الدروس والعبر المستفادة من غزوتي حنين والطائف

١- النصر الحقيقي بأذن الله تعالى وليس بالعدد والعدة والكثرة والقوة، لذا فيجب عدم الاغترار بشيء من ذلك، قال جل في علاه : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

٢- حسن بلاء الصحابة الكرام حول رسول الله ﷺ عند الشدائد والمواقف .

---

[1] متفق عليه . هذه هي إحدى الروايات .

[2] سورة التوبة .

٣- الجلد والحزم في أرض المعركة وعدم الفرار منها مهما كان الوضع متأزماً وحرجاً، لأن في ذلك فوات الأجر والخير وهو (النصر أو الشهادة) .

٤- نزول الثبات على المسلمين من عند الله تعالى ليتداركوا ما فاتهم .

٥- اتباع المصلحة في الحرب بالقتل أو بالحصار أو برفعه حسب مدى تحقيق المنفعة الحاصلة من ذلك .

٦- تأليف رسول الله ﷺ قلوب زعماء القبائل ورؤساء وأشراف القوم لأن بهم تألف قلوب القوم، فهم المتبوعون .

٧- فضل الأنصار رضوان الله تعالى عنهم ودعاء النبي ﷺ لهم بالخير والوصية بهم ورضاه عنهم ورضاهم عن رسول الله ﷺ دون غنيمة، وهذه أكبر الغنائم .

٨- الاستعداد للعدو ومواجهته في أي زمان ومكان .

٩- تأليف رسول الله ﷺ لقلوب القوم برد السبايا من نساء وذرية لهم بعد مجيء وفودهم مسلمين، فأخوة الإسلام لها مكانة تستوجب التضحية والتنازل .

١٠- رحمة الرسول الكريم ﷺ بعدم حرقه النخل والبساتين لما ناشدته ثقيف بالرحم مع كون ذلك في حالة حرب ولو لم يفعل لما كان في فعله ﷺ بأس .

١١- تفكك معنويات العدو سريعاً رغم كثرته ورغم استعداده للمعركة مسبقاً، لاعتمادهم على العدة والعتاد فقط، يتجلى في ذلك قوله ﷺ : (... **ونصرت بالرعب مسيرة شهر**...)[١].

١٢- من الحكمة الحربية وحُسن القيادة تعمية وجهة الجيش حتى لا يتسرب الخبر بين الجند فربما سمع العدو الخبر فيستعد للقاء .

١٣- لولي الأمر التصرف بما يراه مناسباً في شؤون الدولة .

الدروس والعبر المستفادة من أحداث السنة الثامنة الهجرية

١- حصول غزوة مؤتة، والتي انتهت بانسحاب المسلمين من بين يدي الروم وأحلافهم الأعراب وجيشهم الجرار .

٢- وجوب حماية مقدرات الدولة وتأمين حدودها وسواحلها من أي دخيل أو معتدي أو متسلق ومتسلل .

٣- حصول فتح مكة الفتح العظيم وإعلاء كلمة الله تعالى عليا من فوق الكعبة المشرفة بعد تطهيرها من الأصنام .

٤- عفوه ﷺ عن مشركي قريش، العفو الذي يورث الرضوخ للحق واتباعه .

٥- حصول غزوة حنين، والتي انتهت بانتصار المسلمين بعد هزيمة وارتباك .

---

[١] سورة التوبة .

٦- حصول غزوة الطائف، والتي انتهت بفك حصاره وبخروج أهله مسلمين، لما رأى رسول الله ﷺ رحمهم وعفا عنهم، وفي ذلك دليل على أن العفو والصفح أحياناً يحقق ما لا يحققه العدل والحزم .

٧- وجوب الوفاء بالعهود ولا سيما مع الحليف والمعاهد وصاحب الميثاق ما دام مستمسكاً به محترماً له .

٨- الاستعداد التام واللازم في كل الظروف، والتكتم والسرّيّة في اتخاذ كافة إجراءات الدولة بما يضمن سلامة شعبها وحماية أراضيها .

٩- حصول عمرة الجعرانة بعد نزوله ﷺ من الطائف هو ومن معه من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم .

١٠- عدم البدء بالقتال ما لم يكن هناك سبب يستدعيه ومسوغ يستوجبه .

١١- هدم كل رموز الضلال والفساد والكفر كالأصنام والقبور والمزارات .

١٢- للفرد في وطنه الأمان وكافة الحقوق الشرعية ما لم يظهر منه ما يستدعي خلاف ذلك من تحريض وزعزعة أمن أو فساد وإفساد .

السنة التاسعة للهجرة النبوية الشريفة

عـــام الـــوفـــود :

سمي العام التاسع من الهجرة بعام الوفود لكثرة وفود القبائـــل إلى المدينة المنورة مسلمين، ومن تلك الوفود، وفد عبـــد القـــيس ودوس وصداء وعذرة وبِلى وثقيف وهمـــدان وفزارة ونجران وبني حنيفة وبني عامر بن صعصعة وتجيب وطيء وتميم وبني سعد بـــن بكر وبني زبيد وكندة وملوك حمير وبني سليم والأزد ومزينة وبني هلال وبني محارب وناهلة وبني كلاب وأشجع وبني أسد وبجيلـــة وحمام بن ثعلبة والأشعريين ووفود غيرها كثير .

وفي ذلك دليل على أن العرب كانوا تبعاً لقـــريش في كـــل شيء، فما أن ظهر رسول الله ﷺ على قومه بالدين الجديد وقوي أمره حتى جاءت قبائل العرب مبايعة رسول الله ﷺ على الإسلام من كل أنحاء الجزيرة العربية .

السرية الواحد والأربعون ــ بقيادة عيينة بن حصن رضي الله تعالى عنه وكانت في شهر محرم إلى بني تميم لمنعهم الصدقة وكان معه (٥٠) فارساً من الأعراب فأسر بعضهم وأحضره إلى المدينـــة المنورة، ثم إنهم أسلموا بعدها .

السرية الثانية والأربعون ــ بقيادة الضحاك بن سفيان رضي الله تعالى عنه وكانت في شهر ربيع الأول إلى بني كلاب ليدعوهم إلى الإسلام .

السرية الثالثة والأربعون ــ بقيادة قطبة بن عامر رضي الله تعالى عنه وكانت في شهر ربيع الآخر وكان معه (٢٠) رجلاً إلى (تبالة) قرب تربة لشن غارة على بني خثعم فأصابوا غنائم وأنعام وعادوا بها إلى المدينة المنورة .

السرية الرابعة والأربعون ــ بقيادة علقمة بن مجزر المدلجي رضي الله تعالى عنه وكانت في شهر ربيع الآخر وكان معه (٣٠٠) مقاتلاً إلى جدة سواحل البحر الأحمر لرد بحارة أحابيش اقتربوا من الساحل .

السرية الخامسة والأربعون ــ بقيادة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكانت في شهر جمادى الأول وكان معه (١٥) رجلاً ووجهتها (الفَلَس) وهو صنم قبيلة طيء لهدمه ولشن غارة عليهم .

مسجد الضرار :

أرسل المنافقون إلى قيصر الروم يطلبون منه المساعدة على المسلمين فأمرهم بأن يكون لهم معقل يجتمعون فيه وأن يتلقوا فيه

رسله إليهم، فبنى المنافقون مسجد الضـــرار لتـــدبير المـــؤامرات والتجسس على المسلمين، ثم جاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا له : إنا قد بنينا مسجداً هو لمن به علة ولليلة المطيرة فصلِّ به تبركـــاً بك، وكان ﷺ حينها متوجهاً إلى تبوك فواعدهم أن يصلي فيـــه بعد الرجوع، وبعد العودة جاء أمر الله تعالى إلى رسوله ﷺ بهدم المسجد لأن غرض المنافقين منه التربص والإرصاد لمن حارب الله ورسوله ﷺ فهُدِم ولله تعالى الحمد .

غزوة تبوك ــ وكانت بقيادته ﷺ في شهر رجب من الســـنة التاسعة للهجرة وكان عدد جيش المسلمين (٣٠,٠٠٠) ثلاثـــون ألفاً ووجهته أرض البلقاء لمواجهة حشود الروم ومن تجمع حولهم من قبائل العرب هناك، وهي آخر غزوات رسول الله ﷺ .

تفاصيل الغزوة :

عندما بلغ هرقل الروم خبر اتساع الدولة الإســـلامية علـــى عموم رقعة الجزيرة قرر إيقاف هذا الزحف الإســـلامي المتزايـــد خوفاً على نفوذه، فحشد لذلك جيشاً كبيراً مكوّناً من الـــروم وممن تبعهم من بعض قبائل شمال الجزيرة، وتحرك بذلك الجيش إلى منطقة بلقاء الشام ثم زحف به إلى تبوك كي يمنع جيش المسلمين من التوغل والتقدم في أراضيه .

ولما وصل خبر جيش الروم إلى رسول الله ﷺ أخذ يعد العدة ويعبئ الجيش الإسلامي لمواجهة تلك القوة التي أخذت بـــالتجمع وبالتحشد هناك، وقد أعلم ﷺ الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم بوجهة الجيش حتى يستعدوا لذلك غاية الاستعداد، وكانت أول غزوة يبيّن فيها رسول الله ﷺ وجهة سير الجيش .

ولما وصل الجيش المسلم أرض تبوك أمرهم رسول الله ﷺ أن يدخلوه وهم يبكون أو يتباكون عبرةً بثمود قوم النبي الكريم صالح عليه السلام .

الثلاثة المتخلفون :

وتخلّف في هذه الغزوة المهمة (٣) من الصحابة رضوان الله تعالى عنهم عن اللحاق بالجيش لبعض شؤونهم وهم (هلال بن أمية، مرارة بن الربيع، كعب بن مالك) فكان الحكم عليهم أن أُمر المسلمون بمقاطعتهم حتى بالكلام واستمرت هذه المقاطعة (٥٠) يوماً حتى قبلت توبتهم ونزل فيهم قول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ ﴾[1] .

[1] سورة التوبة .

عودة للجيش :

لما وصل خبر تحرك الجيش الإسلامي ومدى قوته واستعداده إلى هرقل الروم أمر جيشه فوراً بالرجوع إلى منطقة البلقاء، بينما حين وصل رسول الله ﷺ بالجيش إلى تبوك أرسل عيونه للاستطلاع عن جيش العدو وتحركاته، فعلم أنه أخذ بالتراجع وفض التجمع خوفاً وذعراً، فمكث ﷺ هنالك عشرين ليلة لم يلق فيها كيد وأرسل عدة رسل وسرايا في تلك المنطقة، ثم إنه ﷺ بنى هناك مسجداً وعاد إلى المدينة المنورة من أعلاها جهة ثنية الوداع فاستقبله أهل المدينة بالنشيد المعروف : (**طلع البدر علينا**)[1].

الدروس والعبر المستفادة من غزوة تبوك

١- تحديد رسول الله ﷺ وجهة الجيش للمسلمين وهم في المدينة، كي ينفروا بكل الاستعدادات اللازمة لذلك، وما كان ذلك إلا لكثرة جيش العدو وقوته، ولأهمية المعركة، مما يحتّم الاستعداد له .

٢- الطاعة والانقياد له ﷺ في كل حين، وتحمل المشاق في سبيل طاعة الله تعالى .

---

[1] هذا النشيد المعروف : (طلع البدر علينا) قاله أهل المدينة عند عودة الرسول ﷺ من غزوة تبوك، لأن ثنية الوداع تقع شمال المدينة من جهة تبوك . في حين أن رسول الله ﷺ دخل المدينة في هجرته من جهتها الجنوبية حيث بنى مسجد قباء أول مسجد في الإسلام ...

٣- تخلف بعض الصحابة عن الجيش فكان الحكم عليهم بالمقاطعة تأديباً لهم لتهاونهم في أمر الجهاد وطاعة رسول الله ﷺ .

٤- انسحاب جيش الروم خوفاً من جيش الإسلام المتماسك المتسلح بالإيمان واليقين .

٥- اتساع دائرة السيطرة الإسلامية ونفوذها على كافة أرجاء الجزيرة العربية .

٦- حصول عدة مصالح للمسلمين بعد وصولهم أرض تبوك منها نشر الدين شمال الجزيرة، وإخماد بعض الفتن هناك، وكذا إرسال بعض البعوث والسرايا، وبالإضافة للهيبة التي حصلت لهم في قلوب عدوهم بتفرق وفضّ الجموع التي كانت ستواجههم رغم قوة وضخامة جيش العدو .

٧- دخول بعض القبائل في الإسلام ومعاهدة بعضٍ آخر .

٨- العبرة بقوم صالح عليه السلام، ودخول تبوك بكاءً أو تباكياً لما في تلك الأرض من عبرة وموعظة كبرى شاهدة على أهلها وعلى من مرّ بها .

٩- كفاية الله تعالى للمسلمين القتال وصرف عدوهم عنهم بأيسر الأمور .

١٠- توضيح وتبيين ولي الأمر بعض الأمور التي يتحقق في بيانها مصلحة ومنفعة متحققة، ليتخذ الإنسان الإجراء اللازم لذلك .

السرية السادسة والأربعون ــ بقيادة خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وكانت خلال غزوة تبوك إلى سيد دومة الجندل (أكيدر بن عبد الملك الكندي) فأسره خالد وهو يتصيد وأحضره إلى النبي ﷺ فصالحه على الجزية .

حج أبي بكر رضي الله تعالى عنه بالناس :

وفي شهر ذي القعدة من السنة التاسعة وبعد العودة من تبوك بعث رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه إلى مكة حاجاً بالناس وكان أميرهم، ثم نزلت في تلك الفترة فواتح سورة التوبة معلنةً البراءة من المشركين وبعض الأحكام المتعلقة بهم، فبعث رسول الله ﷺ خلف أبي بكر علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وأمره أن يُعلم الناس يوم النحر أن الله ورسوله بريئان من المشركين، وأن كل عهود الجاهلية ومواثيقها منبوذة وساقطة، وأن لا يدخل مكة بعد ذلك العام إلا مسلم، وألا يطوف بالبيت العتيق عريان . ثم أمهل الناس جميعاً ممن له عهد وميثاق أو ممن ليس له عهد ولا ميثاق مدة (٤) أشهر كما أنزل الله تعالى إما بالدخول تحت راية الإسلام أو بمغادرة الجزيرة العربية قبل انقضاء الأجل، وأن كل من لم يفعل ذلك فدمه هدر ومعرض للقتل والسلب هو وأهله وكل ما يملك .

الدروس والعبر المستفادة من أحداث السنة التاسعة الهجرية

١- قدوم قبائل العرب إلى المدينة المنورة وفوداً معلنين إسلامهم بين يدي رسول الله ﷺ لما شاع في الجزيرة نور الإسلام .

٢- حصول غزوة تبوك، والتي انتهت برجوع الجيش إلى المدينة المنورة دون قتال، فوادع فيها رسول الله ﷺ بعض القبائل هناك .

٣- هدم مسجد الضرار الذي بناه المنافقون ليكون مقراً للإرجاف والدسائس والجاسوسية ضد دولة الإسلام .

٤- حسن الدعوة إلى الإسلام بالحسنى والحكمة ولطيف القول سبيل لإسلام الكثير من الناس .

٥- لولي الأمر الإنابة بالحج لمن يراه مناسباً، كما أناب رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ليحج بالناس، وفي تلك السنة نزل الأمر الإلهي بالبراءة من المشركين وتطهير البيت العتيق من كافة أوجه الشرك وصوره .

٦- التحرز من معاقل الفتن وبؤر الفساد والدسيسة والإرجاف، مما يدعو دوماً للتحسب من مواقف الأعداء قبل تفاقم الأمر وتغلغل العدو .

٧- سرعة الإنصياع لأمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله الكريم ﷺ .

السنة العاشرة للهجرة النبوية

السرية السابعة والأربعون ــ بقيادة خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه في شهر ربيع الأول من السنة العاشرة إلى بني مدان بنجران يدعوهم إلى الإسلام فقبلوا منه وأسلموا .

السرية الثامنة والأربعون ــ بقيادة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في شهر رمضان إلى اليمن ليدعوهم إلى الإسلام، فأسلم بعضهم وكفر البعض فقاتلهم وغنم منهم ثم عاد إلى المدينة المنورة بالغنائم .

عرض القرآن الكريم :

كان جبريل عليه السلام يعرض القرآن الكريم على النبي ﷺ في شهر رمضان من كل سنة مرة واحدة ويدارسه إياه حتى كانت السنة التي مات فيها ﷺ عُرض عليه القرآن فيها مرتين، وكان ﷺ يضع كل آية في محلها من سورتها .

وقد اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأواخر من آخر رمضان صامه، في السنة العاشرة قبل موته ﷺ .

حجة الوداع :

وفي السنة العاشرة للهجرة وفي يوم (٢٥) ذي القعدة عزم ﷺ على الحج فخرج إلى مكة المكرمة حاجاً بالمسلمين، وكان نسكه ﷺ القران قائلاً : (**لبيك اللهم حجاً وعمرة**) ولما وصل مكة المكرمة كان ﷺ يعلم الناس أمور دينهم، فكان يقول لهم في كل موضع من مواضع الحج وفي كل موقف من مواقفه : (**خذوا عني مناسككم**)[1]. وكان ﷺ يخطب الناس في الحج ليوضح لهم أمور دينهم، ويكثر من وصاياه لهم وخصوصاً مما سيكون من بعده ﷺ . وكانت هذه الحجة هي الوحيدة له ﷺ لذا سميت بحجة الوداع، ووافق يوم الوقوف بعرفة يوم جمعة، وكان ﷺ يوصي أمته في تلك الأيام كثيراً فأوصاهم في خطبة يوم عرفة وعلى صعيدها ورسول الله ﷺ واقف بها نزل قول الله تعالى : ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴿٣﴾ ﴾[2]، وكانت آخر آية نزلت من القرآن الكريم على قول .

وأوصاهم في خطبة يوم عيد الأضحى ووصايا أيام منى، وتعتبر خطبة الوداع أهم خطبة بيّن فيها ﷺ الكثير من الأمور لأنها كانت وصية مودع .

---

[1] رواه مسلم .

[2] سورة المائدة .

خطبة الوداع :

عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال خطبنا النبي ﷺ يوم النحر فقال : (**أتدرون أي يوم هذا** قلنا : الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال : **أليس يوم النحر** قلنا : بلى قال : **أي شهر هذا** قلنا : الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال : **أليس ذو الحجة** قلنا : بلى قال : **أي بلد هذا** قلنا : الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال : **أليست بالبلدة الحرام** قلنا : بلى قال : **فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت** قالوا : نعم قال : **اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**)[1].

وفي رواية قال ﷺ : (**يا أيها الناس ألا أي يوم أحرم** ؟ ثلاث مرات، قالوا : يوم الحج الأكبر، قال : **فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا لا يجني جان إلا على نفسه، ولا يجني والد**

[1] متفق عليه . ولخطبة الوداع روايات كثيرة ومتعددة، وهذه هي إحدى روايات البخاري .

على ولده، ولا مولود على والده، ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبدا، ولكن سيكون له طاعة في بعض ما تحتقرون من أعمالكم، فيرضى بها، ألا وكل دم من دماء الجاهلية موضوع، وأول ما أضع منها دم الحارث بن عبد المطلب – كان مسترضعاً في بني ليث، فقتلته هذيل – ألا وإن كل رباً من ربا الجاهلية موضوع، لكم رءوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون، ألا يا أمتاه هل بلغت ؟ ثلاث مرات، قالوا : نعم، قال : **اللهم اشهد،** ثلاث مرات)[1]. وهناك روايات أخرى كثيرة لخطبتي يوم عرفة ويوم النحر تحوي الكثير من التعاليم الشرعية .

الدروس والعبر المستفادة من أحداث السنة العاشرة الهجرية

١– عرض القرآن الكريم عليه ﷺ في شهر رمضان مرتين، فيه إشارة على دنو أجله ﷺ وعلى تأكيد تمام القرآن الكريم ووجوب العمل بمنهجه الحق .

٢– حصول حجة الوداع، والتي بيّن فيها ﷺ كثيراً من أحكام الإسلام وتعاليمه، كما أوصى ﷺ أمته من بعده في كل خطب الحج ومواقفه بالتمسك بهديه وسنته من بعده ﷺ ولا سيما خطبة

[1] رواه الترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجة وأحمد .

يوم عرفة ويوم النحر . وفي ذلك دليل على مدى حرصه ﷺ على هداية أمته من بعده، وعلى بيانه ﷺ كل تعاليم الدين الحنيف، وعلى استغلاله ﷺ كل المواطن والمواقف المناسبة ذلك .

٣- حرمة بيت الله تعالى العتيق منذ أقدم العصور وإلى قيام الساعة، وأن بقاءه يعني الأمان لأهل الأرض جميعاً، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

٦- حرمة دم المسلم عند الله تعالى وأنها أعظم من حرمة الكعبة المشرفة وفي ذلك قال ﷺ : (**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق**)[1].

٧- كمال هذا الدين الحق وشرعه الصدق، الذي جاء بكل ما يضمن نفع ومصلحة الجميع ويدرأ عنهم كل مضرة ومفسدة .

السنة الحادية عشر للهجرة النبوية الشريفة

تجهيز جيش أسامة رضي الله تعالى عنه :

وبعد عودته ﷺ من الحج إلى المدينة المنور وكان ذلك في السنة الحادية عشر للهجرة النبوية الشريفة جهّز جيش أسامة بن

[1] رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة واللفظ له .

زيد رضي الله تعالى عنهما وهو ابن (١٨) سنة وأمّره عليه، وكان في الجيش كبار الصحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكانت وجهة الجيش إلى البلقاء من أرض الشام .

وبعد تجهيز الجيش بيومين ومسيرته أميالاً عن المدينة المنورة وصلته أخبار مرض رسول الله ﷺ (مرض موته) فعاد الجيش ينتظر سلامة رسول الله ﷺ .

مرض رسول الله ﷺ :

كان أكله ﷺ من الشاة المسمومة التي أهدتها له المرأة اليهودية يوم خيبر لا يزال يؤثر فيه ﷺ فقد اشتكى المرض مدة (٣) أشهر متتالية، ثم اشتد عليه مرضه في آخر (١٠) أيام قبل موته ﷺ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : (رجع إلي النبي ﷺ ذات يوم من جنازة من البقيع، فوجدني وأنا أجد صداعاً وأنا أقول : وا رأساه، قال : **بل أنا يا عائشة وا رأساه**، قال : **وما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك**، فقلت : لكأني بك والله لو فعلت ذلك لرجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك، قالت : فتبسم رسول الله ﷺ ثم بدئ في وجعه الذي مات فيه)[1].

[1] رواه النسائي في الكبرى وابن ماجة وأحمد والدارمي وابن حبان واللفظ لهما .

ولما ثقل عليه المرض ﷺ كان ﷺ يتمرّض في بيت زوجاته جميعاً حسب دور كل واحدة منهن كي يعدل بينهن حتى وهو في مرض موته .

وكان يقول ﷺ : (**أين أنا غداً**) يريد يوم عائشة رضي الله تعالى عنه فعرف نساؤه مراده ﷺ من ذلك وأنه يريد أن يتمرض في بيتها رضي الله تعالى عنهن جميعاً، فرضين بذلك .

وخطب ﷺ الناس قبل موته بـ خمسة ليال، وكانت وصية جامعة، تصدق فيها بماله وعرض نفسه فيها ﷺ للقصاص ممن أراد ذلك، وأوصى بالأنصار رضوان الله تعالى عنهم خيراً .

ومما قال في خطبته تلك : (**إن عبداً عرضت له الدنيا وزينتها فاختار الآخرة**)[1]. ففطن أبو بكر رضي الله تعالى عنه لمقالته تلك وعلم أن رسول الله ﷺ يقصد بذلك نفسه وأخذ يبكي لأنه علم أنه ﷺ سيموت، بينما استغرب الصحابة الكرام

---

[1] رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة وابن حبان وأبو يعلى . والحديث بتمامه : عن أبي سعيد الخدري قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن في المسجد وهو عاصب رأسه بخرقة في المرض الذي مات فيه، فأهوى قبل المنبر حتى استوى عليه فاتبعناه، فقال : (**والذي نفسي بيده إني لقائم على الحوض الساعة**، وقال : **إن عبداً عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة**، فلم يفطن بها أحد إلا أبو بكر، فذرفت عيناه فبكى وقال : بأبي أنت وأمي، بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا، قال : ثم هبط فما قام عليه حتى الساعة ﷺ) .

رضوان الله تعالى عنهم لبكائه رضي الله تعالى عنه و لم يفطنوا لذلك . وبعد ذلك ثقل عليه المرض ﷺ فلم يستطع الخروج للصلاة فأمر أبو بكر رضي الله تعالى عنه أن يصلي بالناس .

وفي يوم وفاته ﷺ كشف الستار من بيت عائشة رضي الله تعالى عنها في صلاة الفجر ينظر للمسلمين، وتبسم لهم وضحك ففرحوا بذلك وظنوه سيخرج إليهم فأشار لهم بيده أن أكملوا صلاتكم .

وقبل موته ﷺ دعا فاطمة رضي الله تعالى عنها فسارّها بحديث فبكت ثم سارّها بحديث آخر فضحكت (ولما سئلت عن ذلك بعد، أخبرت أن الذي أبكاها أنه ﷺ أخبرها أنه سيموت، وأن الذي أضحكها قوله ﷺ أنها أول أهله لحوقاً به)، أي أنها أول من ستموت بعده من أهله، فماتت رضي الله تعالى عنها بعده بـ (٦) أشهر فقط .

ثم كان آخر كلام قاله ﷺ . عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت : كان آخر وصية رسول الله ﷺ : **الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم**، حتى جعل نبي الله ﷺ يلجلجها في صدره، وما يفيض بها لسانه)[1].

[1] رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد والبخاري في الأدب المفرد .

قبيل موته ﷺ :

كان قبيل موته ﷺ في حجر عائشة رضي الله تعالى عنها يستاك بشدة ولا يتكلم من ثقل المرض عليه، وكان عنده إناء يدخل يده فيه فيمسح بها على وجهه وهو يقول : (**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**) ثم أخذته بحة وقال : (**مع الذين أنعم الله عليهم**) وسمعت عائشة رضي الله تعالى عنها ذلك ثم سمعته يقول : (**اللهم في الرفيق الأعلى**)[1]. ثلاث مرات، فعرفت عائشة رضي الله تعالى عنها أنه يخير، وأنه قد اختار جوار ربه الرفيق الأعلى .

ولما اشتد الضحى من النهار **قبض عليه أفضل صلوات ربي وأتم تسليمه إلى يوم القيامة** ورأسه في حجر عائشة رضي الله تعالى عنها .

وكان ذلك يوم الاثنين الموافق (١٢) من شهر ربيع الأول من السنة (١١) للهجرة وعمره (٦٣) سنة . قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : (إن من نعم الله علي : أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته : دخل علي عبد الرحمن، وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه : **أن نعم** فتناولته، فاشتد عليه،

---

[1] رواه البخاري .

وقلت : ألينه لك ؟ فأشار برأسه : **أن نعم** فلينته، فأمره، وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، يقول : **لا إله إلا الله، إن للموت سكرات** ثم نصب يده، فجعل يقول : **في الرفيق الأعلى**، حتى قبض ومالت يده)[1].

حال الناس :

ولما علم الناس بخبر موته ﷺ لم يكادوا يصدقون وصاروا بين مصدقٍ ومكذب حتى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما سمع الخبر أخذ سيفه منكراً لموت النبي ﷺ وقال : إن رسول الله لم يمت بل ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وتوعّد من قال بموته بالقتل .

وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه غائباً فلما حضر دخل المسجد و لم يكلم أحداً ودخل بيت عائشة رضي الله تعالى عنها فوجده ﷺ مسجى قد أسلم الروح، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه يبكي ويقبله ثم غطاه وخرج إلى القوم وعمر يتكلم فقال له : اجلس يا عمر فأبى أن يجلس فتركه وصعد المنبر فترك الناس عمر وتوجهوا فوراً إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه يسمعون ما يقول فقال عند ذلك مقولته المشهورة :

---

[1] رواه البخاري .

(من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) . ثم قرأ رضي الله تعالى عنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[1] .

فلما سمع القوم الآية سكنوا وكأنهم لم يسمعوها من قبل وهدءوا وكأنهم لم يقرؤوها وصار كلٌ منهم يرددها مع نفسه، وسلموا للأمر تسليماً وسقط عمر رضي الله تعالى عنه على الأرض لا تحمله قدماه وعلم عندها أن رسول الله ﷺ قد مات فعلاً .

وكان ﷺ قد عاش بعد حجة الوداع (٨٢) يوماً فقط . قال أنس خادمه رضي الله تعالى عنه : (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا أيدينا عن التراب وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا"[2].

---

[1] سورة آل عمران .

[2] رواه الترمذي وابن ماجة وابن أبي شيبة والبزار وأبو يعلى . والمقصود : تغيرت عما كانت عليه .

تجهيز جسده الشريف ﷺ :

ظل جسده الشريف ﷺ طيلة يوم الاثنين مغشى على فراشه ومغطى بحبرة وذلك بسبب الخلاف الذي وقع بين المهاجرين والأنصار على الخلافة من بعده ﷺ فظل كذلك حتى الليل .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء باشر غسله علي وساعده في ذلك كلاً من عمه العباس وابنيه الفضل وقثم وأسامة بن زيد وأوس بن الخولي رضي الله تعالى عنهم، ثم كفنوه في (٣) أثواب سحولية بيضاء .

ثم اختلفوا في موضع دفنه وكيفية ذلك ألحداً أم شقاً، فأرسلوا إلى أبي عبيدة وأبي طلحة رضي الله تعالى عنهما، وكان أبو عبيدة يشق وكان أبو طلحة يلحد وقالوا : اللهم اختر لنبيك، فجاء أبو طلحة قبل أبي عبيدة فحفر له حفرة في موضعه الذي مات فيه فقبره لحداً ﷺ .

ثم أخذ الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم أجمعين يدخلون عليه الحجرة عشرة عشرة يصلون عليه ﷺ صلاة الميت فرادى لا يؤمهم أحد حتى مضى يوم الثلاثاء وهم على ذلك .

ثم دفن ﷺ في الحجرة النبوية في بيت زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، وبذلك توارى جسده الشريف .

الدروس والعبر المستفادة من أحداث السنة
الحادية عشر الهجرية

١- بعثه ﷺ جيش أسامة رضي الله تعالى عنه ليؤدب الروم .

٢- إمضاء البعوث وما أقره ولي الأمر الأعلى متى تحققت المصلحة من ذلك .

٣- ابتداء مرضه ﷺ واشتداده عليه بعد رجوعه من حجة الوداع مباشرة .

٤- اختلاف الناس في تصديق خبر موته ﷺ لأن موته ﷺ يعتبر مصيبة كبرى ابتلي بها كل مسلم .

٥- مبايعة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بالخلافة قبل دفنه ﷺ حرصاً من الصحابة الكرام على جمع الكلمة وخوفاً من الفرقة والخلاف .

٦- دفن رسول الله ﷺ في مكانه الذي مات فيه لحداً في بيت أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها .

٧- جواز إمامة المفضول بالفاضل، حتى في القيادة والحكم وتولي المناصب .

٨- الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام بشر يعتريهم المرض والموت، وإذا ماتوا يغسلون ويدفنون كسائر الناس .

٩- العدل بين الزوجات حتى حال المرض والضعف .

١٠- تفاوت الناس في فهم الدين والعلم وسائر الأمور الحياتية .

١١- فضل فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها .

١٢- جواز إشاعة السر بعد موت صاحبه إن كان في ذلك مصلحة متحققة .

١٣- شدة الموت وسكراته حتى على الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وعموم عباد الله تعالى الصالحين .

١٤- ثبات الصديق رضي الله تعالى عنه حين رأى رسول الله ﷺ مسجى، وفي ذلك دليل على أن قوة الإيمان تمكن لصاحبها الثبات في الأمور .

١٥- فضل الصديق على عموم الصحابة الكرام وعلى عمر، مما جعل الناس يتبعونه ويتركون عمر رضي الله تعالى عن الجميع .

١٦- حياة الأنبياء عليهم السلام نور وهدى يستضاء بهم في حياتهم ويقتفى أثرهم بعد مماتهم .

١٧- جواز الصلاة على الميت فرادى . وجواز الشق واللحد في دفن الميت .

١٨- الحذر من الافتتان بموت الصالحين والجزع بذلك، والنكوص على العقب تلك مصيبة كبرى، فدين الله تعالى ليس معقوداً بحياة أحد أو بموته .

١٩- موته ﷺ في حجر أحب نسائه إليه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وفي يومها ودفنه في بيتها ﷺ . وفي ذلك بيان لفضل عائشة رضي الله تعالى عنها .

فصلى الله على نبينا ورسولنا وحبيبنا محمد
أفضل الصلوات وسلم عليه أتم التسليم
الى يوم المعاد وجعلنا الله تعالى من المتبعين لمنهجه وهديه
وسنته إلى يوم الدين . اللهم آمين ...

وأشهد أنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة
ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده
وتركها على المحجة البيضاء ليلها
كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك
ما تعاقب الليل والنهار

البيت النبوي

أسماؤه :

قال ﷺ : (**أنا محمد وأحمد والحاشر والماحي والخاتم والعاقب**) . وفي رواية أخرى : (**المقفّي ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة**) .

أولاده :

ـــ كان له ﷺ (٣) أولاد، كلهم قد ماتوا صغاراً، وهم :

١ـــ القاسم وهو من خديجة رضي الله تعالى عنها .

٢ـــ عبد الله (الطاهر) من خديجة رضي الله تعالى عنها أيضاً .

٣ـــ إبراهيم (الطيب) من ماريه القبطية رضي الله تعالى عنها .

بناته :

وكان له ﷺ أربع بنات هن :

١- زينب رضي الله تعالى عنها . تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع رضي الله تعالى عنه في الجاهلية ثم أسلم فأثبت النبي ﷺ نكاحه الأول . وتوفيت أول سنة (٨) للهجرة .

٢- رقية رضي الله تعالى عنها . وقد تزوجها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . وتوفيت والمسلمون في غزوة بدر . ولذلك لم يحضر عثمان غزوة بدر .

٣- أم كلثوم رضي الله تعالى عنها . تزوجها عثمان بعد وفاة أختها رقية سنة (٣) للهجرة رضي الله تعالى عنهم . لذا سمي بذي النورين . وتوفيت سنة (٩) للهجرة .

٤- فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها . تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وكل بناته قد متن قبله إلا فاطمة ماتت بعده ﷺ بـ (٦) أشهر .

عماته :

وكان له ﷺ (٦) عمات هن :

١- أم حكيم البيضاء وهي أم أروى زوجة عقبة ابن أبي معيط .

٢- وبرة وهي أم أبي سلمة رضي الله تعالى عنه .

٣- وأميمة وهي أم زينت بنت جحش، وأولاءِ الثلاث مُتن قبل المبعث على الصحيح .

٤- وصفية رضي الله تعالى عنها وهي أم الزبير ولم يسلم من عماته ﷺ سواها على الصحيح . وتوفيت سنة (٢٠) للهجرة وعمرها بضع وسبعون سنة .

٥،٦- وعاتكة وهي صاحبة الرؤيا في يوم بدر، وأروى . وهاتان قد اختلف في إسلامهما والأشهر عند المؤرخين عدم ذلك .

أعمامه :

وكان له ﷺ (٩) أعمام وقيل (١٠) وهم :

الحارث، الزبير، حجل واسمه (المغيرة) ويلقب بالغيداق، ضرار، المقوم واسمه (عبد الكعبة)، أبو لهب واسمه (عبد العزى)، العباس، حمزة، أبو طالب واسمه (عبد مناف) .

وقيل أدرك الإسلام منهم أربعة فقط أسلم منهم اثنان هما : (العباس وحمزة) رضي الله تعالى عنهما، ولم يسلم اثنان وهما : (أبو طالب وأبو لهب) .

زوجاته :

تزوج ﷺ (١٣) زوجة وقيل أكثر، دخل على (١١) منهن ومات عن (٩) . وهن : خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة، ثم زينب بنت خزيمة، ثم أم سلمة، ثم جويرية، ثم زينب بنت جحش، ثم رملة بنت أبي سفيان، ثم صفية، ثم ميمونة . رضي الله تعالى عنهن جميعاً .

- وماتت قبله ﷺ : خديجة وزينت بنت خزيمة رضي الله تعالى عنهما .

- ولم يدخل على كلٍ من أسماء الجونية الكندية التي استعاذت منه ﷺ فطلقها، وعمرة بنت يزيد الكلابية التي رأى في كشحها بياضاً

فطلقها، قيل إنه ﷺ تزوج غيرهما كثيراً ممن وهبت نفسها لـــه أو ممن ماتت قبل أن يدخل بها .

خدامه :

وكان له ﷺ من الخدم :

– أنس بن مالك، عبد الله بن مسعود، عقبة الجهني، أســـلع بـــن شريك، بلال، أبو ذر الغفاري، أيمن بن عبيـــد وأمـــه أم أيمـــن، وغيرهم .

مؤذنوه :

وكان له ﷺ من المؤذنين :

كان في مكة المكرمة : أبو محذورة، وأوس بن المغيرة .

وكان في قباء : سعد القَرَظ .

وكان في المدينة المنورة : بلال، وعبد الله بن أم مكتوم .

مواليه :

ـــ وكان له ﷺ من الموالي : زيد بن حارثه حِب رسول الله ﷺ وابنه أسامه حِب الحِب، أسلم، أبو رافع، ثوبان أبو كبشه، أنجشة، وغيرهم .

جدول إحصاء الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن الكريم
عليهم الصلاة والسلام أجمعين

اسم النبي	مكان بعثته	عمره	قومه	مكان وفاته
آدم	نزل في الهند ثم استقر في جزيرة العرب	١٠٠٠ ومختلف فيه	من نسله تعاقب البشر	مكان نزوله في الهند وقيل مكة المكرمة
إدريس	العراق	٨٣	أول الخلق بعد آدم	رفعه الله إليه
نوح	جنوب العراق	١٣٥٠	بنو راسب السومريون	مكة المكرمة
هود	الأحقاف في اليمن	١٥٠	قوم عاد	حضرموت باليمن
صالح	ثمود في الحجر (وادي القرى)	٥٨	قوم ثمود	مكة المكرمة
إبراهيم	أرض أور بالعراق	١٧٥	الكلدانيون	الخليل بفلسطين
لوط	الأردن	–	سدوم وعمورة	صوغر بالشام
شعيب	مدين شمال جزيرة العرب	–	مدين	مدين شمال الجزيرة

إسماعيل	مكة المكرمة	١٣٧	قبائل اليمن أول من سكن مكة	مكة المكرمة
إسحاق	الخليل بفلسطين	١٨٠	الكنعانيون	الخليل بفلسطين
يعقوب	الشام	١٤٧	الكنعانيون	الخليل بفلسطين
يوسف	مصر	١١٠	بنو إسرائيل والهكسوس بمصر	نابلس بفلسطين
أيوب	حوران بالشام	٩٣		حوران بالشام
يونس	نينوى بالعراق	–	الآشوريون	نينوى بالعراق
موسى	أرض سيناء بمصر	١٢٠	الفراعنة وبنو إسرائيل	أرض التيه بسيناء
هارون	أرض سيناء بمصر	١٢٢	الفراعنة وبنو إسرائيل	أرض التيه بسيناء
داود	فلسطين	٩٧	بنو إسرائيل	بيت المقدس
سليمان	فلسطين	٥٢	بنو إسرائيل	بيت المقدس
اليسع	دمشق بالشام	–	الأراميون وبنو إسرائيل	فلسطين
ذو الكفل	دمشق بالشام	–	الأراميون والعموريون	دمشق بالشام
إلياس	بعلبك بالشام	–	الفينيقيون	رفعه الله إليه

زكريا	فلسطين	–	بنو إسرائيل	حلب بالشام
يحي	فلسطين	٣٢	بنو إسرائيل	دمشق بالشام
عيسى	فلسطين	٣٣	بنو إسرائيل	رفعه الله إليه
محمد	مكة المكرمة	٦٣	العرب	المدينة المنورة

جدول يوضح كبرى الغزوات ومعلومات عنها

رقم	المعركة	المسلمين	العدو	التأريخ	العدو	النتيجة
١	بدر	٣١٤	٩٥٠	رمضان الثانية	قريش	انتصار المسلمين
٢	أحد	٧٠٠	٣٠٠٠	شوال الثالثة	قريش وأحلافها	هزيمة المسلمين
٣	المريسيع	٧٠٠	غير معروف	شعبان الخامسة	بني المصطلق	انتصار المسلمين
٤	الخندق	٣٠٠٠	١٠٠٠٠	شوال الخامسة	الأحزاب	انسحاب الأحزاب
٥	الحديبية	١٤٠٠	—	ذي القعدة السادسة	قريش	صلح الحديبية
٦	مؤتة	٣٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	جمادى الأولى الثامنة	الروم ومن تبعها	انسحاب المسلمين تدريجياً
٧	فتح مكة	١٠٠٠٠	—	رمضان الثامنة	قريش	دخول مكة

٨	حنين والطائف	١٢٠٠٠	٢٠٠٠٠	شوال الثامنة	هوازن وثقيف	انتصار المسلمين وحصار الطائف
٩	تبوك	٣٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	رجب التاسعة	الروم ومن تبعها	عودة المسلمين دون قتال

جدول يوضح بقية الغزوات ومعلومات عنها

الرقم	الغزوة	تاريخها	توضيح
١	الأبواء أو ودَّان	السنة الثانية	تمت موادعة ضمرة بن مناف
٢	بواط	السنة الثانية	لملاقاة عير بقيادة أمية بن خلف
٣	بدر الأولى (سفوان)	السنة الثانية	لملاقاة كرز الفهري
٤	ذي العشيرة	السنة الثانية	لملاقاة عير لقريش
٥	قرقرة الكدر	السنة الثانية	لغزو بني سليم وغطفان
٦	السويق	السنة الثانية	للحاق بأبي سفيان ومن معه

٧	ذي أمر وبُحران	السنة الثالثة	لغزو غطفان
٨	حمراء الأسد	عقب أحد	استكمالاً لغزوة أحد
٩	بدر الموعد	السنة الرابعة	بعد بدر بسنه لأن أبا سفيان واعد المسلمين بعد أحد بذلك
١٠	ذات الرقاع	السنة الخامسة	لغزو قبيلتي أنمار وثعلبه
١١	دومة الجندل	السنة الخامسة	لرد إغارة على المدينة
١٢	بني لحيان	السنة السادسة	لغزو بني لحيان
١٣	الغابه أو ذي قَرَد	السنة السادسة	لمطاردة عيينة بن حصن
١٤	وادي القرى	السنة السابعة	لغزو فدك وتيماء ووادي القرى

جدول يوضح كيفية نهاية اليهود في المدينة

رقم	اليهود	البيـــــان
١	بنو قينقاع	تم إجلاءهم إلى أذرعات وأخذ أمـــوالهم في الســـنة الثانية بعد محاولة كشف عورة المرأة المسلمة .
٢	بنو النضير	تم حصارهم ثم إجلاؤهم إلى الشام في السنة الرابعة بعد محاولة إلقاء حجر على النبى ﷺ .
٣	بنو قريظة	تم قتل الرجال وسبي النســـاء والذريـــة في الســـنة الخامسة بعد نقض عهدهم وانضمامهم إلى جـــيش الأحزاب خلال غزوة الخندق .
٤	خيبر	تم حصارهم في حصونهم ثم قتل المقاتلة وسبي النساء والذرية في السنة السابعة بعد تفاوضهم مع غطفـــان على أن يساعدوهم ولهم نصف ثمار المدينة المنورة .

جدول الزوجات والسريات

الرقم	الزوجة	تاريخ الزواج	رواية الحديث	تاريخ الوفاة
١	خديجة بنت خويلد	قبل البعثة وعمرها ٤٠	–	(١٠) بعد البعثة وعمرها ٦٥
٢	سودة بنت زمعة انفردت بالنبي ﷺ ٣ سنوات	قبل الهجرة قبل رحلة الطائف	٥ أحاديث	(٥٤) للهجرة
٣	عائشة بنت أبي بكر الصديق	السنة الأولى وعمرها ٩	٢٢١٠ حديثاً	(٥٧) للهجرة وعمرها ٦٣
٤	حفصة بنت عمر بن الخطاب	السنة الثانية بعد بدر وعمرها ٢٠	٦٠ حديثاً	(٤٥) للهجرة
٥	زينت بنت خزيمة أم المساكين	بعد غزوة أحد	–	(٤) للهجرة مكثت عنده شهرين
٦	أم سلمة هند بنت أبي أمية	السنة الرابعة وعمرها ٣٥	٣٧٨ حديثاً	(٥٩) للهجرة وعمرها ٩٠
٧	جويرية بنت الحارث كان اسمها برة	بعد غزوة المريسيع وعمرها ٢٠	٧ أحاديث	(٥٦) للهجرة

٨	زينب بنت جحش ابنة عمته أميمة	بعد غزوة الأحزاب وعمرها ٢٥	١١ حديثاً	(٢٠) للهجرة
٩	أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان	بعد صلح الحديبية وعمرها بضع وثلاثون	٦٥ حديثاً	(٤٢) للهجرة
١٠	صفية بنت حيي بن أخطب	بعد غزوة خيبر وعمرها ١٧	١٠ أحاديث	(٥٠) للهجرة
١١	ميمونة بنت الحارث الهلالية	في عمرة القضاء وعمرها ٢٦	٧ أحاديث	(٦٣) للهجرة وعمرها ٨٠

سراريه صلى الله عليه وسلم

الرقم	الجارية (السرية)	السنة الهجرية	تاريخ الوفاة
١	ريحانه بنت زيد	من سبي غزوة قريظة	بعد حجة الوداع
٢	ماريه القبطية	أهداها له المقوقس	(١٦) للهجرة

جدول عُمُرات الرسول صلى الله عليه وسلم

الرقم	العمرة	تأريخها	نتائجها
١	عمرة الحديبية	السنة السادسة	منع المسلمين من دخول مكة لتأدية العمرة، وعقد صلح الحديبية
٢	عمرة القضاء	السنة السابعة	دخول مكة وتأدية العمرة
٣	عمرة الجعرانة	السنة الثامنة	تأدية العمرة بعد غزوة حنين
٤	عمرة الحج	السنة العاشرة	تأدية شعائر الحج والعمرة بنسك (القران)

خاتمة

بفضل من الله تعالى وحده وبحمده سبحانه تم هذا الكتاب وقد ذكرت فيه قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والسيرة النبوية الشريفة العطرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، مختصرة دون إطالة ودون التعرض لغير السَّير من الأحداث، مُضمَّنة بأهم الدروس والعبر والفوائد المستفادة من ذلك القَصص بما يسّر الله تعالى لي ووفق .

فلله سبحانه وتعالى الحمد والمنة والثناء الحسن عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

د /

خالد بن محمد أحمد عطيه

المراجع :

أولاً– كتب التفسير :

١– أيسر التفاسير . أبو بكر الجزائري . ط ٣ .

٢– التفسير الواضح . محمد حجازي . ط ١٠ .

٣– تفسير الجلالين . تحقيق عبد القادر الأرناؤوط . ط ٧ .

٤– تيسير الكريم الرحمن . السعدي . ط دار الفكر .

٥– جامع البيان . الطبري . ط ١ .

٦– حاشية الصاوي . الصاوي . ط دار الفكر .

٧– فتح القدير . الإمام الشوكاني . ط دار الفكر .

٨– مختصر تفسير ابن كثير . ابن كثير . ط٤ .

٩– معالم التنزيل . البغوي . ط ٣ .

ثانياً– كتب الحديث الشريف والآثار :

١– الآداب . البيهقي . مؤسسة الكتب الثقافية .

٢– الأدب المفرد للبخاري . دار البشائر .

٣– الأسماء والصفات . البيهقي . مكتبة السوادي .

٤– جامع الأحاديث . السيوطي .

٥– الجامع الصغير . السيوطي . المكتب الإسلامي .

٦– حلية الأولياء . أبو نعيم الأصفهاني . دار الكتب العلمية .

٧- دلائل النبوة . أبو نعيم الأصفهاني . دار النفائس .
٨- دلائل النبوة . البيهقي . دار الكتب العلمية .
٩- سنن ابن ماجة . إحياء الكتب العربية .
١٠- سنن أبي داود . المكتبة العصرية .
١١- سنن أبي داود الطيالسي . دار هجر .
١٢- سنن الترمذي . شركة البابي والحلبي .
١٣- سنن الدارمي . دار المغني .
١٤- السنن الكبرى . البيهقي . دار الكتب العلمية .
١٥- سنن النسائي . مكتب المطبوعات الإسلامية .
١٦- سنن النسائي الكبرى . مؤسسة الرسالة .
١٧- شعب الإيمان . البيهقي . مكتبة الرشد .
١٨- صحيح ابن حبان . مؤسسة الرسالة .
١٩- صحيح ابن خزيمة . المكتب الإسلامي .
٢٠- صحيح البخاري . دار طوق النجاة .
٢١- صحيح مسلم . دار إحياء التراث العربي .
٢٢- عيون الأثر . ابن سيد الناس . دار القلم .
٢٣- فضائل الصحابة . أحمد بن حنبل . مؤسسة الرسالة .
٢٤- كنز العمال . المتقي الهندي . مؤسسة الرسالة .
٢٥- معاجم الطبراني الثلاثة . مكتبة ابن تيمية ودار الحرمين .

٢٦- مستدرك الحاكم . دار الكتب العلمية .
٢٧- مسند أبي يعلى . دار المأمون للتراث .
٢٨- مسند أحمد بن حنبل . مؤسسة الرسالة .
٢٩- مسند البزار . مكتبة العلوم والحكم .
٣٠- مسند الحميدي . دار السقا .
٣١- مصنف ابن أبي شيبة . مكتبة الرشد .
٣٢- مصنف عبدالرزاق . المكتب الإسلامي .

ثالثاً- كتب التاريخ والسير :

١- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ . القرماني . ط١ .
٢- البداية والنهاية . ابن كثير . ط٢ . طبعة محققه .
٣- البدء والتاريخ . البلخي . تعليق خليل المنصور . ط ١ .
٤- بهجة المحافل وبغية الأماثل . عماد الدين العامري . ط ١ .
٥- التاريخ الإسلامي . محمود شاكر . ط٤ .
٦- تاريخ الإسلام . د حسن إبراهيم حسن . ط٧ .
٧- تاريخ الإنسانية وأبطالها . محمد رضا . ط ١ .
٨- تاريخ دمشق . ابن عساكر . دار الفكر .
٩- حياة محمد . محمد حسين هيكل . ط ١ .
١٠- الرحيق المختوم . صفي الدين المباركفوري . دار الأرقم .

١١- روضة الأنوار . صفي الدين المباركفوري . ط ٢ .
١٢- زاد المعاد . إبن القيم الجوزيه . ط ١٥ .
١٣- السيرة النبويه الصحيحة . أكرم ضياء العمري . ط ٥ .
١٤- السيرة النبوية . إبن هشام . ط دار الفكر .
١٥- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة . د محمد محمد أبـــو شهبه . ط ٢ .
١٦- سير إعلام النبلاء . الذهبي . دار الحديث .
١٧- صفة الصفوة . ابن الجوزي . دار الحديث .
١٨- طبقات ابن سعد . محمد ابن سعد . ط ٢ .
١٩- الغزوات الكبرى ومعارك الفتح . عبد الكريم غزال . ط٢.
٢٠- قصص الأنبياء . ابن كثير . ط ١ .
٢١- قصص الأنبياء . ابن كثير . ط٨ .
٢٢- قصص الأنبياء . ابن كثير . ط مكتبه الثقافة .
٢٣- قصص الأنبياء . عبد الوهاب النجار . ط ٢ .
٢٤- قصص الأنبياء . عبد الوهاب النجار . ط ١ .
٢٥- قصص القرآن . محمد أحمد جاد المولى . ط المكتبة الأموية .
٢٦- الكامل في التاريخ . ابن الأثير . ط٤ .
٢٧- المعارف . ابن قتيبة . ط ١ .
٢٨- مروج الذهب . المسعودي . ط المكتبة العصرية .

٢٩- مختصر سيرة الرسول . محمد بن عبد الوهاب . ط ١ .
٣٠- مختصر سيرة الرسول . عبد الله محمد عبد الوهاب . ط١ .
٣١- النبوة والأنبياء . محمد على الصابوني . ط ٣ .
٣٢- هذا الحبيب محمد . أبو بكر الجزائري . ط ٣ .

الفهرس

المقدمة ٥

الباب الأول . بداية الخلق ٨

مدخل ٩

موقفنا من الأنبياء والرسل ١٠

ذكر الأنبياء والرسل ١١

عدد الأنبياء والرسل ١٣

أمة الجان ١٥

آدم عليه السلام ١٩

سنة الدفن ٢٥

موت آدم عليه السلام ٢٦

إحتجاج آدم وموسى ٢٦

الدروس من قصة آدم ٢٨

الباب الثاني . أولوا العزم من الرسل ٣١

نوح عليه السلام ٣٤

إبراهيم عليه السلام ٤٥

موسى عليه السلام ٦٧

عيسى عليه السلام ١٠٤

الباب الثالث . الأنبياء والرسل في القرآن ١١٨

إدريس عليه السلام ١٢١
هود عليه السلام ١٢٦
صالح عليه السلام ١٣٤
لوط عليه السلام ١٤١
إسماعيل عليه السلام ١٥٠
إسحاق عليه السلام ١٥٩
يعقوب عليه السلام ١٦٥
يوسف عليه السلام ١٧٤
شعيب عليه السلام ١٨٩
أيوب عليه السلام ١٩٥
يونس عليه السلام ٢٠٣
هارون عليه السلام ٢١٠
داود عليه السلام ٢١٥
سليمان عليه السلام ٢٢٤
إلياس عليه السلام ٢٣٤
زكريا عليه السلام ٢٣٨
يحي عليه السلام ٢٤٤
الباب الرابع . بقية الأنبياء ٢٤٩
شيث عليه السلام ٢٥٠

يوشع عليه السلام ٢٥٤
شمويل عليه السلام ٢٦٠
اليسع عليه السلام ٢٦٥
ذو الكفل عليه السلام ٢٦٨
أشعيا عليه السلام ٢٧٣
أرميا عليه السلام ٢٧٨
حزقيل عليه السلام ٢٨٤
دانيال عليه السلام ٢٨٦
العزير عليه السلام ٢٩٢
الباب الخامس . الأمم السابقة ٢٩٦
إرم ذات العماد ٢٩٧
أصحاب الرس ٣٠٠
ذو القرنين ٣٠٣
قوم يس ٣٠٩
أصحاب الكهف ٣١٤
أصحاب الأخدود ٣١٩
قوم تبع ٣٢٥
الباب السادس . السيرة النبوية ٣٢٩
(الفصل الأول) : قبل البعثة ٣٣٠

النسب الشجري للنبي ﷺ ٣٣١
العالم قبل البعثة ٣٣٣
قريش قبل البعثة ٣٣٤
بشارة الأنبياء ٣٣٤
ولد الذبيحين . النسب الشريف ٣٣٧
مولده (عام الفيل) ٣٤٠
تربيته وحادثة شق الصدر ٣٤٣
خاتم النبوة ٣٤٤
أبو طالب والراهب بحيرا ٣٤٥
أعماله في شبابه (حلف المطيبين . حرب الفجار) ٣٤٧
عمله في التجارة وزواجه من (خديجة) ٣٤٨
إعادة بنيان الكعبة ٣٤٩
النبي قبل البعثة . علامات النبوة ٣٥٠
نزول الوحي ٣٥١
صور الوحي . ورقه بن نوفل ٣٥٣
توقيت ٣٥٤
إعجاز البعثة ٣٥٥
الدروس من حياته قبل البعثة ٣٥٧
(الفصل الثاني) : بعد البعثة ٣٦٢

بداية الدعوة . أوائل المسلمون ٣٦٣
الدعوة الجهرية.....٣٦٤
وفد قريش ٣٦٦
طرق رد الدعوة ٣٦٨
صور من إيذاء المشركين للرسول ٣٧٠
اضطهاد المستضعفين ٣٧٤
طلب المعجزات (الصفا ذهباً ٣٧٥
شق القمر) ٣٧٦
هجرتا الحبشة الأولى ٣٧٧
هجرة الحبشة الثانية ٣٧٨
شعب أبي طالب والمقاطعة ٣٧٩
عام الحزن وفاة (أبو طالب) ٣٨٠
وفاة خديجة . الزواج (بسودة بنت زمعة) ٣٨٣
موقف الكفار ٣٨٤
رحلة الطائف ٣٨٥
استماع الجن للقرآن الكريم . دخول مكة المكرمة ٣٨٧
الإسراء والمعراج ٣٨٨
الطواف على القبائل ٣٨٩
بيعة العقبة الأولى ٣٩٠

البيعة الثانية وأحداثها ٣٩١
الدروس من حياته بعد البعثة ٣٩٣
(الفصل الثالث) : بداية الدعوة ٣٩٨
بداية الهجرة . خبر دار الندوة ٣٩٩
النبي الكريم ﷺ ٤٠٠
خبر سراقة ٤٠٣
خيمة أم معبد ٤٠٤
دخول المدينة وموقف أهلها ٤٠٥
توقيت . السنة الهجرية الأولى . على أرض المدينة المنورة....٤٠٦
المجتمع الإسلامي ٤٠٨
موقف المنافقين واليهود ٤١١
الدروس من حياته بعد الهجرة . الزواج (بعائشة) ٤١٢
تشريع الجهاد ٤١٣
جدول كبرى الغزوات ٤١٩
بداية السرايا والبعوث ٤٢٠
السنة الثانية للهجرة ٤٢٥
تحويل القبلة ٤٢٦
أهل الصفة ٤٢٧
غزوة بدر الكبرى ٤٢٨

الدروس من غزوة بدر ٤٣٢
أمر الغنيمة ٤٣٤
الزواج (بحفصة) ٤٣٥
الزواج (بزينب بنت خزيمة) . غزوة يهود بني قينقاع ٤٣٦
غزوات أخرى ٤٣٧
السنة الثالثة للهجرة . بعض غزوات وسرايا ٤٤٠
غزوة أحد ٤٤١
الدروس من غزوة أحد ٤٤٨
غزوة حمراء الأسد ٤٥٠
السنة الرابعة للهجرة . بعض السرايا ٤٥٢
الزواج (بأم سلمه) . غزوة يهود بين النضير ٤٥٣
بعض الغزوات والسرايا ٤٥٤
السنة الخامسة للهجرة . غزوة ذات الرقاع ٤٥٧
غزوة بني المصطلق ٤٥٨
حادثة الشجار . حادثة الإفك ٤٥٩
الزواج (بجويرية) ٤٦١
الدروس من غزوة المصطلق ٤٦٣
غزوة الخندق ٤٦٤
الدروس من غزوة الخندق ٤٦٨

الزواج (بزينب بنت جحش) ٤٧٠
غزوة يهود بني قريظة ٤٧١
ريحانه بنت خناقة ٤٧٣
السنة السادسة الهجرة . بعض السرايا والغزوات ٤٧٥
عمرة وصلح الحديبية ٤٧٩
بيعة الرضوان ٤٨٠
حال الصحابة ٤٨١
شروط الصلح ٤٨٢
الدروس من صلح الحديبية ٤٨٣
إرسال الرسل إلى الملوك ٤٨٥
مارية القبطية ٤٨٩
السنة السابعة للهجرة . الزواج (برملة) ٤٩٠
غزوة يهود خيبر ٤٩٣
الزواج (بصفية) . الشاة المسمومة ٤٩٥
عودة مهاجري الحبشة ٤٩٥
بعض السرايا والبعوث ٤٩٦
عمرة القضاء ٤٩٧
الزواج (بميمونة) ٤٩٩
السنة الثامنة للهجرة ٥٠١

غزوة مؤتة ٥٠٢
الدروس من غزوة مؤتة ٥٠٦
بعض السرايا ٥٠٧
فتح مكة ٥٠٨
كتاب حاطب ٥٠٩
الدروس من فتح مكة ٥١٣
غزوة حنين ٥١٥
غزوة الطائف ٥١٨
عمرة الجعرانة . النبي ﷺ والأنصار ٥١٩
الدروس من غزوتي حنين والطائف ٥٢١
السنة التاسعة للهجرة . عام الوفود ٥٢٥
بعض السرايا . مسجد الضرار ٥٢٦
غزوة تبوك ٥٢٧
الثلاث المخلفون ٥٢٨
الدروس من غزوة تبوك ٥٢٩
حج أبي بكر بالناس ٥٣١
السنة العاشرة للهجرة . عرض القرآن الكريم ٥٣٣
حجة الوداع ٥٣٤
خطبة الوداع ٥٣٥

السنة الحادية عشر للهجرة ٥٣٧
تجهيز جيش أسامة ٥٣٧
مرض رسول الله ﷺ ٥٣٨
قبل موته ﷺ ٥٤١
حال الناس ٥٤٢
تجهيز جسده الشريف ٥٤٤
البيت النبوي ٥٤٨
جدول إحصائي للأنبياء والرسل ٥٥٢
جدول الغزوات ومعلومات عنها ٥٥٤
جدول يوضح بقية الغزوات ٥٥٥
جدول يوضح نهاية اليهود ٥٥٧
جدول يبين الزوجات والجواري ٥٥٨
جدول عُمُرات الرسول ٥٦٠
الخاتمة ٥٦١
المراجع ٥٦٢
الفهرس ٥٦٧

تم بحمد الله تعالى